مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الرابع عشر

(١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م

مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية

الدكتور صالح احمد العلي

من الحقائق التي تصل الى مستوى البديهيات ان المدن هي المراكز الرئيسة التي تزدهر فيها الحضارة وتتعقد فيها النظم وتنمو فيها الحركة الفكرية ، وتتوفر فيها بصورة خاصة الوثائق المكتوبة عن نشاط الانسان الاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ ، وقد ادى هذا الى ان يكون التاريخ المألوف عندنا هو في الحقيقة تاريخ المدن ووصف فعاليات اهلها بالدرجة الاولى ، واننا عندما نتحدث عن التقدم العلمي العظيم في العصر العباسي فنحن نقصد ما كان في المدن ، دون الريف او الصحارى التي كانت تغط في غياهب الجهل . فدراسة تكوين المدن وتطورها يمكننا من التعمق في تفاصيل التنظيم الاجتماعي والاداري والجوانب الاخرى من نشاط الانسان ، ويقدم لنا اساساً ادق واوضح في معرفة الاحداث التاريخية .

ولعل الخطوة الاولى لتفهم تنظيم اية مدينة والحياة فيها هو دراسة خططها ، لان هذه الدراسة لها اهمية كبرى في اشباع غريزة حب الاستطلاع وتوفير اللذة التي تنبعث من الكشف عن المجهول وتوسيع افق المعرفة وخاصة لمن يقيم في تلك المدينة او يهتم بها ، غير ان اهميتها تمتد الى ابعد من ذلك ، فهي تقدم مادة اساسية لمن يريد دراسة توزيع

السكان واحوالهم البشرية والاجتماعية والاقتصادية ، وتوضح بعض ما يؤثر في العلاقات بينهم ، وتفسر بعض عوامل ظهور التنظيمات الادارية كما تقدم تفسيرات لكثير من الحوادث السياسية والوقائع العسكرية .

غير أن دراسة خطط المدن ليست سهلة او يسيرة ؛ لان مناطق السكنى والبيوت تتبدل بتغير الازمان والاحوال ، بل حتى العوارض الطبيعية معرضة لمثل هذا التبدل ، حيث ان الانهار والقنوات والترع قد تبدل مجاريها ، وقد تختفي التلول والمرتفعات او قد تتكون على مر الايام في المدن تلول من تكدس الانقاض . ثم ان التكوين الاجتماعي والاقتصادي لاية مدينة يتبدل بمرور الزمن ، ويرافقه تبدل الخطط . ويلاحظ ان الحفريات الاثرية بالرغم من فائدتها القصوى في تعيين مجاري الترع والانهار ، وتبيين امتداد الشوارع ، وتوضيح اتساع المدن، الا انه لا يزال الاعتماد الاول في معرفة اسماء الخطط على المصادر الادبية التي كثيراً ما تستعمل تعبيرات غير محددة ، كالشارع والطريق والدرب ، فضلا عن انها كثيراً ماتذكر اماكن دون تحديد سعتها او حجمها ، هذا بالاضافة الى ان هذه المصادر الادبية وخاصة المتأخرة منها ، قلما تعين تاريخ ظهور او اختفاء اية خطة . ولما كانت المدن معرضة للتطور والتبدل تبعاً لتبدل الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فان الباحث الحصيف لا بد له من الحذر والتدقيق عند دراسة هذه المصادر الادبية .

ولدراسة خطط بغداد اهمية خاصة في فهم الحضارة الاسلامية ، نظراً لكونها ظلت عاصمة الدولة العباسية كانت خلالها موئل الحركة الفكرية ، ومقصد العلماء والادباء والمفكرين ، ومركز الحياة الاقتصادية ؛ وقد عبر اليعقوبي عن ذلك اوضح تعبير بقوله إن اهل بغداد « فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة ، واحكام كل مهنة ، واتقان كل صناعة ، فليس عالم اعلم من عالمهم ولا اروى من راويتهم ولا اجدل من متكلمهم ، ولا اعرب من نحويهم ، ولا اصح من قارئهم ، ولا امهر من متطببهم ، ولا احذق من مغنيهم ، ولا الطف من صانعهم ،

ولا اكتب من كاتبهم ، ولا ابين من منطيقهم ، ولا اعبد من عابدهم ، ولا اورع من زاهدهم ، ولا افقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم ، ولا افتك من ماجنهم » (البلدان ٢٣٥).

ومن ابرز خصائص بغداد تنوع سكانها وتعدد اصولهم ، وهنا ننقل عن اليعقوبي قوله عن بغداد انها « المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، ولانه سكنها من اصناف الناس واهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم ، فليس من اهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينة فى الدنيا ، ثم يجري في حافتيها النهران الاعظمان دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً بايسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام ، فانه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان اكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ويكون مع ذلك أوجد وامكن » (البلدان ٢٣٣ ـ ٤).

ومن المعلوم ان بغداد منشأة في ارض سهلة مستوية تقل فيها العوارض الطبيعية ويتعرض مجرى دجلة والقنوات الاخرى فيها إلى تبدلات كثيرة ، ثم ان بغداد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة كان لها اثر في تبدل احوالها وتغير اوضاعها ، وقد ظهرت اثار هذه التطورات منذ وقت مبكر حتى ان اليعقوبي بعد أن وصف خطط بغداد فى عهد المنصور عقب على ذلك بقوله « وقد تغيرت ومات المتقدمون من اصحابها ، وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين » (ص ٢٥٤) فاذا كان مثل هذا التطور قد حدث

في اول قرن مضى على تأسيسها ، فان تطورات وتبدلات اوسع حدثت في القرون التالية التي مرت ببغداد فيها .

فاذا كانت لدراسة خطط بغداد اهمية كبيرة ، فان على الباحث الاهتمام بالتطور التاريخي لهذه الخطط ، وتحديد اماكنها وخططها في زمن معين ، لان الخطط تتطور ، فتتسع او تضيق ، او تتبدل فيها مواضع الاسواق ، ومراكز اللهو او السكنى ، فلا بد لهذه الدراسة من تحديد زمن المصدر او الكتاب الذي يصف خطط المدينة ، وبيان ان وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمن المؤلف ، وتمييز ذلك عما نقله ممن سبقه . فاذا كانت وفرة مادة المصدر او الكتاب مهمة ، فان معرفة الزمن الذي ينطبق عليه هذا الوصف لا يقل اهمية عن ذلك ، ولهذا الامر اهمية بالغة في دراسة خطط بغداد ، التي مرت بادوار من التوسع والتقلص بالرغم من اهميتها الكبرى . وجدير بنا ان نشير قبل بحث مصادر دراسة خطط بغداد ، الى ان المؤلفين العرب والمسلمين اهتموا بدراسة المدن واحوالها واكثروا من التأليف فيها ، حتى انك قلما تجد مدينة في العالم الاسلامي لم يؤلف فيها كتاب او اكثر . ولا ريب ان بحث اسماء المؤلفات في المدن الاسلامية خارج عن الصدد . ويمكن لمحب الاستزادة الرجوع الى ما ذكره السخاوي في « الاعلان بالتوبيخ » او الى بحث روزنتال في « علم التاريخ عند المسلمين » ، ولكننا نكتفي بالاشارة هنا الى ان المؤلفين الاولين في المدن اهتموا بوصف خطط المدن التي يبحثونها ، وسكانها ، واحوالها البشرية والاجتماعية ، واوضاعها الادارية والاقتصادية ، اما المتأخرون فقد اهتموا بذكر اسماء او تراجم العلماء الذين ظهروا اوعاشوا او مروا بالمدينة التي يبحثونها كما ان حظ المدن الاسلامية من التأليف لم يكن واحداً ولا متناسباً دائماً مع اهمية المدينة فقد الفت عدة كتب عن بعض مدن قليلة الاهمية ، ولم يؤلف الا كتب قليلة جداً عن بعض المدن المهمة .

ان المؤلفات التي كتبت عن بغداد لا تتناسب مع اهميتها العظيمة في تاريخ الحضارة الاسلامية

فابن النديم الذي الف كتابه العظيم « الفهرست » في سنة ٢٧٨واستوعب فيه كل المؤلفات العربية تقريباً ، لم يذكر عن بغداد الا ثلاثة كتب هي بغداد واخبارها لاحمد بن الطيب السرخسي (ص ٣٦٦) وفضائل بغداد وصفتها ليزدجرد بن مهمندار (ص ١٨٥) وكتاب بغداد لطيفور وما زاده عليه عبد الله (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠) . اماالسخاوي فانه في كتابه « الاعلان بالتوبيخ » الذي استعرض فيه المؤلفات العربية في التاريخ حتى عصره فانه يذكر ان المؤلفات عن « بغداد لاحمد بن ابي طاهر ، ولابن اسفنديار ، وللخطيب ابي بكر وهو اوسعها في عشر مجلدات وعليه معول من بعده ، وذيوله لابي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني .. الخ » (س ١٢٢ ط روزنتال) اما حاجي خليفة فيذكر « قيل اول من صنف لها تاريخاً احمد بن ابي طاهر البغدادي ، وتلاه الامام الحافظ ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ » ثم يصف كتاب الخطيب ويذكر ما الف عليه من ذيول تكون قائمة لا تضيف الى ما اورده السخاوي ، مما يدل على اقتباسه من السخاوي غير انه يضيف الى آخر القائمة « ومختصر تاريخ بغداد لابي اليمن مسعود بن محمد البخاري المتوفى سنة ٤٦١ ؛ وصنف ابو سهل يزدجرد بن مهبنداد الكسروي كتاباً حسناً في وصف بغداد وعدد سككها وحماماتها وما يحتاج اليه في كل يوم من الاقوات والاموال ذكره الصفدي . وفي اخباره كتاب التبيان لاحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب » (كشف الظنون ١/٢٨٨) .

يتبين مما ذكر ان ابرز المؤلفين المسلمين في تاريخ التاريخ عند المسلمين يرون ان احمد ابن ابي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ هو اقدم من الف في تاريخ بغداد وقد وصف القفطي اهمية هذا الكتاب بقوله « واذا اردت التاريخ متصلا جميلا فعليك بكتاب ابي جعفر الطبري رضي الله عنه فانه من اول العالم الى سنة ٣٠٩ ومتى شئت ان تقرن به كتاب احمد بن طاهر وولده عبيد فنعم ما تفعل لانهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية واتيا من شرح الاحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدة » (اخبار الحكماء ص ١١٠) .

لقد بقيت من كتاب طيفور قطعة تتناول الاحداث في زمن المأمون بين سنتي ٢٠٤ ـ ٢١٨ هـ ، طبعها كيلر مع مقدمة تحليلية في تبيان اهمية معلوماتها ومقارنة هذه المعلومات بما ذكره الطبري الذي لم يشر الى طيفور . وقد اعاد طبع هذه القطعة السيد عزت العطار الحسني سنة ١٩٤٩ . وتبين هذه القطعة المطبوعة ان المؤلف دون الحوادث السياسية . وقد اورد روزنتال في كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » من نقل عنه ؛ ويتبين منها ان معظم النقول تتناول الحوادث السياسية .

ويبدو ان طيفور ضمن كتابه وصفاً لخطط بغداد ، لأن الحميدي يذكر ان احمد بن محمد ابن موسى الرازي « الف في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها ، كتاباً على نحو ما بدأ به احمد بن ابي طاهر في اخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور بها » (جذوة المقتبس ص ٩٧ طبعة محمد بن تاويت) غير ان المؤرخين المتأخرين لم يعنوا بذكر ما نقلوه عن احمد بن ابي طاهر ، فياقوت لم ينقل عنه الا في اربعة مواضع لا علاقة لها بالخطط ، اما الخطيب فقد نقل عنه في القسم الخاص بالخطط من الجزء الاول ، خمسة نصوص (١/ ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٧ ، ١٢٠) منها روايتان غير مسندتين (١/١١٧) اما الثلاث الباقية فقد رواها عن طريق محمد بن علي بن مخلد (٨٨ ، ١٢٠) وعن طريق محمد بن خلف عن محمد بن موسى بن الفرات . وهذه الروايات عن مربعة ابي العباس وعن بادوريا ، وعن مساحة بغداد ، وذرع بغداد ، وحماماتها . ولعل هذه الكتب وغيرها نقلت عن طيفور نصوصاً اخرى دون ان تشير الى مصدرها .

اما احمد بن الطيب السرخسي (ت ٢٨٦ هـ) فهو تلميذ الكندي وقد الف عدداً كبيراً من الكتب جمع روزنتال الاشارات اليها والنقول عنها في كتاب الفه عن السرخسي ونشره في نيوهافن سنة ١٩٤٣ ؛ وقد ذكر اشارات ابن النديم ، وابن القفطي ، وحاجي خليفة الى كتاب السرخسي غير اننا لا نعلم احداً غير ابن الفقيه نقل عنه شيئاً عن خطط بغداد .

اما يزدجرد بن مهمندار فقد ذكر كتابه ابن النديم وحاجي خليفة ونقل عنه التنوخي

في نشوار المحاضرة (١/٦٤ ـ ٦٥) كما نقل عنه ياقوت في معجمه في موضعين (١/٤٤٨، ٤/٤٤٥ـ٦) وقد جمع السيد ميخائيل عواد النصوص التي نقلاها عنه في بحث نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد ١٩ سنة ١٩٤٤) ثم اعاد طبع البحث مرتين. وتشمل هذه النصوص كلاماً عن المدائن، وعن بابل، وعن حمامات بغداد، واذا كانت النصوص المتعلقة بحمامات بغداد مأخوذة عن كتابه «فضائل بغداد» فانا لا نستطيع الجزم في اسم كتابه الذي نقلت منه نصوص المدائن وبابل.

اما كتاب التبيان لاحمد بن خالد البرقي الكاتب الذي ذكره حاجي خليفة من ضمن الكتب التي تتحدث عن بغداد (كشف الظنون ١/٢٨٨) وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب هذا الكتاب ضمن كتب التاريخ التي اعتمد عليها (١ / ١٩ طبعةباريس) دون ان يشير الى محتواه. وقد فقد هذا الكتاب ولم نعثر على نص منقول منه، ولانعلم اذا كان كتاباً قائماً بذاته ام هو نفس كتاب «البلدان والمساحة» كما يبدو لاغابورك (انظر الذريعة ج ٢ ص ١١٥، ٢٢٦) وما اذا كان قد تناول بحث خطط بغداد.

لقد اشارت كتب التاريخ والتراجم الى بعض خطط بغداد في معرض الكلام عن الاحداث السياسية او من تراجم بعض الاشخاص حيث يذكر مكان اقامة المترجم له او دفنه في بغداد، كما يشيرون الى الحرائق والتخريبات او الاماكن التي حدثت فيها بعض الاحداث التي دونوها، ولهذه المعلومات اهمية غير قليلة حيث انها تعين على تحديد زمن وجود المكان واهميته احياناً، غير أن الاغلبية المطلقة لهذه المعلومات هي اشارات عابرة لخطط تذكر عادة منفردة، اللهم الا ما يرد في وصف الحروب واحوال الحصار من ذكرعدة اماكن وايراد معلومات عن مواقعها. ولما كانت هذه المعلومات مشتتة مبعثرة فاننا لا نتطرق الى تقييمها او حصرها، بل نكتفي بالاشارة الى اهميتها لمن اراد استكمال البحث اما هنا فاننا نقصر بحثنا على عرض المؤلفات التي اختصت كلها او فصول منها لخطط بغداد.

ان اغلب المؤلفين العرب الذين كتبوا في التاريخ العام لم يخصوا موضوع بناء بغداد وتوسعها وخططها بتفاصيل وافية . فالبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ لم يذكر شيئاً عن بناء بغداد في الفصل الذي كتبه عن المنصور في انساب الاشراف ، اما في فتوح البلدان ، فقد خص مدينة السلام بفصل تبلغ صفحاته ستاً فقط اورد فيه معلومات قيمة ، ولكنها لا تقارن بتفاصيلها وشمولها بما اورده عن الكوفة او البصرة ، هذا بالرغم من ان كتابه مزيج من التاريخ والجغرافية . ولعل البلاذري كان يشعر ان بغداد خارجة عن نطاق بحثه المحدد بالاماكن المفتوحة والتى لها اهمية عسكرية . ولم يخص خليفة بن خياط بغداد بشيء في كتابه التاريخ الذي يؤمل طبعه قريباً .

اما اليعقوبي الذي سنتحدث فيما بعد عن الفصل القيم الذى كتبه في كتابه البلدان ، فانه لم يخص في تاريخه بناء بغداد باكثر من ثمانية اسطر اجمل فيه اهمية موقع بغداد ، وعدد ابوابها ، وسورها ، وقطائعها (ج ٢ ص ٤٤٩ ـ ٥٠) .

اما المسعودي فانه خص في كتابه « التنبيه والاشراف » بغداد ببضعة اسطر تحدث فيهاعن اشتقاق كلمة بغداد ، وزمن بناء المدينة ،وعن الرصافة ، وكل ذلك في معرض كلامه عن الامصار (ص ٣١٢) .

واقتصر كتاب مروج الذهب عن نقل حكاية عن ابن عياش المنتوف ، وذكر معها عرضاً أبواب المدينة وطاقاتها وبقاءها الى زمنه (ج ٣ ص ٢٩٩) غير انه ذكر « وقد أتينا عن كيفية بناء هذه المدينة ، واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات، ودجيل والصراة ، وهذه أنهار تأخذ من الفرات ، وأخبار بغداد ، وعلة تسميها بهذا الاسم ، وما قاله الناس من ذلك ، وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر ، وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقاؤها الى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ في كتابنا الأوسط الذي كتابنا هذا تال له » (٣/٢٩٩) ومن سوء الحظ ان الكتاب الأوسط مفقود ، غير انه اذا كانت هذه هي كل المواضع التي بحثها ، فان بحثه لا يكون

شاملاً لكل خطط بغداد .

ومن الغريب أن يهمل هؤلاء المؤرخون دراسة بغداد على عظمها وأهميتها ، في هذا العصر المبكر الذي اهتم فيه المؤلفون بدراسة خطط المدن كالذي فعله الأزرقي في أخبار مكة ، وابن زباله ، ويحي بن الحسن ، والزبير بن بكار في خطط المدينة ، وابن يونس ، وابن زولاق والكندي في خطط القاهرة .

وقد خص معظم الجغرافيين العرب بغداد ببحوثهم ، فذكروا وصفها ، وخاصة في زمنهم . وهذا ما فعله ابن جبير وابن بطوطة في رحلاتهم ، وابن رسته .

تعد الفصول التي اوردها اليعقوبي في البلدان وابن سيرابيون في كتاب عجائب الأقاليم وابن الفقيه في كتاب البلدان والطبري في تاريخه والخطيب في تاريخ بغداد والمواد المشتتة في معجم البلدان والتي لخصها وأضاف اليها مؤلف مراصد الاطلاع من أغنى الفصول التي وصلت الينا عن خطط بغداد وسنقتصر في هذه الدراسة على دراسة ما جاء في المصادر الخمسة الأولى مرجئين دراسة ما ورد في معجم البلدان ومراصد الاطلاع الى مقال آخر .

خص اليعقوبي خطط بغداد بعشرين صحيفة تلت مقدمة كتابه « البلدان » ، وقد تقصد البدء بدراسة بغداد وتفصيل أحوالها لان العراق « وسط الدنيا وسرة الأرض » وبغداد « وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير » (٢٣٤) وبعد أن بين أهمية موقعها ، والمحاولات التي قام بها أبو العباس والمنصور لإيجاد عاصمة لهما حتى استقر رأي الأخير على موقع بغداد ، ثم بحث عن بناء مدينة المنصور ووصف أسوارها وأبوابها ، وعدد سككها ، وأرباع أرباضها ومن اختط فيها ، ثم تكلم عن الشرقية وعن الكرخ وقنواتها ، وعن الجانب الشرقي . وقد حصر اليعقوبي كلامه بوصف المدينة عند بنائها وفي أوائل عهدها ، وكان يعلم أن بعض خطط المدينة قد تبدل ؛ وقد أشار إلى ذلك عند كلامه عن بعض سكك المدينة المدورة حيث يقول « وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب عني اسم صاحبها .. وسكة تعرف اليوم بالزيادي وقد ذهب عني اسم صاحبها » (٢٤٠) ؛ ويقول في آخر الفصل الذي كتبه عن بغداد « وهذه القطائع

والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في أيام المنصور ووقت ابتدائها ، وقد تغيرت ومات المتقدمون من أصحابها وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم إلى سرمن‌رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين » .

ان المعلومات التي قدمها اليعقوبي تفوق ما قدمه غيره ، فالسكك التي ذكرها في المدينة المدورة تبلغ اربعين سكة ، في حين أن الخطيب لم يذكر سوى خمس سكك ، وقطائع الأرباض لا تقارن بتفاصيلها بما ذكره الخطيب . لذلك فاننا نعجز عن تدقيق ما أورده اليعقوبي لانفراده في ذكر معظم المعلومات التي أوردها .

ان الفقرة الأخيرة التي أوردها اليعقوبي تشير صراحة الى أن بحثه قائم على وصف المدينة أيام بنائها ، لا في أيامه ، ومع أنه يؤكد أنها ظلت عامرة حتى زمنه رغم من انتقل عنها بعد انشاء سامراء ، إلا أنه لايذكر ما عرى خططها من تبدل وتغير ، حتى انه وهو المحقق الذي ظل يجمع مادة كتابه منذ عهد شبابه (ص ٢٣٢) غاب عنه إسم صاحبي سكة القواريري وسكة الزيادي . ويلاحظ انه ألف كتابه وهو بعيد العهد عن بغداد حيث يقول عند كلامه عن سويقة عبد الوهاب « وبلغني ان السويقة أيضاً خربت » (٢٤٢) .

ولا يفوتنا أن نذكر ان كتاب البلدان طبع على نسخة فريدة ناقصة ، ويظهر نقصها في مقدمتها ، وفي القطع الواضح في الفصل المكتوب عن البصرة ، وفي النصوص غير القليلة المنقولة عن بلدان اليعقوبي في الكتب الأخرى ؛ هذه النصوص التي جمعها دي‌غويه وألحقها بالمطبوع ، تعد دليلا واضحاً على نقص الكتاب ، وكان المؤمل ان تكون حافزاً للبحث عن نسخة أكمل من هذا الكتاب العظيم ، ولكن يبدو أن الناس ظلوا يعتمدون على النسخة المطبوعة ولم يحاولوا البحث عن نسخة أكمل ، وهكذا أعيد طبع هذا الكتاب

في النجف عدة مرات دون أية محاولة لإكمال هذا النقص .

* * *

ومن الفصول القيمة عن خطط بغداد الفصل المنسوب إلى سهراب أو ابن سيرابيون والذي نشره وترجمه لي سترانج ، ثم أعاد نشره مزيك ضمن كتاب عجائب الأقاليم . وفي هذا الفصل تفصيل دقيق عن انهار بغداد أي الترع التي تخترقها ، مع ذكر ما يتشعب منها وما عليها من خطط ، وهو أوسع فصل في موضوعه ، وقد نقله الخطيب البغدادي حرفياً تقريباً بسنده من « عبد الله بن محمد البغدادي بطرابلس عن بعض متقدمي أهل العلم » (١/١١٢) . وقد نقل ياقوت أيضاً هذه المعلومات عن أنهار بغداد ووزعها على حروف الهجاء لتنسجم مع تنظيم كتابه ، دون الاشارة إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات وما إذا كان استمدها من الخطيب أم من سهراب أم من مصدر آخر غيرهما . ان تشابه مادة هذه المصادر الثلاثة تجعل فصل أنهار بغداد خالياً من العيوب التي نجدها في وصف سهراب لأنهار المناطق الأخرى ، وذلك كالعيوب التي لاحظها هرزفيلد عن انهار سامراء وروبرت أدامز عن مجرى دجلة بين المدائن وواسط (انظر ص ١٧٨ من كتاب « ارض وراء بغداد » لروبرت ادامز) وعما نلاحظه من عيوب وخلل في وصف الانهار المتشعبة من دجلة أسفل واسط ، أو مجرى نهر سورا بين بابل والنيل .

* * *

بحث الطبري في كتابه العظيم « تاريخ الأمم والملوك » عن انشاء بغداد في مكانين من القسم الثالث (٢٧٢ ـ ٢٨١/٣٢٠ ـ ٣٢٧) ومجموع كلامه لا يزيد على خمسة عشر صحيفة ، تناول في القسم الأول منها اختيار موقع بغداد وخصائصه ، والقرى التي كانت في موضع بغداد قبل إنشائها ، أما في القسم الثاني فتحدث عن بناء بغداد ، ومحاولة نقض إيوان كسرى ، والاشراف على البناء ، ونفقاته ، وعن أبواب المدينة والاسواق ونقلها . ويتبين من هذا ان القسمين متكاملان ، وان فصلهما جرى بسبب تقسيم الكتاب . غير ان هذه المعلومات متقطعة ، غير كاملة ولا شاملة ، ولا يستطيع المرء تكوين صورة واضحة

أو دقيقة للمدينـة منها . ولا نستطيع الجزم بسبب اختياره هذه المادة دون غيرها عن بغداد الأولى . وجدير بالذكر ان المعلومات التي أوردها مذكورة عند ابن الفقيه الهمداني والخطيب البغدادي كما سنبين فيما بعد .

لم يستخدم الطبري فيما رواه عن بغداد سلسلة كاملة من المسانيد ، ولكنه ذكر عدداً من الأخبار دون التصـريح بمصدرها واكتفى بكلمة « وذكر بعضهم » (أنظر ص ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥) كما انه لم يذكر شيوخه في هذه المسانيد . اما الرواة الذين أخذ عنهم مادته فهم متعددون ، وأغلبهم منفردون . وأهمهم :

(١) حماد التركي ، فقد روى عنه نصوصاً عن أهمية موقع بغداد ، وما حولها من القرى ، والاديرة . وقد روى عنـه ايضاً اخباراً عن المنصور ، يبدو منهـا انه كان من الفرسان (٣ ٤٣٠) وانـه كان مقرباً من الخليفة (٣، ٣٤٣، ٣٩٢) . وقد جاءت معظم روايات حماد عن طريق ابراهيم بن عيسى بن أبي جعفر .

(٢) سليمان بن مجالد وهو من القواد المقربين للمنصور (٣/ ٤٢٩) وقد روى الطبري عنه أهمية موقع البناء . وقصة المقلاص ، وتوليه أبي حنيفة الإشراف على البناء . كما روى عنه أخباراً عن ثورة اهل الكرخ .

(٣) يحيى بن الحسين بن عبد الخالق وهو خال الفضل بن الربيع ، وقد روى عنه شكوى عيسى بن علي من المشي ، ونقل الأســـواق ، وتولية القواد البناء . وقد روى عنه أيضاً اخباراً عن أرزاق الكتاب ، وعن مقتل موسى الهادي ، وعن الرشيد والمأمون .

(٤) وقد روى عن الفضل بن سليمان سبب نقل الاسواق ، وعن ابراهيم الموصلي محاولة هدم إيوان كسرى ، وعن رشيد أبي داود عن احتراق الساج والخشب ، وعن محمد بن موسى بن الفرات عن نهر طابق . كما روى عن كل هؤلاء أخباراً قليلة عن أمور أخرى .

* * *

يصح القول ان اوج ما وصلنا عن تاريخ بغداد هو الكتاب الذي ألفه أبو بكر أحمد ابن علي البغدادي ، فقد وصفه السبكي بأنه « من أجل الكتب وأعودها فائدة » (طبقات

الشافعية ١/١٧٢) ووصفه حاجي خليفـــة بأنه « كتاب عظيم الجمع والنفع » (كشف الظنون ١/٢٨٨ وقد ادرك الأقدمون عظمة هذا الـكتاب فقاموا بتلخيصه وتذييله ، فقد ذكر حاجي خليفـة ممن لخصه أبو اليمن مسعود بن محمد البخاري ، وان ممن ألف ذيلاً على تاريخ بغـداد أبو سعد عبد الـكريم بن محمد السمعاني صاحب الانساب (ت ٥٦٢ هـ) وأبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (ت ٦٣٧ هـ) ومحب الدين محمد بن محمود ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) . وقد ذيل على كتاب الســـمعاني عماد الدين محمد بن محمد الـكاتب (ت ٥٩٧ هـ) ، وعلى كتاب ابن الدبيثي ابن القطيعي ، كما لخص شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) ذيل ابن الدبيثي ، وذيل على كتاب ابن النجار تقي الدين محمد بن رافع (ت ٦٧٤هـ) وأبي بكر المارستاني الذي ذيل عليه علي بن أنجب بن الساعي (ت ٦٧٤ هـ) . ولم يطبع من هـذه الـكتب غير ملخص شمس الدين الذهبي لذيل ابن الدبيثي ، فقـــد طبعه الزميل الدكتور مصطفى جواد ، أما بقية الـكتب فلم يطبع منها شيء ، وقد بقيت منها مخطوطات متفرقة في مكتبات الشرق والغرب ، وقد فصل بروكلمان في كتابه العظيم تاريخ الأدب العربي مواضع وجود مخطوطاتها ، دون المصورات التي نقلت عن تلك المخطوطات .

لقد طبع تاريخ بغداد في أوائل الثلاثينـات ، ثم أعيد طبعه حديثاً مصوراً على الطبعة القديمة ، ويتـكون الـكتاب في كلتا الطبعتين من أربعة عشر جزءاً يضم كلاً منها حوالي أربعمائة صحيفة . وقد تـكلم في الجزء الأول عن حكم ارض بغداد والسواد ، ومناقب بغداد ، ونهري دجلة والفرات وبعض أخبار المنصور ، ثم خصص ٥٤ صحيفة (٦٦ ــ ١٢٠) لخطط بغداد ، ثم تـكلم عن المدائن ومن نزلها ، اما الباقي فقد خصصه كله لتراجم من عاش ببغـداد أو مرّ بها . وقد ذكر في ثنايا هـذه التراجم آلاف الاشارات الى خطط بغـداد وأنهارها وجوامعها وأسواقها ومقابرها ودروبها وقصورها مما له أهمية عظيمة في دراســـة خطط بغداد . ولما كانت هـــذه الاشـارات عرضية مفردة ، فاننا لا ندخلها ضمن نطاق بحثنا الحالي الذي نركزه على الاربع والخمسين صحيفة التي خصصها لدراسة خطط بغداد .

لقد أشرنا في أول مقالنا الى الأهمية الكبرى لدراسة تطور خطط بغـــداد وتقرير الأوضاع التي كانت قائمة في كل زمن أو حقبة معينة ، وبينا أن دراسة هذا التطور يستلزم معرفة الزمن الذي تشير اليه المعلومات التي تذكرها المصادر ، وان من أهم وسـائل تقرير هذا الزمن هو معرفة تاريخ المصدر الذي ننقل عنه معلوماتنا ، وان غرضنا الرئيسي من هذا المقال هو فحص التاريخ الذي وجدت فيه الخطط التي يصفها المصدر ؛ ومما يسهل تحقيق غرضنا هو معرفة مصادر الأخبار المتعلقة بالخطط . ومما يسهل تحقيق هذا الغرض ان معظم المؤرخين المسلمين القدماء ، ومنهم الطبري والخطيب ، كانوا يذكرون مصادر رواياتهم ، كما ان كثيراً من هذه المصادر كانت تشير الى الفترة التي يتناولها بحثهم .

غير ان معرفتنا أسماء الكتب التي اختصت أو اهتمت بدراسة خطط بغداد لا يكفي لتقرير مدى مساهمتها ، أو مدى مساهمة الخطيب في دراسة خطط بغداد وتاريخ تطورها ؛ لأن هذا لايتم إلا اذا وجدت الكتب نفسها كاملة ، وقد لاحظنا ان معظم هذه الكتب مفقود ، زال أثره أو لم تبق منه الا مقتطعـات مهما كان طولها فهي لا تكفي لإصدار حكم قاطع عن اهمية هذا المصدر . ثم ان الخطيب يذكر الرواة الذين نقل عنهم ، ولا يشير الى اسماء كتبهم التي نقل عنها هذه المعلومات . ومن المعلوم انه يذكر السند كاملاً في الغالب وان رجال السند كلهم ، أو معظمهم أحياناً ، علماء مؤلفون ، فلا نعلم أحياناً أيهم المؤلف وأيهم الراوية . ثم أن الخطيب يورد أحياناً معلومات دون ذكر مصدرها ، كما انه ينقل معلومات مسندة تشبه المعلومات الموجودة في الكتب الأخرى المعتمدة ، ولكنه لايذكر انه أخذها من تلك المصادر . وقد ذكرنا من قبل اشاراته الى ما نقله عن طيفور ، أما في الصفحات التالية فسنقارن ما ذكره عن الخطط بما ورد في الكتب الرئيسة الثلاثة التي بحثت خطط بغداد في أدوارها الأولى ، وهي الطبري ، واليعقوبي ، وسهراب ، بما جاء في الخطيب ، ثم نحلل مسـانيد الخطيب في بحثه عن خطط بغداد في القسم الذى أشـرنا الى ان البحث سيقتصر عليه .

لم يذكر الخطيب سهراب واليعقوبي ، وقد ذكر الطبري مرة واحدة (ص٦٦) غير ان مقارنة ما أورده بالمادة الموجودة في هـــذه الـكتب تبين انه نقل حرفياً ، تقريباً ، كل ما أورده سهراب عن أنهار بغداد ، غير ان الخطيب يذكر انه حدثه بها عبد الله بن محمد بن علي البغدادي بأطرابلس عن بعض متقـــدمي العلماء وذكر أنهار بغداد فقال .. (١١٢) وجدير بالملاحظة ان هذا الفصل يطابق ما جاء في سهراب (١٣١ ـ ٣٢) وما جاء في مناقب بغداد المنسوب لابن الجوزي ، وينطبق بعضه على ما نقله ياقوت والراجح ان سهراب هو مصدر الجميع .

أما علاقة الخطيب بالطبري ، فلا بد أن نذكر انه بمقارنة ما كتبه الخطيب بما كتبه الطبري عن نشوء بغداد (٢٧٢ ـ ٢٨١ ؛ ٣٢٠ ـ ٣٢٧) نجد ان الطبري انفرد بتفاصيل عن تفتيش المنصور عن موضع لبناء بغـــداد ، وخصائص موقعها (٢٧٢ ـ ٢٧٨) ومقام المنصور بالدير (٢٨١) ؛ وكذلك عن احتراق الساج عند بناء بغداد(٣٢٠) ومحاولة نقض إيوان كسرى (٣٢١) وبناء الطاقات (٣٢٦) . غير ان بقيـــة المعلومات التي أوردها الطبري نقلهـا الخطيب بنصوص روي أغلبهـا عن وكيع . وهـــذه المعلومات تشمل تولية أبي حنيفة الاشراف على عدّ اللبن (٢٧٩ ط = ٧١ خ) وقرية بني زرارة والشرفانية وقطيعة الربيع وبناورى (٢٨٠ ط = ٢١(٨١ ، ٨٨ خ) وأبواب بغداد (٣٢٢ ط = ٧٥ خ) واشراف الحجاج بن ارطاة على عمارة المسجد (٣٢٢ ط = ٧٠ خ) ووزن اللبن (٣٢٣ ط = ٧٢ ، ٧٠ خ) وركوب عيسى بن علي في المدينة المدورة (٣٢٤ ط = ٧٣ خ) وانتقاد البطريك خطط بغداد (٣٢٤ ط = ٨٠ خ) وثورة أهل الكرخ ونقلهم (٣٢٥ ط = ٧٩ خ) ونفقات البناء (٣٢٧ ط = ٦٥ خ) . ويتبين من كل هذا ان الخطيب استوعب المادة المهمة في الطبري ، ولـكنه نقلها عن وكيع ، ولم يشر فيهـا الى الطبري بالرغم من تشابه المادة .

اما اليعقوبي فان الخطيب نقل عنه نصين (٦٦/٦٩ خ) دون ذكر مصدره ، ومع

ان كلا من اليعقوبي والخطيب متفقان في ذكر سكك بغداد وقطائعها واهميتها ، الا ان اليعقوبي اشمل بحثاً وادق تعبيراً ، اما الخطيب فقد ذكر بعض السكك والقطائع ، مع معلومات اوضح عن اصحابها ، كما ذكر اهمية بغداد وعظمها ولكن بافكار واسلوب يخالف ما جاء في اليعقوبي .

ان المعلومات التي اوردها الخطيب عن خطط بغداد فيها نصوص ذكر انها كانت منه او لم يذكر مصدرها ، ولكن اغلبيتها المطلقة جاءت مسندة ، اي انه اخذها من مصادر ذكرها . وتختلف المصادر في كثرة ما نقله عنها الخطيب وسنذكرها فيما يلي مرتبة حسب كثرة من نقل عنهم .

نقل الخطيب اغلبية المعلومات التي اوردها عن خطط بغداد في اوائل عهد تأسيسها عن محمد ابن خلف المعروف بالقاضي وكيع ؛ فقد نقل بسند عن وكيع مباشرة ما اورده عن استخدام ابي حنيفه في بناء بغداد (٧١) وابواب مدينة المنصور وسورها (٧٢ ـ ٧٣) وصفة المدينة (٧٦) وسوق البطيخ والاسواق (٨١) والطاقات والارباض (٨٣) ومربعة ابي العباس (٨٤) وبستان القس (٨٥) وبعض الاقطاعات (٨٥) وبعض الدور والسكك (٨٧) وبركة زلزل (٨٨) وقطيعة الربيع (٨٨) وطاقا الحراني (٩٠) والانهر والقطائع (٩١) والسويقات (٩٣) ومربعة الحرشي وقصر رخج (٩٤) والدروب (٩٦) وسوق الثلاثاء (٩٩) وحوض داود (٩٧) وسجن المنصور (١٠٧)

وروى الخطيب ايضاً احد عشر نصاً عن وكيع الذي نقلها بدوره عن راوية آخر فقد نقل الخطيب رواية وكيع عن ابن الاعرابي حول انحراف القبلة (١٠٧) وعن الحارث بن اسامة حول البطريق والاسواق (٨٠) وتاريخ اكمال الرصافة (٨٢) وعن ابي هيثم الفراش حول اقطاع المسيب (٨٥) وعن ابي زيد الخطيب عن جهار سوق المنار (٨٥) وعن يحيي بن الحسن بن عبد الخالق عن دار عباد (٩٦) وعن بعض الخطط (٧٠) وعن احمد ابن الحارث العتابي عن مصادر ابواب بغداد (٧٥) وعن احمد بن ابي طاهر عن مربعة العباس (٨٤) وعن مساحة بغداد (١٢٠) وبادوريا (٨٨) .

وقد نقل الخطيب رواية وكيع عن احمد بن الخليل بن مالك عن ابيه حول جسور بغداد (١١٥) وما رواه عن محمد بن ابي علي عن محمد بن عبدالمنعم بن ادريس عن هشام بن محمد (الكلبي) حول المخرم (٩٥) .

يبدو ان الخطيب نقل نصوصه من كتاب مدون الفه القاضي وكيع ، وانه كانت لهذا الكتاب منه روايتان بينهما بعض الاختلاف ، وان الخطيب اطلع على كلتا الروايتين لكنه فضل احداهما فأكثر النقل عنها ، ولم يهمل الثانية بل نقل عنها نصين على الاقل .

والنسخة التي اعتمدها الخطيب ونقل عنها اكثر نصوصه عن القاضي وكيع هي رواية محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب عن محمد بن جعفر النحوي عن الحسن بن محمد السكوني عن محمد بن خلف وكيع ، فاما الوراق فهو محمد بن علي بن محمد بن مخلد بن خداش بن عجلان المتوفى سنة ٤٢٢هـ وقد ذكر الخطيب اسمه بعدة صور هي : محمد بن علي الوراق ومحمد بن علي بن مخلد ، وابن مخلد . وقد ترجم له ترجمة قصيرة ذكر فيها « وكتبت عنه » (٣ / ٩٤ ـ ٥) .

اما احمد بن علي المحتسب فهو احمد بن علي بن الحسين بن محمد بن موسى المحتسب المعروف بابن التوزي (٢٦٤ ـ ٤٤٢هـ) وقد ذكره الخطيب مرة على احمد بن علي ، ومرة على احمد بن علي المحتسب ، ومرة على « التوزي » . وترجم له ترجمة مقتضبة ذكر فيها انه « كثير الكتاب .. كتبت عنه وكان صدوقاً » (٤ / ٣٢٤)

لقد ذكرنا ان محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب رويا عن محمد بن جعفر النحوي المعروف ايضاً بابن النجار (٣٠٣ ـ ٤٠٢ هـ) وقد الف محمد بن جعفر هذا كتاباً في تاريخ الكوفة نقل عنه ياقوت في ارشاد الاريب (٣/٦٩ ، ٤/٢٤٥ ، ٥/١١٣ ، ٦/٤٦٨) ومعجم البلدان (٣/٨٤٨ ؛ ٤ / ٥٦٨/ ٦٣٣) . وقد ترجم الخطيب لمحمد بن جعفر وذكر انه من اهل الكوفة ، وأنه قدم بغداد وحدث بها عن « الاشناني والحريري وابن مروان والمحاربي وابن دريد ونفطويه وابي روق الهمداني ومحمد بن يحيى الصولي ،

وذكر أيضاً « حدثنا عنه محمد بن علي بن مخلد الوراق واحمد بن علي بن التوزي » .

اما الحسن بن محمد السكوني فلم يترجم له الخطيب ، وفعل ذلك القهبائي في مجمع الرجال (٢ / ١٤٨) والتستري في الرجال (٣ / ٢٣٣) والاردبيلي في جامع الرواة (٢٢٤) وكرروا القول بانه « الحسن بن محمد بن الحسن السكوني السكوني ابو القاسم وروى عنه التلعكبري وسمع منه في داره بالكوفةسنة ٣٤٤ » . وقد ذكره كل من ابن المطهر في خلاصة الاقوال (٥٩٥) والحسن بن داود في الرجال (٤٤) الحسن بن الحسين السكوني ، ولا نعلم اذا كان المقصود هو الحسن بن محمد السكوني الراوية ام انهما شخصان مختلفان .

ويبدو ان الخطيب اعتبر السكوني راويها المعتمد فهو يقول « وذكر باب خراسان كان قد سقط من الكتاب فلم يذكره محمد بن جعفر عن السكوني وانما استدركناه من رواية غيره » (١ / ١٧٢) وواضح من هذا النص ان لمحمد بن خلف كتاباً مؤلفاً نقلت عنه النصوص .

وجاءت روايتان عن وكيع لم يذكر الخطيب سندها بل اكتفى بالقول « فيما بلغني عنه » (١ / ٧٢ ، ٧٣) وبالاضافة الى ذلك توجد ايضاً روايتان نقلها الخطيب عن طريق ابي عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع عن علي بن محمد بن السري الهمداني عن محمد بن خلف (١ / ٩١ ، ٩٤)

ولا نعلم من اي كتب وكيع نقل الخطيب النصوص المتعلقة بخطط بغداد ، لان النص الذي نقلناه فيما مر يدل على ان الخطيب نقل عن احد كتب وكيع ، لكنه لا يصرح اي كتب وكيع جاء منه النقل ، فهو بالرغم من كثرة ما نقل عن وكيع لم يذكر في ترجمته « انه الف كتاباً عن بغداد ، بل يقتصر على القول انه « محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد ابو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع كان عالماً فاضلا عارفاً بالسير وايام الناس واخبارهم ، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الطريق وكتاب الشريف ،

وكتاب عدد آى القرآن والاختلاف فيه » . ويروى ايضاً انه « كان من اهل القرآن والفقه والنحو له تصانيف كثيرة في اخبار القضاة، وفي عدد آى القرآن وكتاب الشريف ، والرمى والنضال ، والمكاييل والموازين ، وغير ذلك » (٥ / ٢٣٦ ـ ٧) ويذكر ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٦) ان لوكيع « كتاب اخبار القضاة وتاريخهم واحكامهم ، كتاب الشريف يجري مجرى المعارف لابن قتيبة ، كتاب الانواء ، كتاب الغزو وأخباره ، كتاب المسافر ، كتاب الطريق ويعرف ايضاً بالنواحي ويحتوي على اخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه ، كتاب التصرف (لعله الصرف) والنقد والسكة كتاب البحث » . وقد ذكر المسعودي فى مقدمة مروج الذهب مؤلفات العرب في التاريخ ومنها « الكتاب الشريف تأليف ابي بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع القاضي في التاريخ وغيره ... »

ويتبين من ذلك أن نصوص خطط بغداد ربما كانت من كتاب اخبار البلدان او الكتاب الشريف ، وكلاهما مفقود ولم يشر احد الى محتواهما او ينقل منهما .

والمصدر الرئيس الثاني من حيث الكمية ، الذي استقى منه الخطيب معلوماته عن خطط بغداد هو ابراهيم بن محمد بن عرفه الازدي المعروف بنفطويه (المتوفى سنة ٣٢٣ هـ) فقد اخذ عنه معلومات عن الطالع (٦٧) وثورة اهل الكرخ واسواقها (٧٩) وشارع القحاطبة (٨٥) والقطائع (٨٨ ، ٩٢) وقطيعة العباس (٩٥) ودار اسحق (٩٣) وقصر رخج (٩٤) ونهر المهدي والمعلى (٩٦) وحوض داود (٩٧) وقصور بغداد الشرقية (٩٨) .

لقد استمد الخطيب معلوماته من نفطويه عن طريق ابي القاسم الازهري عن احمد بن ابراهيم بن الحسن عن ابيه عن ابراهيم بن محمد بن عرفه ، دون ذكر اسم الكتاب الذي اخذ منه الخطيب هذه المعلومات عن ابن عرفه ، وجدير بالذكر ان الخطيب عند ما ترجم لابن عرفه هذا لم يذكر له غير كتابين هما « غريب القرآن » و « التاريخ » (٥/١٥٩ ـ ٦٠) اما ابن النديم فقد ذكر بالاضافة الى ذلك كتباً اخرى في القراءات والنحو واللغة والعقائد (١٢١)

وقد نقل ياقوت عن ابن عرفة فى عشرة مواضع من معجم البلدان نصوصاً لا علاقة

لها بخطط بغداد ولا اشارة الى الكتاب الذي نقلت منه . اما المسعودي فانه يعدد في مقدمة كتابه مروج الذهب المؤلفات العربية في التاريخ ويذكر من ضمنها « تاريخ ابي عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي المعروف بنفطويه فحشو من ملاحاة كتب الخاصة مملو من فوائد السادة ، وكان احسن اهـل عصره تأليفاً واصلحهم تصنيفاً » ولعل الخطيب نقل عن نفطويه في خطط بغداد من هذا الكتاب المفقود الذي لا نعلم احداً نقل عنه غير الخطيب .

نقل الخطيب مباشرة عن هلال بن المحسن ستة نصوص عن خطط بغداد ، وهي تتعلق بدار الخلافة والتاج (٩٩) والحرم (١٠٥) والمسجد (١٠٩) والجسور (١١٦) والسميريات (١١٧) والحمامات (١١٨) . ونقل بواسطة هلال عن ابي الحسن بن بشر بن علي بن عبيد النصراني حول الازدحام في بغداد (٧١) ومن ابي نصر خواشاذ خازن عضد الدولة حول دار الخلافة (١٠٠) ومن جماعة عارفين حول زيارة رسول ملك الروم (١٠٠) ومن ابن ام شيبان عن هذه الزيارة ايضاً (١٠٢)

لم يذكر الخطيب من اي كتب هلال نقل هذه النصوص . ومن المعلوم ان هلال بن المحسن الصابي (٣٥٩ ـ ٤٤٨) الف عدة كتب منها كتاب الاماثل والاعيـان ، وكتاب التاريخ الذي اشتمل على الحوادث التي جرت بين سنتي ٣٦٠ ـ ٤٤٧ ، وكتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، وكتاب الرسائل ، ورسوم دار الخلافة ، والسياسة ، وغرر البلاغة ، والكتاب، ومآثر اهله ؛ كما الف عن بغداد كتاباً نقل عنه ياقوت اربعة نصوص عن دار الخلافة (٢ / ٢٥٥) والانحلال الذي اصابها وتناقص الزروع فيما بين المحول والسندية (٢ / ٥٤٢) وفي درتا من نواحي الكوفة (٢ / ٥٦٥) وفي قصر ابن هبيرة (٤ / ١٢٣)

كما نقل عن هلال نصوصاً عن أبرقباذ (١ / ٩٠)و بردعة (١ / ٥٥٨) والمبارك (٤ / ٤٠٩) والرواية المنقولة عن دار الخلافة هي نفسها التي رواها الخطيب ، مما يرجح ان الخطيب اخذ رواياته عن كتاب التاريخ .وجدير بالذكر ان صاحب كتاب مناقب بغداد نقل

عن هلال بن المحسن نصاً يتعلق بما حدث من انحطاط في احوال بغداد في اواخر عهده (٣٣) ولما كان معظم ما نقله ياقوت من هلال نصوصاً تتعلق بانحطاط بغداد في اواخر حياة هلال الصابي ، فانه يمكن القول ان هلال اهتم بدراسة « بغداد وذكر خرابها » كما يقول ياقوت (٤ / ١٢٣) ولعل هذا هو العنوان الاصلي لكتاب هلال . ومهما يكن الأمر فان النصوص المنقولة عن هلال تتعلق باحوال بغداد في القرن الرابع الهجري ، فهي تصف الاحوال التي وقعت في زمن مؤلفها ولا تتطرق الى خطط بغداد واحوالها في اوائل عهد تأسيسها.

ونقل الخطيب عن ابراهيم بن مخلد القاضي عن اسماعيل بن علي الخطبي اربعة نصوص : واحد منها عن انشاء المهدي قصر السلام بعيساباذ (٩٧) والثلاثة الاخرى عن توسيع جامع المنصور (١٠٨) وعن سقوط راس القبة الخضراء (٧٣)

لقد كان ابراهيم بن مخلد (٣٢٥ ـ ٤١٠ هـ) من شيوخ الخطيب وقد ترجم له في الجزء السادس وقال « كتبت عنه » اما اسماعيل بن علي الخطبي (٢٦٩ ـ ٣٥٠ هـ) فقد ترجم له في الجزء السادس (ص ٢ ـ ٣ ـ ٥) وذكر انه « صنف تاريخاً كبيراً على السنين » وقد ذكر ابن النديم هذا الكتاب (٢٤٣) ويبدو ان النقل جاء من هذا الكتاب .

ونقل الخطيب بسند عن محمد بن الحسين بن الفضل القطان عن عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي عن يعقوب بن سفيان اربعة نصوص عن تاريخ انهاء البناء (٦٧) وتاريخ الانتقال الى الكرخ (٧٩) ومسجد الرصافة زمن المهدي (١٠٩) وبناء الخلد ونصب الجسر (١١٥)

ومحمد بن الحسين بن الفضل القطان ذكره الخطيب وقال انه توفي سنة ٣٠٦ هـ وانه روى عن عمرو بن الفلاس كتاب التاريخ (٢[٢٣٢) ولما كان الفلاس محدثاً بصرياً مشهوراً (١٢ / ٢٠٧) فالراجح ان المعلومات الواردة في كتاب الخطيب لم تؤخذ من هذا الكتاب .

اما عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي (٢٥٨ ـ ٣٤٧ هـ) فقد ترجم له الخطيب

وذكر انه حدّث عن عدد من العلماء منهم يعقوب بن سفيان النسوي » وحمل عنه من علوم الادب كتب عدة صنفها منها تفسير كتاب الجرمي ، ومنها كتابه في النحو الذي يدعى الارشاد ومنها كتابه في الهجاء وهو من احسن كتبه .. وحدثنا عنه ابو الحسن بن رزقويه وابو الحسين بن الفضل وابو علي بن شاذان .. سألت البرقاني عن ابن درستويه فقال ضعفوه لانه لما روى كتاب التاريخ عن يعقوب بن سفيان انكروا عليه ذلك وقالوا له انما حدث يعقوب بهذا الكتاب قديماً فمتى سمعه ؟ وفي هذا القول نظر لان جعفر بن درستويه من كبار المحدثين وفهمائهم وعنده عن علي بن المديني وطبقته فلا يستنكر ان يكون بكّر بابنه في السماع عن يعقوب بن سفيان وغيره مع ان ابا القاسم الازهري قد حدثني قال رأيت اصل كتاب ابن درستويه بتاريخ يعقوب بن سفيان لما بيع من ميراث ابن الأبنوس فرأيته اصلا حسناً ووجدت سماعه صحيحاً »(٩ / ٤٢٨) وقد ذكر له ابن النديم عدداً كبيراً من المؤلفات ليس فيها كتاب في التاريخ (٩٢ ـ ٤)

ولم يترجم الخطيب ليعقوب بن سفيان ، كما ان صاحب لسان الميزان ترجم له ترجمة غامضة ذكر فيها رواته (٦ / ٣٠٧)

ويتبين مما ذكره الخطيب من ترجمة ابن درستويه ان المعلومات التي نقلها مستمدة من كتاب التاريخ .

وقد نقل الخطيب عن ابي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ثلاثة نصوص احدها عن عبدالباقي بن قانع حول تسمية سويقة ابي الورد (٨٧) والثانية عن محمد بن يحيى عن محمد بن موسى المنجم حول ارتفاع مدينة بغداد (٨٢) والثالثة نقلها المرزباني عن كتاب بخط عبدالله بن ابي سعد الوراق عن عبدالله بن محمد بن عياش التميمي عن جده عياش ، وهي عن حرس أبواب بغداد (٧٠)

وترجم الخطيب للمرزباني (٢٩٦ ـ ٣٨٤ هـ) وذكر انه « حدث عن ابي القاسم البغوي وابي حامد محمد بن هارون الحضرمي واحمد بن سليمان الطوسي وابي بكر بن دريد وابي

ونقله عنها نصوصاً نموذجية لها قيمتها الخاصة في دراسة خطط بغداد . وان تشابه المادة في بعض ما ورد مع المادة الموجودة في بعض الكتب كالطبري وابن سرابيون يفيد في تدقيق طبع هذه الكتب وتصحيحها ، اما المادة الجديدة فتبقى ذات أهمية خاصة لدراسة خطط بغداد تكمل المادة التي قدمها اليعقوبي وخاصة عن وضع المدينة في أوائل عهد تاسيسها .

* * *

خصص ابن الفقيه الهمداني لبغداد وخططها اربعين صحيفة (٢٩ ـ ٦٩) من كتابه «البلدان» ، وهذه الصفحات موجودة في مخطوطة محفوظة بمشهد الرضا ويفتقدها المختصر المطبوع من الكتاب . وقد بحث الهمداني اشتقاق اسم بغداد وتأسيسها وخططها وخصائصها وسكانها بالتفصيل ؛ وقد ذكر مصادره عن بعض ما نقل ، ولكنه أغفل مصادر كثير مما نقل . غير اننا إذا قارنا ما ذكره بما ورد في الكتب الاخرى نستطيع معرفة كثير من المصادر التي اغفلها ونتمكن من تقييم المعلومات التي أوردها عن بغداد . وسنصنف فيما يلي مادته تبعاً لمصادرها وليس تبعاً لتسلسل كتابتها في المخطوطة .

١ — لقد أشار بصراحة الى نقله عن احمد بن أبي طاهر نصاً عن مساحة بغداد ، وعن يزدجرد ابن مهمندار في ذم مصر ومقارنتها ببغداد ، وعن أحمد بن الطيب السرخسي عن سعة بغداد وفطنة أهلها .

٢ — وأورد في القسم الاخير من كلامه عن بغداد صفحات كثيرة لم يشر إلى مصدره وفيها معلومات لم نستطع معرفة أصولها ، وهي تتناول وصف بغداد وخصائصها . وكذلك اشعار في مدح بغداد والشوق اليها ؛ مع ذكر أسماء بعض ناظميها ومنهم الحسن ابن أبي الرعد ، وهرون الرشيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وقد ذكر هذه المعلومات بعد النص المنقول عن ابن أبي طاهر ، مما قد يدل على انه نقلها منه .

كما أورد كلاماً طويلاً عن مقارنة بغداد بمصر ، وهذا الكلام مذكور بعد النص المنقول عن يزدجرد بن مهمندار مما قد يدل على انه أخذها عن يزدجرد .

وبحث أيضاً عن تجارة بغداد مع الشرق الأقصى عن طريق الأبله ، ومع الموصل ، ومع خراسان وأهمية موقعها كعاصمة للدولة .

كما بحث في تقدير عدد سكانها مستنبطاً ذلك من طول سورها ، وحماماتها ، وجوامعها، وعدد بيوتها ، وما تستهلكه من دهن للاضاءة ، ومن الفواكه والخضرات ، والمواد العطارية ، واللحوم والحنطة ، وجباية الجوالي ومسكوكات الدراهم . ومعظم هذه المواضيع بحثها يزدجرد بن مهمندار على ما يذكر صاحب كشف الظنون (١/٢٨٨) كما أشرنا الى ذلك من قبل . ولعل الهمداني نقلها من يزدجرد رغم انه ينص على ذلك صراحة .

٣ — ان مقداراً كبيراً من المعلومات التي أوردها الهمداني عن بغداد يمكن معرفة أصولها عند مقارنتها بما ورد في المصادر الاخرى . . وهذه الأصول هي :

١ — البلاذري : فقد نقل الهمداني كل ما جاء في باب « أمر مدينة السلام » من فتوح البلدان غير ان الهمداني قسم هذه المادة قسمين ، وضع القسم الأول منها (المذكور في ص ٢٩٤ من البلاذري) في أوائل مقاله ؛ ووضع الباقي (المذكور في ص ٢٩٤ — ٢٩٧ من البلاذري) في أواخر مقاله منسوباً الى ابن الكلبي ، الذي يصرح البلاذري بانه اقتبس هذه المعلومات منه ؛ ويبدو ان الهمداني أخذ من فتوح البلدان أيضاً خبر إغارة المثنى على سوق بغداد .

ومع ان الهمداني نقل حرفياً عن البلاذري ، إلا أنه أغفل ما ذكره البلاذري عن الصالحية ، واقطاع كل من سليمان بن مجالد ، والمهلهل ، وسبيل ، كما ان يختلف عن النسخة المتداولة من البلاذري في قراءة بعض الكلمات .

ب — *نصوص محمد بن خلف وكيع التي أوردها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .*

١ — *نقل الهمداني ما رواه الخطيب عن محمد بن خلف وكيع فيما يتعلق بخطط الجانب الشرقي من بغداد* ؛ وقد حافظ النقل على المادة المذكورة وترتيب عرضها . غير انه حذف ما ذكره وكيع عن قنطرة البردان ، وشارع عبد الصمد ، وخان أبي زياد ؛ وأورد معلومات

اضافية لم يذكرها الخطيب فيما رواه عن وكيع عن شارع الميدان ، ودار الربيع ، وقصر الطين ، وخان وردان ، وبعض أنهار شرقي بغداد ، وتفاصيل اضافية عن طاق اسماء ، وقصر أم حبيب ، وسوق العطش ، ودارو ج ؛ كما أورد عن بيع السويق ببغداد معلومات تختلف عما ذكره الخطيب .

٢ — نقل الهمداني كثيراً من المعلومات التي أوردها الخطيب عن وكيع في فصله عن « محال مدينة السلام وطاقاتها .. » . وكثيراً ما كان النقل حرفياً ، غير ان الهمداني لم يتبع نفس التسلسل الذي اتبعه وكيع ، بل قدم بعض النصوص وأخر بعضها ، ولكنه على تسلسل ذكر بعض الاماكن .

كما ان الهمداني لم يذكر ما رواه الخطيب عن وكيع حول ربض أبي أيوب الخوزي ومربعة أبي قرة ، وربض ابراهيم بن حميد ، وعبد الملك بن حميد ، وحميد بن ابي الحارث وعمرو بن المهلب ، وابراهيم بن عثمان بن نهيك ، ومنارة حميد الطوسي ، وكثير من المعلومات عن دور الصحابة ، وأبي دلامة ، ودار عمرو بن مسعده ، ودار صالح المسكين ، وأبي يزيد الشروي ، وسكة مهلهل ، وصحراء أبي السرى ، وقطيعة اسحق بن الأزرق الشروي ، وقطيعة الربيع ، وقطيعة الانصار ، وقطيعة الكلاب ، وسكك المدينة المدورة ، والربيدية ، ودور بني نهيك ، ودرب جميل ؛ ومسجد الانباريين ، والياسرية ، وقطيعة خزيمة ، ودار اسحق بن ابراهيم . وكذلك عن ايوان المنصور ، والقبة الخضراء ، ومنفذ المنصور السري ، والموكلون بالأبواب ؛ كما قدم الخطيب تفاصيل أوفى عن الطاقات .

وذكر الهمداني معلومات غير موجودة في الخطيب عن ربض الحربية ، والمراوزة ، وعتيك بن هلال ، وابي العباس الطوسي ، ودار البطيخ ، وقطيعة عقبة بن جعفر ، وقصر الوضاح ، والمسجد الكبير ، والقرار ، ومربعة الفضل بن سليمان ، ودرب البخارية ، وربض عمرو بن اسفنديار ، وربض رشيد ، وربض عبد بن حميد ، وقطائع الموالى ، والسرخسية ،

وطاقات الراوندي، ودار عمارة ، وربض ابي حنيفة ، وقصرهاني بن بشير ، ودويرة مبارك وربض الخوارزمية ، وربض سعيد بن حميد بن دعلج ، ومنارة الحكم بن ميمون ، وبعض التفاصيل عن العباسية ، والنوبختية ، ودرب الناووس .

٣ — ذكر الهمداني في اول فصله عن بغداد اصل تسميتها ، وبحث المنصور عن مكان لانشاء عاصمته ، وموقف اهل الكوفة وصفة المدينة المدورة ، وابوابها واسوارها ، وابعادها ، وتخطيطها ، وحجم اللبن ، ومحاولة هدم القصر الابيض ، وقصة البطريق والاسواق ، وعيوب المدينة المدورة ، وبناء الرصافة ، وتكاليف البناء ، وطالع النجوم ، والموكلون بالبناء . والقرى التي كانت في موقع بغداد وهي المباركة والترابية ، والخطابية وقرية بنو زرارى والوردانية والشرفانية وما ورى ، وموضع بركة زلزل ، واقطاع الربيع وورثالا ، ونهر طابق ، وبراثا ، ونهر كرخايا .

ان هذه المعلومات وردت في الطبري ، وفي ما رواه الخطيب عن وكيع بنفس التسلسل تقريباً . ومع ان وكيع نقل عن شيوخ الطبري ، الا انه لم يشر الى نقله عن الطبري ؛ فاذا اعتبرنا ان الطبري ووكيع مصدران مستقلان ، فمن الصعب ان نجزم في ايهما اخذ الهمداني .

لقد ذكر الهمداني بحث المنصور عن مكان لعاصمته ، وافساد اهل الكوفة جند المنصور ، ونصيحة خالد البرمكي للمنصور الا يهدم القصر الابيض ، وتمزق طيلسان الدهقان والخطابية . وهي معلومات ذكرها الطبري ولم يذكرها الخطيب فيما نقل عن وكيع غير ان الهمداني ذكر اشتقاق اسم بغداد ، وورثالا ، وبراثا وكرخايا والترابية كما وردت عند الخطيب وهي غير مذكورة في الطبري ؛

اما المعلومات التي عن خصائص المدينة المدورة ، وابعادها ، وابوابها وواضع تخطيط المسجد الجامع ، ووزن اللبن ، وقصر البطريق والاسواق وعيوب المدينة المدورة وانشاء الكرخ، وانشاء الرصافة ، والتكاليف، والقرى التي كانت في موقع بغداد ، ونهر طابق، فهي

عبد الله نفطويه وابي بكر الانباري ومن في طبقتهم بعـــدهم ؛ حدثنا عنه القاضيان ابو عبد الله الصيمري وابو القاسـم التنوخي .. كان صاحب اخبار ورواية للادب وصنف كتباً كثيرة في اخبار الشعراء المتقدمين والمحدثين على طبقاتهم وكتباً في الغزل والنوادر وغير ذلك ، وكان حسن الترتيب لما يجمعه ، غير أن اكثر كتبه لم تكن سماعاً له وكان يرويها اجازة (٣/١٣٥ـ٦) .

وقدخصص له ابن النديم ثلاث صفحات ، ووصفهبانه « آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين ، راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات » ويذكر انه عاش ما بين٢٩٧ـ٣٧٨ وعدد له كتباً كثيرة في الشعراء وغيرها . ولا نعلم من اي الكتب اخذ الخطيب ما نقله عنه من نصوص عن بغداد .

نقل الخطيب عن عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفي نصين ، احدهما نقله عبيد الله عن الحسن بن علي بن عمر الحافظ عن ابن دريد حول المخرم (٩٥) والثاني نقله عبيد الله عن محمد بن عبد الله بن ايوب عن ابي العباس احمد بن عبد الله بن عمار الثقفي عن أبي ايوب ، وهو حول هدم المنصور دور الصحابة (٩٥) .

وقـــد ترجم الخطيب لعبيد الله فذكر انه عاش بين ٣٥٥ ـ ٤٣٥ هـ وانه روى عن كثيرين ، وكان احد المكثرين من الحديث كتابة وسماعاً ومن المعنيين به والجامعين له (١٠/٣٨٥) ولكنه لم يذكر له كتاباً .

نقل الخطيب روايات مفردة عن خطط بغداد الاولى دون ان نعرف مؤلفات اصحابها وهي :

(١) ابو عمر الحسن بن عثمان بن احمد الفلو الواعظ عن جعفر بن محمد بن احمـــد بن الحكم الواسطي عن الفضل العباس بن احمد الحداد عن احمد البربري : وهي عن مساحة بغداد ونفقاتها (٦٩) .

(٢) أبو الفضل ـ أبو الطيب البزاز ـ خاله قيم بدر غلام المعتضد : مساحة بغداد (٦٩) .

(٣) محمد بن اسحق البغوي ـ رباح البناء : ابعاد المدينة المدورة (٧١) .

(٤) الحسين بن محمد المؤدب ـ ابراهيم بن علي النشطي ـ ابو اسحق الهجيمي ـ محمد بن القاسم ـ الربيع : نفق بغداد (٧٧) وانتقاء الرومي لبغداد ٧٨ .

وقد اورد الخطيب في الصفحات التي خصصها للخطط تسعة نصوص لا علاقة لمحتواها بخطط بغداد ، وستة نصوص فيها شعر ؛ ورواتها وهم :

١ ــ ابو عبد الله احمد بن محمد بن عبد الله الكاتب عن ابن ميثم عن احمد بن عبيد الله ابن عمار عن محمد بن داود الجراح (لم يمت فيها خليفة ٦٨) .

٢ ــ ابو الحسن محمد بن رزق البزاز ـ جعفر الخلدي ـ الفضل بن مخلد الدقاق ـ داود ابن جعفر بن شبيب بن رستم البخاري (الاسعار زمن ابي جعفر ٧٠) .

٣ ــ الحسن بن ابي بكر ـ عثمان بن احمد الدقاق ـ الحسن بن سلام السواق ـ الفضل ابن دكين (الاسعار في الكوفة ٧٠) .

٤ ــ الجاحظ (احكام بناء بغداد ٧٧) .

٥ ــ الحسن بن ابي طالب ـ ابو عمر محمد بن العباس الخزاز ـ ابو عبد الله الناقد ـ محمد بن غالب ـ عبد الرحمن بن يونس ـ الواقدي (ذم الكرخ ٨١) .

٦ ــ محمد بن الحسن الاهوازي ـ ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ـ ابو العباس بن عمار ـ ابن ابي سعد احمد بن كلثوم (نسب ابي دلامة ٨٦) .

٧ ــ ابو الفضل عيسى بن احمد بن عثمان الهمداني ـ ابو الحسن بن رزقويه ـ القاضي الجعابي (مرور على بغداد ٩٠) .

٨ ــ ابو عبد الله الحسين بن علي الصيمري ـ احمد بن محمد بن علي الصيرفي ـ القاضي الجعابي (مرور علي بغداد ٩٠) .

٩ — الوزير ابو القاسم علي بن الحسن بن المسلمة ـ الخليفـة القائم ـ الخليفة القادر ـ زوجة المقتدر (زيارة رسول ملك الروم بغداد ١٠١) .

١٠ — محمد بن احمد بن مهدي الاسكاف (موت هيلانة ٩٩) .

اما النصوص المقصورة على رواية أبيات شعر تتعلق ببغداد فرواتها هم :

(١) الحسن بن بكر بن شاذان ـ أبيه ـ أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة (٨١) .

(٢) الحسن بن أبي بكر ـ أحمد بن كامل القاضي ـ محمد بن موسى ـ محمـد بن أبي السرى ـ الهيثم بن عدي (٨٢) .

(٣) أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله المعدل ـ عثمان بن أحمد الدقاق ـ محمد بن أحمد ابن البراء ـ علي بن يقطين (٨٢) .

(٤) علي بن محمد بن عبد الله المعدل ـ الحسين بن صفوان البردعي ـ أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أبي الدنيا (٩٢) .

(٥) محمد بن أحمد بن رزق ـ عثمان بن أحمد الدقاق ـ محمد بن أحمد بن البراء ـ علي بن أبي مريم (٨٦) .

(٦) أحمد بن أبي علي الاصبهاني ـ أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سـعيد السكري ـ محمد بن يحيى الصولي ـ الغلابي ـ محمد بن عبد الرحمن .

أما النصوص التي أورد فيها الخطيب معلومات من عنده فهي قليلة واكثرها تعليقات على مروياته من المصادر الأخرى وتشمل :

(١) تعليق على قول أحمد بن حنبل ان بغداد من الصراة الى باب التبن (٧١) وفيه معلومات عن الخطاط بغداد في زمنه .

(٢) تسمية قصر المنصور الخلد وموضعه واندراسه في زمن المؤلف (٧٥) .

(٣) القنوات التي مدها المنصور في مدينته وفي الكرخ واندثارها في زمن المؤلف (٧٩) .

(٤) عمارة طغرلبك دار المملكة (١٠٦) .

(٥) تعليقات قصيرة على تسميات بعض المحال وهي عسكر المهدي (٨٣) شيرويه (٨٤) العباسية (٩٥) وكذلك مناقشة بعض الآراء عن استهلاك بغداد للسويق في زمنه (١١٩) .

(٦) اطراء بغداد (١١٩) .

(٧) مساجد الشيعة ببغداد (٨١ ، ٩٠).

ويتبين من هذا ان النصوص التي أضافها الخطيب من عنده قليلة جداً نسبياً ، وهي تعكس انحطاط بغداد في زمنه ، فهي تكمل نصوص هلال بن المحسن الصابي ؛ كما ان هذه النصوص توضح اتجاهه العقائدي .

أما بقية المادة التي أوردها فقد اعتمد فيها على رواة متعددين أغلبهم عاشوا في القرن الرابع الهجري ، أي في الفترة التي وصلت فيها بغداد الى أوج العمران ؛ ولم يذكر الخطيب كتب الرواة الذين اعتمد عليهم ، ونسبة ما نقل مما أهمل ، ومبرره في نقل بعض النصوص وإهمال البعض الآخر كما ان ذكره السند كاملاً يسبب ارباك الباحث الذي يريد معرفة المصدر المسؤول عن الخبر . ومن حيث العموم فان أغلب ما روى يتعلق بوضع بغداد أيام تأسيسها أما النصوص التي تمثل الفترة المتأخرة فهي قليلة نسبياً ، ولا يستطيع المرء أن يحصل على فكرة واضحة مما كتبه عن تطور خطط بغداد بصورة شاملة .

لم يعتمد الخطيب على الكتب المشهورة عندنا كالطبري واليعقوبي ، فلم يشر إلى الاول إلا مرة واحدة (٦٦) أما الثاني فقد نقل عنه نصين دون أن يشير إلى اسمه . وعلى كل فان الخطيب استوعب المادة المهمة الموجودة في الطبري ، كما استوعب ما أورده سهراب عن أنهار بغداد ، ولكنه لم يستوعب ما كتبه اليعقوبي عنها ، هذا فضلاً عن أنه أورد نصوصاً من كتب مفقودة لها أهمية كبيرة لأنها غير موجودة في الكتب المتداولة عندنا .

وبهذا يكتسب الخطيب أهميته الخاصة من حيث تعريفنا بعلماء أو كتب بحثت خطط بغداد،

موجودة في كلا الكتابين الامر الذي يجعل البت صعباً في تقرير اي المصدرين اعتمده الهمداني.

ومن حيث العموم فان الهمداني اورد كافة ما ذكره الطبري تقريباً ، مع حذف بعض الروايات المتعددة عن الامر الواحد ، وكذلك خبر انحراف قبلة جامع المنصور وسير عيسى بن علي محمولاً ، وثورة ابي زكريا المحتسب، وطريق المنصور السرى ، وتفاصيل تكاليف البناء .

كما ان الهمداني اورد المعلومات التي اوردها الخطيب (وقد ذكر الخطيب بعض القرى التي كانت في موضع بغداد في ص ٢٢) ولكنه اضاف خبر تجار الصين وان اسم مدينة السلام هو الذي يذكر في السكة والاشربة والغلات ، كما اختصر بعض الروايات المتكررة عن بغداد . ولما كان وصف الخطيب خطط بغداد مأخوذاً من وكيع فالراجح ان الهمداني نقل عن وكيع الذي ربما اعتمد بدوره على الطبري وادخل مادته في بحثه ثم اضاف اليه .

ونختتم مقالنا هذا بالاشارة الى ما كتبه ابن عقيل عن بغداد في عصره الذي يعقب الخطيب . ان نص ابن عقيل نقله صاحب كتاب مناقب بغداد الذي نشره الاستاذ بهجت الاثري . وقد ترجم هذا النص وعلق عليه وحلله الاستاذ جورج مقدسي في مقالين نشرهما في مجلة Arabica سنة ١٩٦٣ .

صالح أحمد العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن :

جابر بن حيان

الدكتور فاضل الطائي

لقد احتل اسم ابن حيان مكانة مرموقة بين اسماء من اشتغل بالعلوم ـ سيما علم الكيمياء ـ لم يتسنى لغيره الوصول اليها طوال القرون المحصورة بين الثامن والسابع عشر لا في مشرق الارض ولا مغربها ، نظراً لكثرة ما ألف من رسائل وكتب في مواضيع علمية مختلفة وغيرها ، وللمهارة التجريبية التي امتاز بها عن سواه . ولا بد لي في هذا المجال ان اتطرق الى مفهوم الكيمياء قديماً وكيف تطور على مر السنين وانتهى الى ما نفهمه في الوقت الحاضر .

لقد كانت الكيمياء قديماً صناعة يحرص محترفوها على كتمان سرّها باحاطتهم اياها بهالة من الغموض والسحر ولعلّ أول من ابتدأ بالعناية بالكيمياء هم المصريون والعرب والفينيقيون واليهود واليونان والرومان ، وقد اختلف المؤرخون في اصل كلمة « كيميا » فمنهم من يقول بأنها اشتقت من لفظة « شمي » ومعناها الحرق او الارض السوداء ، وقد قرن البعضُ الارضَ السوداء بمصر حيث عرفت مصر بالارض السوداء قديماً واستطرد بالقول حتى عبر عن الكيمياء بأنها «الصناعة المصرية [1] » ويرى غيرهم ان لفظة الكيمياء قد حوّرت عن اللغة العبرية للفظة « شامان » وتعني السر او الغموض . ومهما يكن

الاختلاف في اصل الكلمة واشتقاقها فهو لا يغير من الواقع شيئاً اذ أن مصر اشتهرت بهذه الصناعة قبل غيرها وكانت الكيمياء علما او صناعة سرية وقفاً على الكهنة والروحانيين القدماء حتى أن المعامل والمختبرات قـــد بنيت داخل المعابد واديرة الكهنة منذ دخول الاسكندرونيين الى مصر .

لقد قُصد بالكيمياء قديماً عمل الذهب والفضة بالصناعة كما فصّل ذلك ابن خلدون في مقدمته ، ولكن يظهر لنا مما كتبه الشيخ الرئيس ابن سينا ان الناس كانوا في عهده على رأيين من حيث موضوع الكيمياء ، الواحد عمل الذهب والفضة بالصناعة والثاني صبغ النحاس بصبغ الفضة وصبغ الفضة بصبغ الذهب لا غير ، والظاهر ان فكرة الصبغ لم تكن مألوفة في اوربا لذا فانهم ذهبوا الى ما ذهب اليه ابن خلدون في مقدمته ، الا أن آرثر جون هوبكنز [٢] قد اثبت بالادلة التاريخية والعلمية ان مراد الكيمياويين القدماء كان الصبغ لا التحويل حيث قال « ان اقـدم كتابة لدينا في الكيمياء القرطاس المصري المحفوظ في مدينة ليدن وقد كتب قبل الكتابات المنسوبة الى ديموقريطس وروسيموس وسنسيوس . والوصفات المنسوبة الى ديموقريطس مشمولة بمباحث فلسفية ووصفات زوسيموس وسنسيوس موضوعـــة بكلام مبهم يعسر فهمه [*] » ويستطرد الاستاذ هوبكنز فيقول لما قام الامبراطور ديوقلتياتوس امر سنة ٢٩٠ للميلاد بنفي اهل الكيمياء كي لا يفتنوا بصناعتهم فيتمكنوا من الخروج عليه » .

وهكذا اختلف الناس قديماً في مفهوم الكيمياء فمنهم من آمن بصنع الفضة والذهب من المعادن البخسة ومنهم من ارتضى بتغيير لون النحاس الى لون الفضة والاخيرة الى لون الذهب . قال حجي خليفة في كشف الظنون نقلا عن الصفدي ان الناس في علم الكيمياء على طريقتين [٣] فقال كثير ببطلانه منهم الشيخ الرئيس ابن سـينا بمقدمات من كتاب

(*) توفي ديموقريطس سنة ٣٥٧ ق . م . وهو فيلسوف يوناني ويلقب بالفيلسوف الضاحك وزوسيموس مؤرخ يوناني نشأ في النصف الاول من القرن الخامس الميلاد وسنسيوس فيلسوف قيرواني يوناني توفي نحو سنة ٤٣٠ للميلاد

الشفاء [4] ، والشيخ تقي الدين احمد بن تيمية صنف رسالة في انكاره ، وصنف يعقوب الكندي ايضاً رسالة في ابطاله ، كذلك غيرهم ولكنهم لم يوردوا شيئاً يفيد الظن لامتناعه فضلا عن اليقين . وذهب آخرون الى امكانه ، منهم الامام فخر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في امكانه ، والشيخ نجم الدين بن البغدادي ردّ على الشيخ ابن تيمية وزيف ما قاله في رسالته ، ومؤيد الدين الطغرائي صنف فيه كتباً منها حقائق الاشهادات وبين اثباته والرد على ابن سينا .

وقال الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم الانصاري : « اذا اراد المدبر ان يصنع ذهباً نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت الطاهرين فيحتاج الى اربعة اشياء ، كمية كل واحد من ذينك الجزئين ، وكيفيته ، ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ ، وزمانه . وكل واحد منها عسر التحصيل . واما اذا اراد ذلك بأن يدبر دواءً وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا ويلقيه على الفضة ليمتزج بها ويستقرُ حالاً فيها ويكسوها لونَ الذهب ورزانته [**] ، فاستخراجُ ذلك بالتجربة يحتاج الى استقرارِ حالِ جميعِ المعدنيات وخواصها . وان استخراجه بالقياس فقدماتُه مجهولة ولا خفاء في عسرِ ذلك ومشقته » .

وقد كان جابر بن حيان ممن آمن بتحويل العناصر الخسة الى ذهب . ولكنه غالى في ذكاه من يتمكن من الحصول على الاكسير [5] وقد قال : « على الانسان الطالب لهذا الامر ان يكون ذكياً لأن هذه الصناعة تحتاج الى حجج وبراهين على اثباتها وكونها على غايتها وآنيتها وكميتها ليكون الداخلُ فيها داخلا على بصيرة من حاله ويقين من امره ليعلم الفصولَ والاثارَ الظاهرة فيكون سلوكه على يقين وعلم قاطع ولا يكون كمن يسلك في ظلماء ويخبطُ في عشواء فان هذه الصناعة ليست كائنة بالبحث ولا كيف جاء واتفق لكن انما يكون لذي الرأي الصحيح والقياس الواجب والدرس الدايم للعلم الحق الواضح . الخ [6] .

وهكذا انتهى الدور الاول للكيمياء بالمحاولات المضنية في صناعة الذهب من العناصر

(**) المقصود بالرزانة هو « الوزن النوعي » .

الزهيدة الثمن اضافة الى صبغ المعادن وكسائها بما يشبه الذهب او الفضة وبذلك قد نشطت عملية التعدين وصنع السبائك ، وعرف الكثير عن خواص المعادن ، وقد بدأ اليونانيون القدماء بهذه الفكرة او الصناعة « واعتقد فلاسفتهم بأن المواد على اختلاف انواعها تتألف من اربعة عناصر اساسية هي الماء والهواء والنار والتراب ، وتختلف المادة عن غيرها في احتوائها على نسب متباينة من العناصر الاربعة وكيفية اتحاد بعضها مع البعض الآخر ، وقد آمن بهذا الرأي عددٌ كبير من رجال الفلسفة والكيمياء آنذاك ، وكان حرياً بمن اعتقد بهذه الفكرة ان يحاول صُنعَ الذهب من المعادن الاخرى وذلك بالتحري عن الطرائق التي تؤدي الى تغيير نسب العناصر الاربعة في معدن ما وجعلها على ما هي عليه في الذهب . غير أن ارسطو أضاف عنصراً خامساً للعناصر الاربعة التي مر ذكرها ووصف هذا العنصر بأنه اثيريٌّ في طبيعته وربما جاء بهذا العنصر الوهمي بتأثره بالفلسفة الهندية . ونقل الفارابي تعليلَ ارسطو في اثبات التحول وهو « ان الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهيتها وانما هو في اعراضها فبعضه في اعراضها الذاتية وبعضها في اعراضها العرضية . وكل شيئين من نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال واحدٍ منهما الى الآخر فان كان العَرَضُ ذاتياً عَسُرَ الانتقال وان كان مفارقاً سَهُلَ الانتقال . والعسر في هذه الصناعة انما هو لأختلاف اكثر هذه الجواهر في اعراضها الذاتية ويشبه ان يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيراً جداً » .

وقد اعقب هذا الدور دور كانت فيه الكيمياء وقفاً على الامور الطبية فحسب ، وكان غرض رجال الكيمياء تحضير العقاقير والادوية لشفاء المرضى وهكذا نجح بعضهم في تحضير كثير من المركبات ، اضافةً الى ما استخلص منها من النباتات . يعتقد البعض بأن هـذا الدور قد ابتدأ في اواسط القرن السادس عشر وانتهى في منتصف القرن السابع عشر [٧] ، والحقيقة ان اصحاب هذا الرأي قد استقوا معلوماتهم عن طريق المصادر الغربية للنهضة الاوربية دون الرجوع الى التراث العربي والا فما قولهم في الادوية والعقاقير التي

حضرها كل من ابن سينا والرازي وجابر بن حيان وبلغ الاخير الذروة في النصف الثاني من القرن الثامن [٨، ٩] وقد اشتغل جابر في صناعة الذهب وفي تحضير الادوية والعقاقير معاً وألف فيها عدداً كبيراً من الكتب ، واوثق المصادر تشير الى انه ألف اكثر من مائة واحد عشر كتاباً [١٠] وقد قيل خمسمائة [١٠] وذكر ابن النديم في الفهرست اكثر من هذا العدد [١٢] .

ويبدأ الدور الثالث لعلم الكيمياء في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وابرز ما في هذا الدور نظرية الفلوجستون التي تقدم بها بيخر (Becher) عام ١٦٦٧ م رداً على ما أورده جابر بن حيان عام ٧٧٦ م تقريباً ، اذ كتب جابر بأن جميع المواد المشتعلة تحتوي على عنصر الاشتعال ووصف هذا العنصر بأنه صورة من صور الكبريت ، بينما اشار بيخر الى كثير من المواد القابلة للاشتعال والتي تشتعل فعلا دون ان يكون عنصر الكبريت موجوداً فيها واستبدل الكبريت بعنصر موهوم اسماه (Terra Pinguis) ثم تلاه شتال (Stahl) (١٦٦٠ ـ ١٧٣١ م) فطور فكرة بيخر واسمى العنصر الموهوم بالفلوجستون والذي يعني في اللغة اليونانية « أنا اشعل النار » . وعلى ضوء هذه النظرية يكون تحول المعدن الى ما اسموه بالكالكس [*] (اوكسيد الفلز) نتيجة لفقدان الفلوجستون . وقد عبر عنها بهذه المعادلة البسيطة .

معدن — فلوجستون = كالكس

وهكذا اعتقد اصحاب هذه النظرية انه باستطاعتهم اعادة الكالكس الى المعدن اذا ما ادخل في الاخير الفلوجستون . ولما كان الفحم يحترق بسهولة ولا يترك الا قليلا من الرماد وجب ان يكون الفحم غنياً بالفلوجستون فاذا ما عومل الكالكس بالفحم وسخنا سوية اتحد الكالكس بشيء من فلوجستون الفحم وعاد معدناً الى اصله . وبالرغم من الاخطاء الكثيرة والفرضيات الموهومة في هذه النظرية الا انها كانت مفتاحا في التعدين والحصول على الفلزات (المعادن) من اكاسيدها الموجودة في الطبيعة ، وقد اثنى الاستاذ ميلر [١٣]

(*) يعتبر الكالكس في الكيمياء حديثا اوكسيد الفلز ، اذ انه ينتج من تسخين المعدن في الهواء .

على هذه النظرية حيث يقول ما معناه ان السخرية من هذه النظرية او ممن اعتقد بها امر غير عادل اذ انها مثلث اكلَّ تعميم معروف في زمانها ، وتحت تأثيرها خطت الكيمياء خطوات كبيرة وتقدمت تقدماً محسوساً » ، وعلى كل فقد اخفقت هذه النظرية عند ما تعرضت للتجربة العلمية من حيث الوزن ، كما ان لافوازيه ١٧٧٤ م قد اكتشف صفات الاوكسجين واثبت بأنه ضروري للاشتعال . وقد اتضح بعد ذلك بأن المعدن لا يفقد شيئاً عند ما يتحـــول الى الاوكسيد (الـكالـكس) ، بل على النقيض من ذلك فانه يتحـــد بالاوكسجين بنسبة او نسب معينة ، ويزداد وزناً .

ويبدأ الدور الرابع لعلم الـكيمياء او الـكيمياء الحديثة في اواخر القرن الثامن عشر حيث ازداد عدد المركبات الـكيمياوية زيادة كبيرة ، وبرّز في هذا الدور العالم السويدي شيلي (١٧٤٢ ـ ١٧٨٦ م) الذي اكتشف عنصر الاوكسجين قبل الـكيمياوي بريستلي بعامين الا ان تلـكـؤه في نشر ما وصل اليه قد خص برستلي بشرف اكتشافه . وقد اتسم هذا الدور بالتجارب العلمية العملية ، ودراسة خواص المركبات بعد عزلها عن الشوائب وتعيين ثوابتها الطبيعية . ولم تمض مدة طويلة على فشل شيلي في الحصول على مركز المـكتشف لغاز الاوكسجين حتى باغت معاصريه بسلسلة من المـكتشفات وتحضير عـدد كبير من المركبات الجـــديدة ، ومن مختلف الانواع من بينها عنصر الـكلور ، وحامض الهيدروكلوريك ، وحامض اللبن (اللاكتيك) والاوكساليك ، وحامض الليمون (الستريك) وغـــيرها . وبالرغم من ان برستلي قد اكتشف الاوكسجين واتصل بالعالم الفرنسي لافوازيه وعرف الـكثير عن خواص الاوكسجين وحضر بعض المركبات والاحماض مثل كلوريد الهيدروجين واوكسيد النتريك وحامض النتروز وغاز الامونيا وغيرهـــا الا انه بقي على ايمانه بنظرية الفلوجستون حتى فارق الحياة . ولم ينصرم القرن الثامن عشر حتى قام عملاق الـكيمياء في ذلك العصر لافوازيه بتحضير عدد هائل من المركبات واكتشف مكونات الهواء ودرس خواص الاوكسجين الـكيمياوية وقضى بذلك نهائيا على نظرية الفلوجستون بتجاربه العلمية

التي لا يتطرق اليها الشك ولا يكتنفها الغموض ودرس خواص الغازات دراسة علمية مضبوطة ، واخذ علم الكيمياء يسير بسرعة هائلة بعد هذه المكتشفات وازداد عدد الكيمياويين زيادة مطردة واكتشفت مكونات الذرة وقوانين اتحاد الذرات بعضها بالبعض الآخر في تكوين الجزيئات وبدأت الصناعة الكيمياوية وشيدت المعامل والمختبرات الكثيرة واستمر عهد الكيمياء الحديثة التي تناولت الاتحادات الكيمياوية وبرزت الكيمياء العضوية والتحليلية وغيرها من فروع الكيمياء الا أن جميع هذه التفاعلات تعتمد على النظام الالكتروني للذرات في الاتحاد والتحلل ولا تمس نوى الذرات من قريب او بعيد ، واستمر الحال كذلك حتى عام ١٩١١ م حيث وجدت العلاقة بين الطاقة والمادة وطل عهد الكيمياء النووية .

لقد اوجد انشتاين العلاقة بين المادة والطاقة ، بل وعرف ان المادة صورة من صور الطاقة كما في المعادلة الآتية :

ط = م س٢ (الطاقة = المادة × مربع سرعة الضوء)

حيث يدل (ط) على كمية الطاقة و (م) كمية المادة و (س) سرعة الضوء ، ويتضح من هذه المعادلة البسيطة ان كمية قليلة من المادة تتحول الى كمية هائلة من الطاقة ، وكانت هذه المعادلة مفتاح الطاقة النووية ، ونقطة تحول في نهج الكيمياء . اذ أن علم الكيمياء يبحث في دراسة المادة وتركيبها وتحليلها وخواصها وتفاعلاتها وتركيب الذرات والجزيئات دون الالتفات الى الطاقة التي تركت لعلم الفيزياء فحسب ، الا أن التحول الذي حصل في القرن العشرين والنظرة الى المادة باعتبارها صورة من صور الطاقة قد قرب بين علمي الكيمياء والفيزياء بل ان المختص في الكيمياء النووية لا يختلف كثيراً عمن اختص بالفيزياء الذرية . وسيصغر الفرق بين علمي الكيمياء والفيزياء على مر الزمن وكلما تقدم العصر الذري الذي نعيش فيه . ويمتاز هذا العصر بالنظرة الى نوى الذرات والافادة من الطاقة الهائلة الكامنة فيها ، ويمكننا بحق ان نطلق على هذا الدور لعلم الكيمياء « بالعصر

النووي » . هذا واشارك الاشتاذ رايشنباخ [٤] عندما ذكر في كتابه « الكون والذرة» عام ١٩٢٤ م بأن يسأل الله ان لا يتيح للبشر معرفة طرائق تحول المادة الى طاقة الا بعد ان يصلوا الى مرحلة من الخلق تجعل استخدام الطاقة النووية الهائلة في مصلحة الانسان وليس لدماره . ومن المؤسف ان يبدأ العصر النووي باستخدام هذه الطاقة في القنابل الذرية اول الامر كما ان مقدار ما تحول من المادة الى طاقة في القنبلتين الذريتين اللتين القيتا على هيروشيما وناكازاكي في اواخر الحرب العالمية الثانية لم يكن الا جزءاً ضئيلا جداً ولو تحول عشر وزن ذينك القنبلتين الى طاقة لكان دمارهما اكثر مما عملتا بالفمرة على الاقل . وعلينا ان نتفاءل من هذا العصر وما سيأتي به من فائدة الى الانسانية رغم بدايته السيئة ، اذ لو استعملت القوة الكهربائية في بدء اكتشافها في الكرسي الكهربائي لنظرنا اليها نظرتنا الى الطاقة النووية .

وبعد ان استعرضنا ادوار علم الكيمياء الاربعة كما يصنفها الغربيون واضفنا الدور الخامس « العصر النووي » فعلينا الآن ان نرى اين يقع مكان جابر بن حيان وفي اي دور من الادوار الاربعة الآنفة الذكر ، وقبل الخوض في عباب بحث جابر وعلمه لا بد وأن نتبين حقيقته ونشأته .

من هو جابر بن حيان :

تذكر دائرة المعارف البريطانية [١٥] أنه أبو موسى جابر بن حيان ويسود الاعتقاد وفق الادلة على أنه من قبيلة أزد[١٦] القبيلة العربية التي قطنت جنوب الجزيرة العربية واستوطن بعضهم الكوفة بعد أن تهدم سد مأرب ، وقد أيدت ذلك دائرة المعارف الاسلامية [١٧] حيث ذكرت بأنه أبو موسى جابر بن حيان الأزدي صاحب كيمياء عربي مشهور . واسم أبيه عبد الله الكوفي [١٨] ويذكر ميلر[١٣] عند كتابته عن جابر ان العرب حاذقون في التجارب ، ويشير الاستاذ سارتون [١٩] فى كتابه « مقدمة في تاريخ العلم » عند التطرق الى كيمياوي العرب « يظهر إن لجابر بن حيان خبرة تجريبية جيدة في عدد من الحقائق

الكيمياوية ». وذكرت الموسوعة الدولية[٢٠] أن جابر بن حيان كيمياوي عربي مشهور في القرن الثامن للميلاد وكتبه ذات التأثير الكبير الواسع وتعتبر من أول المؤلفات في المعادن والتي نقلت الى أوربا مثل نظرية تحضير المعادن من عنصري الزئبق والكبريت ، ووصف لتحضير الحوامض المعدنية . وبقيت هذه الكتب نصوصاً كيميارية لأجيال عديدة . وهكذا تدل اكثر المصادر على ان جابراً عربي الأصل والثقافة ولم نجد من بين المصادر الموثوقة ما يشير الى انه فارسي أو يوناني الأصل [٢١] .

ولد جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي في مدينة طوس عام ٧٢١ م . وكان والده من أقرباذين الكوفة ومن المخلصين للدعوة العباسية فهاجر الى طوس ليكون من دعاة العباسيين هناك فشعر به عمال الدولة الأموية فألقي القبض عليه وحكم عليه بالأعدام . أما جابر فقد أرسل الى البلاد العربية وتتلمذ أول الأمر على يد حربي الحميري ثم تأثر بآراء الإمام جعفر الصادق ودرس بعض العلوم الدينية عنه . ثم دخل مدخل الصوفيين ومال الى الصوفية ولقب بها لذلك [٢٢] و[٢٣] . وكان صديقاً مقرباً للبرامكة الذين تسلموا مناصب وزارية في عهد هارون الرشيد وقد عاصر جعفر بن يحيى البرمكي . وعند ما اغتاظ الرشيد من البرامكة وبطش بهم فر جابر بن حيان الى الكوفة وعاش متستراً فيها . ولم يُعثر على أثر لجابر في الكوفة إلا بعد قرنين من وفاته . على أثر عمليات بناء في إحدى مناطق الكوفة المعروفة بباب دمشق . وقد ذكرت بعض المصادر أنه عاصر المأمون فترة [٢٤] و[٢٥] .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن جابر قد قصد جعفر الصادق في كتاباته وليس جعفر البرمكي والحقيقة ان النصوص التي بين أيدينا تشير إلى أنه أتصل بكليهما وكان يشير إلى الإمام جعفر الصادق بسيدي جعفر[٢٦] وعند ما يذكر جعفر البرمكي أو أباه يحيى فيدعوهما بجعفر ويحيى[٢٧] و[٢٨] . فلقد ذكر جابر في كتاب الرحمة [٢٩] الإمام جعفر الصادق أكثر من مرة حيث نعته سيدي جعفر أو كما ذكره في كتاب المقابلة والمماثلة سيدي جعفر بن محمد عليه السلام[٣٠] ولم يكن جابر بن حيان اسطورة خيالية حتى أنكر وجوده بعض الكتاب[٣١] .

والحقيقة ان جابر بن حيان قد عاش في الكوفة مدة طويلة بعد مقتل جعفر البرمكي وقد ذكر الجلدكي[٣٢] في نهاية الطلب ان أبا الربيع سليمان بن موسى بن أبي هشام عن أبيه موسى في صدر كتاب (الرحمة) لجابر ، « لما توفي جابر بطوس سنة المائتين من الهجرة وجد هذا الكتاب تحت رأسه » . وكتاب الرحمة من بين الكتب القلائل التي ألّفها جابر وأجمعت المصادر الغربية والعربية من انها له . لابد وان جابر قد تستر بالعيش فى مدن عديدة عرف أهلها أو بعضهم بالعطف على البرامكة وربما عاش فترة طويلة في الكوفة بعد نكبة البرامكة ثم غادرها في أواخر أيام حياته إلى طوس مسقط رأسه حيث وافاه الأجل هناك .

مؤلفاته :

لقد كتب جابر بن حيان كتباً عديدة في مواضيع شتى شأنه في ذلك شأن فلاسفة اليونان ، وقد تأثر بآرائهم وأخذ ببعضها وفنّد البعض الآخر [٣٣] و[٣٤] فكتب في اللغة والبيان [٣٥] وكتب في السموم والأدوية[٣٦] وفي صناعة الاكسير [٣٧] والطلسمات وصناعة الذهب [٣٨] وفى كثير من العلوم الأخرى . وقد نال شهرة كبيرة فى البلاد العربية في القرن الثامن للميلاد ، وعند ما نقلت الكتب العربية الى اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات الأوربية إبّان القرن الثالث عشر ذاع صيته فى أوربا حتى اعتبره بعض الكتاب المستشرقين اسطورة [٣٩] فأنكروا وجوده أصلاً . ومنهم من حقق بعض المخطوطات وبدأ بتصنيفها الى ما هي فعلاً من تأليف جابر ومنها ما هي ليس له [٤٠] ولعل في مقدمة من أخذ بهذا التحقيق هو الاستاذ روسكا وتلميذه بول كراوس وقد بلغ عدد الكتب التي حملت اسم جابر عليها كمؤلف ما يربو على الخمسمائة [١٢] غير أن المصادر الموثوقة والتي أجمع عليها مؤرخوا العرب والمستشرقون تشير إلى أنه قد ألّف مائة واثنتي عشر كتاباً [٤١] وأغلب الظن أن الكتب التي ذكرها ابن النديم في الفهرست لا تعد وعن كونها رسائل أو مقالات حيث تشير المصادر التي بين ايدينا من أن جابر قد وضع كل كتاب فى عدد المقالات . وعلى سبيل المثال ان كتاب الخواص الكبير (مخطوط) يحتوي على إحدى وسبعين رسالة .

ويبدو ان اسم جابر قد سطع منذ القرن الثامن حتى يومنا هذا في الشرق والغرب على السواء إذ قلما تجد كيمياوياً عربياً لم يذكر اسم جابر كمصدر من مصادره الأساسية (٤٢) فنعته الجلدكي في كتابه (البرهان في أسرار علم الميزان) بالأستاذ الكبير جابر كما دعاه علي جلبي بن خسرو الازنيقي في كتابه (درر الأنوار في اسرار الاحجار) (٤٣) بالامام جابر وأشار الدوميلي وغيره من المستشرقين من أن أكثر الكتب العربية قدفقدت ولم يعثر إلا على عدد قليل منها وانما وجدت تراجم عديدة تحمل اسم جابر بن حيان يرجع عهدها الى القرنين الثالث والرابع عشر للميلاد بغية الحصول على ثقة المعنيين بالعلم آنذاك نظراً للشهرة التي اكتسبها جابر بن حيان في الأوساط الغربية . ويشير كراوس الى أن أمر إرجاع هذه المخطوطات الى أصلها وتمييز ما يعود منها الى جابر عما يعود لغيره ليس بالأمر العسير حيث ذكر في المجلد الأول من كتابه عن جابر بأنه عني بتثبيت الكتب الجابرية مقسمة إلى طبقات ومرتبة بحسب تعاقبها التأريخي باحثاً في صحتها وقد انتهى الى ان أغلبها منحولة وانها ترجع الى مدرسة من الكيميائيين الشيعيين وضعت حوالي سنة ثلاثمائة للهجرة لأغراض سياسية ثم بين بأن الرسائل التي حملت اسم جابر في تلك الفترة لم تكن كيميائياً فحسب بل تتناول ـ اضافة الى الكيمياء ـ علوماً أخرى كالطب والموسيقى والتنجيم والطلسمات والرياضيات والفلسفة ... الخ . وعرض في المجلد الثاني دور (جابر والعلم اليوناني) الفصول الخمسة في المذهب الجابري : الكيمياء وعلم التكوين وعلم الخواص وعلم الميزان وعلم الطبيعة فيتناول كتب جابر في هذه المواضيع ويبرز النقاط الهامة ويجلو الغامض منها ويبين الفروق بينها ثم يصل إلى نتيجة مهمة هي ان المجموعة الجابرية قليلة الشبه بمجموعة كيميائيي اليونان القدماء إذ أنها أكثر اعتماداً على التجربة وأكثر تنظيماً وأقل رمزاً وغموضاً وأعرف بالكيمياء العضوية ووصف المركبات والمواد وصفاً دقيقاً يتناول خواصها وتأثرها بالعوامل الطبيعية كالحرارة والرطوبة وغيرها . وقد اعتمد رسكا في كتاباته عن جابر بن حيان على بعض المخطوطات العربية التي وجدت في برلين سيما كتاب السموم (٢٤) ، كما عثر ماكس مايرهوف

على مخطوطات عربية عام ١٩٢٦ في المكتبات الخاصة لنورالدين بك مصطفى . وأحمد باشا تيمور في القاهرة ومن اكثرها أهميـة كتاب الخواص الكبير وكتاب العنصر الأساسي وكلاهما لجابر بن حيان وأشاد الكيمياوي الفرنسي برتلو(٤٤) بخبرة جابر وعلمه في الكيمياء حيث قال « لجابر في الكيمياء ما لأرسطو قبله في المنطق ، فهو أول من استخرج حامض الكبريتيك من الزاج الأزرق ودعاه بزيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من اكتشف حامضي النتريك والهيدروكلوريك وعمل من مزيجها ماء الذهب (الماء الملكي) ، وتنسب اليه تحضيرات مركبات أخرى مثل كاربونات البوتاسيوم وكاربونات الصوديوم ، وقد درس خصائص مركبات الزئبق واستحصرها » . وتشير المصادر الكثيرة ان لجابر موسوعة في الكتب الكيمياوية وغيرها من العلوم ، ولا أود التطرق إلى ما كتب عن جابر بن حيان وعمن أثنى على عمله أو عمن كتب في تفنيد عمله وبطلانـه إذ ربما ضاق في ذلك مجلد كبير ، لقد أقر اكثر الكتاب العرب والمستشرقين صحة بعض الكتب المنسوبة اليه وفي مقدمتها كتاب الخواص الكبير ، وكتاب الخواص وكتاب الرحمة وأحد عشـر كتاباً صنفها وحققها ونشرها الأستاذ هولميارد عام ١٩٢٨ في باريس ، وسأعتمد في القول عن جابر على هـذه المصادر فحسب وهي متوفرة لدي ، ولا أخرج عن نطاق محتوياتهـا إلا بعد الاعتماد على بعض المصادر الموثوقة للمحققين المستشرقين أوعن المصادر الأولية نفسها ، وسأحاول ما استطعت أن أضع جابر بن حيان في مكانه الحقيقي ، ضمن الأدوار الخمس التي ذكرتها في مقـدمة البحث ، فلقد حاول بعض المؤرخين ان يضع جابر بن حيـان في الدور الأول فوصف ما جاء به من معرفة علمية لا تعدو كونها مستقاة من العلوم اليونانية القديمة وذهب البعض الآخر في طريق يناقض الأول ، فجعله ممن حضر العدد الكبير من المركبات التي لم يعرف بعضها إلا في مطلع القرن التاسع عشـــر ، وهناك فريق آخر حاول المقارنة والموازنة في تقييم أعمال جابر بغيـة وضعه في دوره الحقيقي ، غير أن أغلبهم قد أخفق في ذلك نظراً لكثرة ما كتب عنه وتباين وجهات نظر الكتاب السابقين .

لقد كتب جابر في صناعـــة الذهب [٤٥] وهو بذلك اشتغل بما كان السائد في الدور الأول ودافع عن رأيه في هذه الصناعة ووضع في ذلك نظرية في تـكوين المعادن حيث قال « ان الأجساد كلها في الجواهر زئبق انعقد بـكبريت المعدن المرتفع اليه في بخار الأرض وانما اختلفت لاختلاف اعراضها ، واختلاف اعراضها لاختلاف نسبها » . وسنأتي على شرح هذه النظرية فيما بعد إذ أنها كانت مقبولة حتى ظهرت نظرية الفلوجستون في القرن السابع عشر كما أشرنا سابقاً . ثم أن جابر قـد اشتغل في صنع الاكسير وقـد زعم بأنـه قد حصل عليه وشفى الكثير مـن المرضى بوساطتـــه ، وقد ذكر في كتابه (كتاب الخواص الكبير) [٣٧] حيث قال « وكان معي من هذا الاكسير شيء فسقيتها منه حبتين وعادت الى أكمل ما كانت عليـــه في أقل من نصف ساعة زمانية فانكب يحيى على رجلي مقبلاً لها . . » وقد ألف كتباً عديدة وأذكر ما حقق منها كتاب السموم إذ صنفها إلى أصلها وذكر عدداً كبيراً من السموم المستخرجة من النبات وآخر من الحيوان وثالثاً من الحجر ثم وصف كلا منها ومقدار ما يعطى للمريض . وبذلك قد اشترك جابر في الدور الثاني للعلوم وقد أشـــار في كتابيه الخواص الكبير وكتاب الخواص الى تفاعلات كيمياوية وعمليات فنية منها التقطير والتبلور والتصعيد ودرس خواص المواد دراسة علمية دقيقة كما أنه تعرف على آيون الفضة النشادري المعقد وقد ذكر ذلك في كتاب الخواص الكبير حيث قال « والفضة اذا شمت رائحة الـكبريت اسودت فاذا أصابهـا الملح ابيضت وصفت وزاد حسنها ومنها النوشادر » وهذا يدل دلالة واضحة على ذوبان أملاح الفضة في هيدروكسيد الامونيوم لتـــكوينها آيوناً معقداً يذوب في الماء ، وقد قصد جابر برائحـة الـكبريت — بلا شك — كبريتيد الهيدروجين . وتشير المصادر الى انه قـد حصل على زيت الزاج وهو المادة المعروفة بحامض الـكبريتيك في الوقت الحاضر ، من تقطير الزاج الأزرق وقد وصف هذا الحامض بأنه الزيت الذيب وأشار الى ذلك كل من برتيلو [٤٤] وهوداس [٤٦] وقد أنكره هولميارد [٤٧] حيث عزا ذلك الى مكتشفين آخرين في القرنين الثاني عشـــر

والثالث عشر كما انه استغل الخطأة العلمية التي وقع فيها الدكتور فيليب حتي في كتابه (كتاب تأريخ العرب) حيث أخطأ من الناحية العلمية في تكوين ماء الذهب ولا غرابة في ذلك إذ أن الدكتور حتي مؤرخ وليس كيمياوي [48]. وليس من البعيد على من يحضر زيت الزاج (حامض الكبريتيك) وهو في العراق، من ان يحضر حامض النتريك وحامض الهيدروكلوريك سيما وان تحضير هذين الحامضين لا يعدو عن تفاعل زيت الزاج مع ملح الطعام في تحضير حامض الهيدروكلوريك وعن تفاعل الشورة (نترات البوتاسيوم) مع حامض الكبريتيك (زيت الزاج) في تحضير الحامض الآخر وقد ذكرت العراق خاصة لأن الآجر (الطابوق) يؤلف الجزء الكبير من المواد البنائية وتكثر مادة الشورة في البنايات التي تبنى بالآجر وتتعرض للرطوبة. وعرفت الشورة منذ زمن بعيد في العراق وربما عرفت في مطلع عهد الدولة العباسية وقد استعملها العامة اخيراً في صنع الألاعيب النارية بعد تصفيتها ومزجها مع مسحوق الفحم دون أن يعرفوا تركيبها ولا أظن ان أحداً قد قرأ ما قام به جابر من العمليات الكيميائية ان يستمد تحضيره لحامض النتريك وذلك بمزج زيت الزاج (حامض الكبريتيك). الذي أقره عدد كبير من المستشرقين. مع الشورة. اضافة إلى أن الكيميائيين في أوربا لم يبلغوا شأو جابر الا في مطلع القرن الثامن عشر وربما في نصفه الثاني لذلك لا أرى مانعاً من قبول الفكرة التي تقول ان جابر قد استحضر حامض النتريك والماء الملكي الا اني لم أجد ما يشير الى هذا في النصوص المحققة والموثوقة والمتفق عليها واغلب الظن أن هؤلاء المستشرقين لم يعرفوا طبيعة العراق أو كمية الشورة المتراكمة على جدران المباني التي تتعرض للرطوبة، هذا وسأحاول جاهداً في التفتيش عن مصادر موثوقة أخرى لأظهر صحة ما تقدمت به أو بطلانه. ان هذه العمليات الكيمياوية التي ذكرها جابر في الكتب والمخطوطات المتوافرة لدينا والتي ذكرتها آنفاً تشير دون شك الى براعته في عمليات الكيمياء وابداعه في تصميم الأفران والبوتقات تلك العمليات الكيمياوية والدراسة العلمية المضبوطة التي لم تصل اليها أوربا الا في مطلع القرن الثامن

عشر وهو بذلك يدخل الدور الثالث من العلم .

وهكذا نرى جابراً قد أحاط بما ألّفه اليونان من فلسفة ونظرة الى الكون والمادة وفي صناعة الذهب ثم تطرق الى استخراج العقاقير والأدوية والسموم ودرس خواصها وكذلك صمم الاجهزة الكيمياوية ودرس المواد وتفاعلاتها دراسة علمية تكاد توصله إلى مرتبة العلم الحديث .

ان النظرية التي أتى بها جابر بن حيان من أن العناصر جميعها تتألف من الزئبق والكبريت الطاهر وتختلف العناصر عن بعضها بنسب اتحاد الزئبق والكبريت وتفاوتها لها أساسها ودلائلها ، وقد مثل جابر تكوين العناصر في باطن الأرض كتكوين الجنين في الرحم حيث أشار الى المدة التي يتفاعل خلالها الزئبق بالكبريت في باطن الأرض وتفاوتها ونسبتها الأمر الذي حمله أن يبتدع الفرن والبودقة ليعيد ما يجري في الطبيعة وقد اشار في أكثر من مصدر من طلبته أن يتيبسوا الأمر ولا يتعجلوا ويقتفوا أثر الطبيعة في صناعة الذهب .

والحقيقة ان هذه النظرية التي اعتبرها مايرهوف مفتاح نظرية الفلوجستون هي أعظم مكراً وأعمق تأملاً من نظرية الفلوجستون التي جاءت بعد نظرية جابر بعشرة قرون تقريباً.

فنظرية الفلوجستون تتضمن خروج روح الاشتعال من العنصر عند ما يتحول الى الكالكس (الأوكسيد) . اي ان العنصر يخسر روحاً (ولها وزن) عند ما يتحول الى الاوكسيد . والدليل واضح على ذلك اذ اعتبر أنصار هذه النظرية ان عنصر الكاربون يحتوي على كمية كبيرة من هذه الروح حيث لايتخلف بعد خروجها إلا قليلا من الرماد وهم بذلك قد أغفلوا بل جهلوا تكوين الغازات مثل غاز ثاني أوكسيد الكاربون والحقيقة ان الكاربون (الفحم) عند احتراقه يزداد وزناً والزيادة كبيرة ولكن الناتج يكون على هيئة غاز ثاني اوكسيد الكاربون ، فكل اثني عشر غراماً من الكاربون يتحد باثنين وثلاثين غراماً من الاوكسجين لتكوين غاز ثاني أوكسيد الكاربون ولو فطن انصار نظرية الفلوجستون الى تكوين الغازات سيما غاز ثاني اوكسيد الكاربون في هذه الحالة لأدركوا

ان هنـــاك زيادة في الوزن . ولم ينتبه الفلوجستو نيون الى ذلك حتى أدركها الـكيمياوي الفرنسي لافوازيه فأثبت خطأ هـذه النظرية . أما جابر فقد اعتبر العناصر كلها مؤلفةً من عنصري الـكبريت والزئبق للأسباب الآتية :

١ — ان جميع العناصر التي عرفت في عهده قد استخرجت من كبريتيداتها بالتحميص أو (بالتشويـه) كما ذكرها هو حيث تنبعث غازات الـكبريت كثاني أوكسيد الـكبريت وغيره اثناء تعدينها .

٢ — ان اكثر العناصر التي حضرت في ذلك الوقت قد عدّت من كبريتيداتها الأمر الذي يدعو المنتبه لهـذه الحقيقة الى الايمـان بوجود الـكبريت في جميع ما استخرج من المعادن آنذاك كما وقد كتب جابر في الـكبريت كثيراً ووصف جميع صوره المعروفة في الوقت الحاضر من الـكبريت الذهبي (زهر الـكبريت) والـكبريت العمـود والـكبريت المطاط ... الخ .

٣ — ان اعتباره الزئبق من الاساسين الرئيسين في تـكوين المعادن جميعها يرجع الى أن الزئبق يـكون مع اكثر المعادن المعروفة ملاغماً فهو يتحد ببعضها اتحاداً كيمياوياً عن طريق تـكوين (الآصرة المعدنية) والتي لم تعرف إلا في القرن العشرين (٤٩) فيغير من صفات المعـادن نفسها ويظهرها بمظهر آخر إلا انه لا يتحد ببعض المعادن البخسة التي عرفت آنذاك والتي لم يعرف منها سوى الحديد وقد اشار جابر بن حيان الى ذلك في اكثر من موضع في كتابه (كتاب الخواص الـكبير) . ونتيجة لما قام به جابر من الدراسـات فقـد تعرف على كثير من مركبات الزئبق كالسـليماني وأوكسيد الزئبق الأحمر ولا أظن ان كيمياوياً يشك في ان نظرية جابر في تـكوين المعادن اكثر عمقاً من نظرية الفلوجستون التي أوضحنـــاها آنفاً ، وبهذا يكون جابر قد وضع قدماً في الدور الأول للعلم وآخر في الدور الرابع له .

ولا بدّ لي أن أقول لمن استكثر على جابر تحضير المركبات كالـكحول وحامض الخليك

وزيت الزاج والماء الملكي ان الاستكثار ليس في موضعه . هذا وسأواصل البحث في الحصول على مصادر أصيلة لجابر لأتمكن من اثبات ما تقدمت به أو تعديله .

وعجبت كثيراً لمن ادعى ان اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر قد أتت بما لم يأت به جابر بن حيان ، ذلك لأن الكيمياوي الفرنسي برتيلو الذي جاء في أواخر القرن السابع عشر قد اعتمد عليه كثيراً وأثنى على عمله ثناءً عاطراً كما أن اوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر لم تكن لتعرف العلوم ومن ضمنها الكيمياء إلا عما نقله العرب من اليونانيين وما أضافوا اليه . ولا اتفق مع ما ذهب اليه الدوميلي (٥٠) من أن حامض النتريك وبعض الحوامض المعدنية الاخرى قد عرفها بعض الاوربيين خلال القرنين المذكورين (الثاني عشر والثالث عشر) ولو أنه ذكر ذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر لكان الأمر اكثر وجاهة .

على أن ما جاء عن جابر بن حيان بحد ذاته في القرن الحادي عشر والثاني عشر من المخطوطات العربية لا تخلو من كثير من الالتباس حيث تدخلت السياسة والفرق الباطنية في ذلك فمنهم من جعل جابراً بمصاف الأئمة ومنهم من اعتبره تلميذاً روحانياً للامام جعفر الصادق . الا ان الكتاب الذي أقره المستشرقون والعرب على حد سواء من أنه لجابر وهو كتاب الرحمة يكفي للرد على التقولات التي ذكرتها سابقاً اضافة الى المخطوطة التي حققها المستشرقون وهو كتاب الخواص الكبير والذي لا يدع مجالاً لأحد أن يسبقه في اوربا قبل القرن الثامن عشر .

وهناك أدلة كثيرة تشير الى معرفة جابر للميزان المضبوط سيما في صنع العملة الذهبية في عهده وقد علمت من أحد زملائي الذين حصلوا على درجاتهم العلمية في امريكا انه اشتغل على تحليل العملات الذهبية في عصر هارون الرشيد والذي هاله كما كان موضع اعجاب استاذه عندما وجد ان تلك العملات الذهبية لا يختلف وزن بعضها عن البعض الآخر الا

بما يقل عن واحد بالمائة من المثقال[٥١] الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن جابر بن حيان قد توصل الى وجدان الميزان التحليلي أو ما يشابهه من حيث الكفاءة في الوزن .

بغداد في يوم الاثنين الاول من شهر ذي القعدة لسنة ١٣٨٥ هـ المصادف ٢١ شباط عام ١٩٦٦ م .

فاضل الطائي

مصادر البحث

١ – المقتطف ، ج ١ ، مج ٤٤ ، ص ٣٧ .

٢ – المقتطف ، ج ٣ ، مج ٥٣ ، ص ٢٤٠ .

٣ – المقتطف ، ج ٢ ، مج ٤١ ، ص ١٠٥ .

٤ – مجلة الكتاب ، ج ٤ ، مج ١١ ، ص ٤٧٦ :

E. O. Holmyard & D. C. Mandeville, Paris 1927 (p. 71-74)

٥ – « مختار رسائل جابر بن حيان » كراوس ، القاهرة – ١٩٥٤ .

٦ – كتاب اسطقس الاس على رأي الفلاسفة – جابر بن حيان – فشر هولميارد ص٧٠، باريس ١٩٢٨ .

٧ – المقتطف ، ج ١ ، مج ٤٤ ، ص ٣٨ .

٨ – كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان (مخطوطة) في مكتبة المتحف العراقي ص ٢٤ – ٢٨ .

٩ – كتاب الخواص لجابر بن حيان (مخطوطة) في مكتبة المتحف العراقي ص ٢٦ .

١٠ – كتاب الاسطقس لجابر بن حيان الصوفي ص١١٧ ، مصنفات في علم الكيمياء – هولميارد مطبعة باريس ١٩٢٨ .

١١ – كتاب الصافي :

Das Buch des Reinen, Katalog der Arabischen Alchemistischen.

١٢ – الفهرست لابن النديم – اخبار جابر بن حيان واسماء كثيرة ، ص ٣٥٥ – ٣٥٧ .

١٣ – الكيمياء غير العضوية الحديثة ، لميلر :

« Mellor's Modern Inorganic Coemistry ». By parker & Mellor, Longmans, Green and Co., New ed., Sept. 1913, p. 9.

١٤ – الذرة والكون : « Atom & Cosmo » by Reichenbach, 1921

١٥ — دائرة المعارف البريطانية :

Encyclopedia Britannica, 14 th ed. vol X, p · 83, 1929

١٦ — آ) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – عمر رضا كحالة ، الجزء الاول ، ص ١٥ ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ .

ب) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٧ (الازد)

١٧ — دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٦ ، ص (٢٢٦ – ٢٢٨) جابر بن حيان .

١٨ — الاعلام ، قاموس تراجم – تأليف خيرالدين الزركلي (الطبعة الثانية) ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

١٩ — مقدمة في تاريخ العلم :

An Introduction to the History of Science, George Sarton, vol · 1 p. 521.

٢٠ — الموسوعة الدولية :

Encyclopedia International, vol. 7, p 480, 1964.

٢١ — المنجد – معجم لاعلام الشرق والغرب ، لفردينان توتل مادة (ج) ، ص ١٢٣

٢٢ — آ) كتاب المقابلة والمماثلة لجابر بن حيان الصوفي (مخطوطات المكتبة الالمانية)

Dentsche Slaathebliothik Orientalische Abteilung

ب) جابر بن حيان الصوفي – كتاب المقابلة والمماثلة :

Katalog Der Arabischen Alchemistischen Handschoniften Deutschlands;

Alfred Siggel, vol 11, p. 142 ·

٢٣ — الاعلام ، قاموس تراجم تأليف خيرالدين الزركلي – الطبعة الثانية – الجزء الثاني ص ٩٠ .

٢٤ — دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٠ ، الطبعة الرابعة عشرة ، ص ٨٣ .

٢٥ — الاعلام ، خيرالدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، الجزء الثاني ، ص ٩١ .

٢٦ — كتاب الخواص لجابر بن حيان (مخطوط) مكتبة المتحف العراق ، ص ٢٨

٢٧ — كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان ـ (مخطوط) ـ مكتبة المتحف العراق
ص ٢٥ ـ ٢٦)
٢٨ — كتاب الخواص لجابر بن حيان ـ (مخطوط) ـ مكتبة المتحف العراق ،
ص ٤٦)
٢٩ — كتاب الرحمة لجابر بن حيان الصوفي ـ تحقيق هولميارد ، ص ١٤٧ ، مطبعة
باريس ١٩٢٨ .
٣٠ — كتاب المقابلة والمماثلة ـ راجع المرجع (٢٢)
٣١ — العلم عند العرب ـ ألدوميلي ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور
عبدالحليم النجار ص ٩٩ سنة ١٩٦٢ .
٣٢ — نهاية الطلب ـ تأليف ايدمر بن علي الجلدكي ، (مخطوط) ـ مكتبة المتحف
العراق ص ٢٧
٣٣ — كتاب اسطقس الاس الثاني لجابر بن حيان الصوفي ـ تحقيق هولميارد ،
ص ٨١ ، مطبعة باريس ١٩٢٨ .
٣٤ — كتاب اسطقس الاس الثالث لجابر بن حيان الصوفي ـ تحقيق هولميارد ،
ص ١٢٣ ، مطبعة باريس ١٩٢٨ .
٣٥ — كتاب البيان لجابر بن حيان الصوفي ، تحقيق هولميارد ، ص ٨ ، مطبعة
باريس ١٩٢٨ .
٣٦ — كتاب السموم لأبي موسى جابر بن حيان الصوفي ، المقتطف ، ج ٣ ، مج ٥٣ ،
ص ٤٠ .
٣٧ ـ كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان ـ (مخطوط) ـ مكتبة المتحف العراقي
ص ٣٤)

٣٨ — كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان ـ (مخطوط ـ مكتبة المتحف العراقي ص ٣٨)

٣٩ — العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ـ الدوميلي ، ص ٩٩ ـ ١١١

٤٠ — جابر بن حيان :

Paul Kraus, Jabır Ibn Hayyan Contrıbution Al' Hıstoire Des Idees Scientıfıque Dans l' Isham, vol. 2, i - 59.

٤١ — كتاب الرحمة لجابر بن حيان الصوفي ـ تحقيق هولميارد، ص١٤٨ ـ ١٥٧ مطبعة باريس ١٩٢٨ .

٤٢ — كتاب البرهان في اسرار علم الميزان ـ ايدمر بن علي الجلدكي (مخطوط) ـ مكتبة المتحف العراقي ، ص ١٤

٤٣ — درر الانوار في اسرار الاحجار ـ علي جلبي بن خسرو الازنيقي (مخطوط) ـ مكتبة المتحف العراقي ، ص ٧

٤٤ — الكيمياء في القرون الوسطى :

M. Berthelot, La Chımie Moyen Age vol 2. parıs 1885.

٤٥ — كتاب الايضاح لجابر بن حيان الصوفي ـ تحقيق هولميارد ، ص ٥٤ ـ ٥٨ ، باريس ١٩٢٨ .

٤٦ — هوداس ، العلم عند العرب ـ الدوميلي ، ص ١٠٦ ، عام ١٩٦٢ .

٤٧ — العلم عند العرب ـ الدوميلي ، ص ١٠٧ ، عام ١٩٦٢ .

٤٨ — العلم عند العرب ـ الدوميلي ، ص ١٠٧ ـ ١١١ ، عام ١٩٦٢ .

٤٩ — طبيعة الاواصر الكيمياوية :

The Nature of the Chemical Bonds. L pauling 1948, Cornell Unıv. press

٥٠ — العلم عند العرب ـ الدوميلي ـ ١٩٦٢ ، ص ١٠٧ .

٥١ — التركيب الكيمياوي للعملة العربية القديمة .

The Chemıcal Composition of Some Ancıent Arabıc Coins, Sabrı Farroha, E.R. Caley, Bull. of the College of Scıence. Vol. 8, P 61, 1965,

الشعر والانشاد

الدكتور جميل سعيد

الشعر والنغم :

تحدث علماء العرب عن الشعر ، ورأوا ان اهم ما يميزه عن النثر موسيقاه أو نغمه . وعرّفه قدامه [1] : بأنه « قول موزون مقفى يدل على معنى » وشاركه في هـذا التعريف غيره [2] . واذا نظرنا الى القيد الأخير الذي وضعه قدامة في تعريفه ، وهو اشتراطه أن يدل على معنى ، رأيناه يوحي الينا بخوفه ان يتوهم متوهم ان الشعر إنما هو القول الموزون المقفى ، وإن لم يدل على معنى . ويرينا هذا ان الوزن أبرز خصائص الشعر وأوضحها ثم يأتي بعده المعنى . ومن هنا قال ابن رشيق في عمدته [3] : « الوزن أعظم اركان الشعر ، وأولاها به خصوصية » وهكذا نراه جعل للوزن المكان الأول . والذين رأوا ان النثر لايعدم النغم ، وان الموسيقى التي تلحظ في ارتفاع صوت المتكلم او القارئ تارة وانخفاضه اخرى ، وبوقفاته التي تطول حيناً وتقصر حيناً ، ثم في انتهاء فقراته ـ في بعض الأحيان ـ بما يحدث جرساً خاصاً يشبه نغم الشعر او قوافيه ... الذين لحظوا هذا لم يستطيعوا ان

(١) انظر : نقد الشعر لقدامة . ص ١١ .

(٢) انظر ص ٢٢٩ من كتاب الصاحبي في فقه اللغة .

(٣) العمدة ١/١٣٤ .

ينكروا ان موسيقى النثر هذه لا تسير على نمط معين ، ولا يشترط الالتزام بها على نحو خاص كما هو الشأن في الشعر . ثم هي ـ بعد ذلك ـ غير واضحة فيه وضوحها في الشعر . وهكذا تراهم ذهبوا الى ان النغم او الوزن الشعري هو اهم ما يميز الشعر . وكأن أبا العتاهية الشاعر الزاهد نظر الى هذا النغم ، او هذا الوزن يجري في كلام الناس سليقة وبغير ارادة منهم ، فتوهم ان اكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لايعلمون [1] وقال : « ولو احسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم » . رووا أنه رأى ـ وهو في جماعة ـ رجلا يقول لآخر عليه مسح [2] :

يا صاحب المسح تبيع المسحا . فقال ابو العتاهية : هذا من ذلك الم تسمعوه يقول :

« يا صاحب المسح تبيع المسحا »

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : « تعال ان كنت تريد الربح » فقال أبو العتاهية : وقد اجاز المصراع بمصراع آخر وهو لايعلم ، قال له :

« تعال ان كنت تريد الربحا » [3]

ونظرة ابي العتاهية هذه الى الشعر بأنه وزن ، او كلام موزون جملته يقول : « لو شئت ان احمل كلامي كله شعراً لفعلت ... » [4] . ويظهر انه تعلق بهذا وجعل له الأهمية الأولى.

ونحن ـ وان كنا لا نذهب مذهب أبي العتاهية في هذا ، ولا نقرّه عليه ، نراه في حديثه هذا يجسم لنا الشعر في اخص خصائصه ، وهو النغم . ومعلوم ان نغم الشعر لا يتضح ولا يبرز إلا بإنشاده . ومن هنا نستطيع ان نرى اهمية الانشاد ، وشدة التصاقه بالشعر .

ولعلنا نعذر أبا العتاهية ، ومن ذهب مذهبه في الشعر اذا عرفنا ما ذهب اليه بعض المحدثين في الشعر . إذ رأوا انه نشأ من صيحات منغّمة كانت قبل ان تُخترع الالفاظ وأن

(١) الاغاني طبعة دار الكتب (د . ك) ص ٣٩/٤ .
(٢) المسح . كساء من شعر كثوب الرهبان .
(٣) الاغاني د ك ٣٩/٤ .
(٤) الاغاني د ك ١٣٠/٤

تكون دالة على معانيها . قالوا : « ان الشعر لغة الوجدان . وإن الانسان شعر بوجدانه قبل ان يفكر بعقله . والهمجي الذي عاش قبل التاريخ عارياً يتسلق اشجار الغابات ؛ يقفز من غصن الى غصن صائحاً : « را را را .. بو بو بو .. » قالوا : « هـذا الانسان هو الواضع الاول لأساس الشعر المنظوم ... » وقالوا : « ومن هـذه الصيحات الاولى صيغت انغام الأناشيد . وكانت هذه قبل ان يتقدم الانسان ويبتكر الفاظ اللغة يعبّر بها عن افكاره . وحين جاء طور الألفاظ المعبرة عن معان كانت قوالب الشعر وأوزانه قد اعدت ، فانصبت بها الألفاظ المعبرة ، فكان هذا الشعر المنظوم المفهوم المعبر عن معنى ـ بعد أن كان انغاماً أو صيحات يعبر بها الانسان عن انفعاله حين يمرح في رقص ، او يهتف في غضب ، أو يتحمس في شجار وخصومة وعراك ، أو يناغم بها وقع المجاذيف في الماء ، ووقع اقدام الابل حين يسير معها في الصحراء » [1] وهؤلاء الذين يذهبون هذا المذهب في نشأة الشعر وانه من نغم او لحن لا معنى له يجدون سندهم فيما يذهب اليه علماء اللغة الذين يرون ان ادراك الطفل لنغم الكلام وموسيقاه يكون سابقاً لإدراكه لمعانيه في الفاظه المفردة . ان الطفل يسمع الأصوات المختلفة في صغره . وينشأ وهو يستطيع التمييز بينها قبل ان يستطيع التمييز بين معانيها ومصادرها . وقد يسمع ، وهو صغير ، الانشودة تتكرر على سمعه ، فيحفظها ويرددها عن ظهر قلب من غير ان يفقه لها معنى . ويعللون ولع الاطفال بالأناشيد يرددونها من غير ان يفقهوا معانيها ، الى ان الطفل جزء من نظام الكون العام الذي تبدو كل مظاهره الطبيعية منسجمة . ولا غرابة في ان يميل الطفل الى ما هو منسجم من الكلام ، منتظم في مقاطع منغّمة متكررة . وهو يميل الى التكرار في حركاته ونشاطه العضلي . إنه في مهده أو ارجوحته يحرك يديه ورجليه ، أو يهز رأسه . وهو يفعل هذا ويستلذه ويكرره في هزات متقطعة منتظمة [2] ...

وذهب بعضهم الى ان الشعر انفعال نفسي ينفس به المرء عن نفسه ، شأن البكاء ينفس

(١) قصة الادب في العالم ١/١١ الاستاذين : احمد امين وزكي نجيب محمود .

(٢) موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم انيس ص ٧ .

به عن احزانه ، وشأن الضحك يعبر به عن فرحه وسروره . وهو حين يطلق هـذا الشعر او حين ينطلق به لايهمه من يسمعه منه او من يستمع اليه . ولعل الأوائل من العرب جنحوا الى هذا حين عزوا اول قطع الشعر الى آدم ، وقالوا إنه قالها يرثي ابنه هابيل [١] .

على ان هناك رأياً آخر في نشأة الشعر يصـوره لاينشأ إلا مع الإنشاد ولا يفيض من نفس صاحبه الا منشدا بين مستمعيه . وعلى هذا فالشاعر البدائي لاينطق بشعره وحيداً ، وانما يتعاون مع صحبه الذين يستمعون اليه . انه لايستطيع ان ينطق بالشعر إلا بين الجماعة المستمعين ..

وطبيعي ان قائله ما كان يكتبه ـ على نحو ما يصنع الشعراء اليوم ـ ولكنه يرتجله وينشده .. ويتزايد فيض الشعر على لسـانه كلما ازداد جمهوره اصغاءً اليه ، وذهولا واستمتاعاً بشعره ، وتشجيعاً له على الاسـتزادة في الانشاد . وقد يصل الجمهور الى حالة انفعال تحكي حالة الشاعر المنشد . نعم، ان جمهور المستمعين في ايامنـا هذه يستطيعون أن يسيطروا على مشاعرهم وان يكتموا انفعالهم ويستمعوا هادئين، ولا كذلك جمهورالبدائيين حين يستمعون. انهم يطلقون لمشاعرهم العنان ويعاونون شاعرهم ومنشدهم على الاستزادة[٢].

وننظر في اشعار الامم كلها فنراها مقطعـة على نحو يناسب الانشـاد . فالمنشد للشعر العربي مثلا ـ يحتاج لأن يستعيد النفس بعدكل بيت من أبيات بحوره الطويلة ، وهذا هو السر في ان اوزانالبحور الشعرية عند الأمم عامة لا تزيد على مقدار معين من المقاطع؛ ذلك المقدار الذي يظل النفس او الصوت مطاوعاً به لمنشده .

وللشعر — كما للموسيقى — الحان خاصـة في انشاده تختلف باختـلاف الامم . ان

(١) قالوا : « رثاه بقوله :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح
تغـير كل ذى طعم وريح ... وقل بشاشة الوجه الصبيح
فما لي لا أجود بسكب دمع ... وهابيل تضمنـه الضريح »

المسعودى ١/٦٥ ، والطبرى ١/١٤٦ .

(٢) انظر حديث تومسون عن اهالي ارلندا فيكتاب « الماركسية والشعر » ص ٣٩ .

الايطاليين مثلا ينشدون الشعر اللاتيني القديم بغير الطريقة التي ينشدها بها الألمان او الانكليز، وإذ يلاحظ في انشاد الايطاليين ميـل الى حفظ الضغط على الأصوات ، يلاحظ الميل الى الاعتماد على المقاطع عند غيرهم [1] . وقد سبق اليونان والرومان غيرهم في استنباط قواعد الإنشاد . على ان قواعدهم هذه ما زالت موضع شك عند الباحثين المحدثين بسبب اختفاء لغتيهما في الحديث واختفاء قواعد الانشاد عندهما . ولا كذلك الأمر عند العرب . يقول الأب اغسطس فكيني الفرنسيسي : « للشعر العربي إيقاع كلاسيكي تام . وهو محكم الوزن دقيق التحديد والتعيين . وهذه حقيقـة لا تحتمل الشك . بيد ان المنشدين لا ييسرون لنا — في الغالب — ظرف سماع ذلك الايقاع وتدوقه » [2] . ويقول البستاني [3] : « .. واما العرب فلم يكن في امة من امم الارض شأن للانشاد ارفع منه عندهم » .

والذين يبحثون في اولية الشعر العربي يربطون بين نشأته وبين سير الابل وحدائها [4] ويرى بعضهم ان الانشاد والحداء شيء واحد . يرى ابو الفرج وهو يتحدث عن اولية الغناء عند العرب انه كان النصب والحداء . ثم يقول : « وذلك جار مجرى الانشاد » [5] وربما لهذه الصلة التي بينهما قالوا : حدا به اذا عمل فيـه شعراً [6] . فكأن الشعر عندهم لا يتصور إلا منشداً بصورة الحداء . يقول المرار الأسدي :

ولو اني حدوت به ارفأنت

نعامته وأبصر ما يقول

وتحدثوا عن الإنشاد وأثره في الناس، كما تحدثوا عن الحداء واثره في الإبل . ورأوا ان

(١) فن انشاد الشعر العربي ترجمة الاستاذين : الأب اسطيفان سالم الفرنسيسي والدكتور اسحق موسى الحسيني ص ٥ .

(٢) فن انشاد الشعر العربي ص ١٥ .

(٣) مقدمة الالياذة ص ٣٩ .

(٤) تاريخ الادب العربي لجورجي زيدان ١/٦٣ .

(٥) الاغاني ٩/٢٥٠ .

(٦) العمدة لابن رشيق ٢/٢١٢ .

الجمل يستخفه الحـداء حتى يرى احماله الثقيلة خفيفةً . ويبعث فيه الحداء من النشـاط ما يُسكره ويولّهه . وأن الجمال تستمع الى صوت الحادي ـ وقـد اعتراها الكلل وثقلت عليهـا احمالها ـ فتخف في سيرها وتسرع حتى تزعزع عليها احمالها ، وربما اتلفت انفسها من شدة السير وثقل الحمل ، وهي لاتشعر بهذا لفرط ما يعتريها من الحداء . وهم يقصون القصص في هذا [1] .

ويحدثون عن الإنشاد انه يسبي بعضهم نفسه ويستخفه ، على نحو ما يستخف الحداء الجمال . رووا عن عمرو بن هند ـ وكان ملكاً ـ انه استمع الى الحارث بن حلّزة اليشكري، وهو ينشد قصيدته :

« آذنتنا ببينها اسماء »

رووا قول ابن الكلبي[2] : « انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضح . فامر ان يجعل بينه وبينه ستر . وفي رواية سبعة حجب [3] فلم يزل عمرو يقول : ادنوه ! حتى امر بطرح الستر واقعده قريباً منه ».

وظل للإنشـاد مقامه في الجاهلية ثم في الاسلام . وما أكثر ما يحدثنا به الرواة عن عكاظ وعن المربد وعن انشاد الشعر فيهما وفي غيرهما . ويبدو ان الشعراء كانوا يتخيرون جيد الشعر ينشدونه في هذه الاسواق حين يجتمع الناس فيها لمتاجرة أو لمفاخرة ، أو لتسلية. وسنشير الى هذا في حديثنا .

الإنشاد والغناء :

والانشاد وثيق الصلة بالغناء . وفي المعاجم العربية نجد لفظة الغناء تطلق على قول الشعر ولا نشك في انهم كانوا لايتصورون الشعر إلا منشداً . قالوا : « غنى بالمرأة : ذكرها بشعره

(١) انظر « إحياء علوم الدين » للغزالي ٢٧٥/١ .
(٢) الاغاني ٤٣/١١ .
(٣) العمدة ٤٤/١ .

متغزلاً . وغنّى بفلان : مدحه او هجاه[1] . وفي الاغاني انّ عمر بن الخطاب بعد أن اطلق الحطيئة من السجن ـ وكان قد حبسه وهم بقطع لسانه ـ قال له : « ياحطيئة كأنّي بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة ـ والنمرقة : الوسادة ـ وكسر لك أخرى وقال : غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس » . قال ابن اسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له اخرى وقال : غننا ياحطيئة ، فجعل يغنيه »[2] وما نشك ان الحطيئة كان ينشد وان الانشاد هنا هو الغناء[3] . ويقول ذو الرمة[4] :

احب المكان القفر من اجل انني　　به اتغنى باسمها غير معجم

ويبدو ان صلة الانشاد بالغناء وتعلق الناس به هذا التعلق ، هو الذي دعا فريقاً من اهل الورع الى التحرج منه . قال الأصمعي : « قيل لسعيد بن المسيب : ها هنا نساك يعيبون انشاد الشعر ! قال : نسكوا نسكاً أعجمياً »[5] وربما كان السبب الذي زهّد هؤلاء في انشاد الشعر انهم نظروا الى ان الثلاثة : الموسيقى والغناء والشعر لا نكاد نجدهم الا متلائمين مجتمعين . يقول فارمر : « كانت الموسيقى عند العرب ـ معروفة باللفظ العام وهو الغناء ومعناه الاول الانشاد »[6] ويرى ابو الفرج ان الغناء والانشاد كانا كالشيء الواحد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب . يقول : « إن الغناء العربي لم يعرف في زمانه ـ زمن الخليفة عمر ـ الا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء ، وذلك جار مجرى الانشاد ، الا انه يقع بتطريب وترجيع يسير ، ورفع الصوت »[7] . وظلّت صلة الغناء بالشعر قائمة ، وظلت الحان الغناء مرتبطة بحور الشعر ؛ حتى لقد جعلوا لكل غناء او لحن وزناً خاصاً به ، فالنصب غناء

(١) القاموس المحيط .　　(٢) الاغاني ٢/١٨٩ .
(٣) انظر الاغاني ٢/٢٩٨ ايضاً .　　(٤) العمدة ٢/٢١٣ .
(٥) البيان والتبيين للجاحظ ١/٢٠٢ .
(٦) الموسيقى العربية لفارمر ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٦ .
(٧) الاغاني ٩/٢٥٠ .

الركبان يخرج من أصل الطويل في العروض ، والهزج من الهزج وهكذا ...

ولترى وضوح هذه الصلة وتدرجها ، نورد ما أورده الغزالي في احياء علوم الدين [1] قال : « قال ابن مجاهد لابن داود : ... اي شيء تقول يا أبا بكر في من انشد بيت شعر ، أهو حرام ؟؟ فقال ابن داود : لا . قال : فإن كان حسن الصوت حُرّم عليه انشاده ؟؟ قال : لا . قال : فإن انشده وطوّله وقصر منه الممدود ومدّ منه المقصور ، أيحرم عليه ؟ قال : انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين ؟؟ » .

وصلة الانشاد بالغناء والموسيقى صلة عامة ملحظها عند الامم عامة . كان اليونان ينشدون اشعارهم على نغم القيثار ، وكان الألمان يسلكون مسلك اليونان في هذا ، وكان الفرنسيون ينشد منشدهم على نغم شبابة عربية ذات ثلاثة اوتار ، واذا اتعبه الانشاد ظل ينغم حيناً بشبابته بلا انشاد [2] . والعرب نجد بينهم المنشدين المغنين ، امثال اسحق الموصلي ، وجحظه البرمكي . ولسنا نذهب الى ان الشاعر يجب ان يكون مغنياً أو منشداً ، ولا إلى ان المغني او المنشد يجب ان يكون شاعراً ، وذلك لأن لكل منهما ملكة خاصة ، وقد يوهب المرء احداها ويحرم الاخرى . وفي هذه الحالة قد يتصاحب الشاعر والمنشد ، والشاعر والمغني ، لان كلا منهما يشعر ان صاحبه متم لما فيه من نقص او عجز ، وسنشير الى هذا في حديثنا عن المنشدين .

نقول : هذه المصاحبة ، وهذه الصلة بين الغناء والشعر جعلت المتحدثين عنهما ــ من الناحية الدينية ، والناحية الفنية احياناً ــ لا يستطيعون ان ينفردوا بالحديث عن احدهما دون أن يلحقوا به الآخر . يتحدث الامام الغزالي في باب السماع عن الغناء ، فيفيض بالحديث عن الشعر ، وعن روايته . ويتحدث الجرجاني عبد القاهر في كتابه «دلائل الاعجاز [3] » مدافعاً عن الشعر فلا يرى بدأ من أن يرد على من زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنى به في الشعر .

---

(١) الغزالي ، أحياء علوم الدين ٢/ ٢٧٠ .

(٢) مقدمة البستاني للالياذة ص : ٣٨ .

(٣) دلائل الاعجاز ص : ٢٠ .

ولهذه الصلة الوثيقة بين الغناء والشعر ، صار المتحدثون اذا تحدثوا عن الشاعر قرنوه بالمغني ؛ فابن رشيق يفاضل بينهما ويتعصب للشاعر في المفاضلة ، وكأنه يرد على من زعم ان انشاد الشاعر واقفاً وغناء المغني قاعداً يحط من قدر الشاعر ويرفع من شأن المغني ، فيقول : « فأما قيامه وجلوس صاحب اللحون فلأن هـذا متشوف اليه يحب اسماع من بحضرته اجمعين بغير آلة ولا معين ، ولا يمكنه ذلك الا قائماً أو مشرفاً ، وليدل على نفسه ويعلم انه المتكلم دون غيره » [1] .

واذا رأينا الشعر والانشاد والغناء يكونون كالشيء الواحد ، فلا نعجب ان نرى الشاعر والمنشد والمغني يكون واحدا ايضاً . ويبدو لنا انهذه الحرف الثلاث ، اوهذه الفنون الثلاث كانت فناً واحداً في اصلها ونشأتها . ثم صارت تتفرق عن بعضها وتتمايز ، شأنها شأن بعض الحرف والفنون التي كانت مجتمعة ثم تفرقت ، ولكن اصحابها ظلوا يشعرون انهم مترابطون متكاملون . لا تكمل لاحدهم حرفته الا بمعونة صاحبه . وفي تأريخ الشعر العربي نجد الكثير ممن تجمعت فيهم هذه الفنون الثلاثة . قالوا عن الاعشى ميمون بن قيس ـ الذي كان يسمى صناجة العرب ـ انه كان يغني اشعاره [2] . وقالوا مثل هـذا عن الخنساء [3] . والحطيئة كان شاعراً مغنياً معروفاً . ويقول أبو الفرج عن حنين : كان شاعراً مغنياً فحلا من فحول المغنين [4] . وكان الدارمي شاعراً مغنياً ثم نسك وترك الغناء وقول الشعر [5] وكان ابو النضير من شعراء البصريين ، وكان يغني بالبصرة ، وكان صديقاً لابان اللاحقي ثم تصارما وتهاجيا . وقد جن بالغناء جنوناً ، وفيه يقول ، اسحق شيخ المغنين والشعراء [6] :

(١) العمدة ص ١

(٢) فارمر ص ٢٩ .

(٣) فارمر ص ٣٠ والاغاني ١٣/١٤٠ .

(٤) الاغاني ٢/٣٤٠ .

(٥) الاغاني ٣/٤٦ .

(٦) الاغاني ١١/٢٨٨ .

سكتُّ عن الغناء فلا أماري   بصيراً ، لا ولا غيرَ البصير
مخافةَ ان أُجَنَّنَ فيه نفسي   كما قد جُنَّ فيه ابو النضير

وكان ابراهيم بن المهدي شاعراً مغنياً ، وكذلك كانت اخته عليّه . ولسنا نود ان نكثر من تعداد هؤلاء الشعراء المغنين .. نقول كان المغني والشاعر شخصاً واحداً حتى اذا استقل كل منهما بصنعته ظل المستقل منهما يشعر بحاجته الوثيقة الى صاحبه . وقد يتلازمان . كان اعشى همدان شاعراً معروفاً وكان احمد النصبي مغنياً مشهوراً ، وكان اعشى همدان مواخياً ومواصلا له واكثر غنائه في اشعاره (1) . ولما خرج اعشى همدان مع الثائرين مع ابن الأشعث على الحجاج خرج احمدالنصبي المغني معه لالفته اياه ، فجعل الاعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه واحمد يغنيه(2). وصحب الشعراء المغنين ، ولا عجب فالغناء مضمار الشعر (3) ، قال الشاعر :

تغن بالشعر إمّا كنت قائله   إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وقد احس الشعراء ان شعرهم يكتسب سحراً وتأثيراً جديداً حين يغنّى به . قال الاصمعي : قلت لبعض الأعراب : انشدني شيئاً من شعرك . قال : « كنت اقول الشعر وتركته » . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : « لأني قلت شعراً وغنى فيه حكم الوادي وسمعته فكاد يذهل عقلي ، فآليت الا اقول شعرا » (4). ويحدثون عن جرير انه قدم المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم ، وفيهم اشعب ، وحادثوه ساعة وحرجوا وبقي اشعب . فقال جرير : اراك قبيح الوجه لئيم الحسب ، ففيم قعودك وقد خرج الناس ؟ فقال له اشعب : إنه لم يدخل عليك احد هو انفع لك مني . قال : وكيف ! ؟ قال : لأني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي ... وغناه بشعره :

« يا اخت ناجية السلام عليكم »

---

(1) الاغاني ٦/٦٩ .
(2) الاغاني ٦/٤٦ .
(3) العمدة ٢/٣١٣ .
(4) الاغاني ١١/٣٨١ .

فاستخف جريراً الطرب لغنائه بشعره حتى زحف اليه واعتنقه. [1] وقالوا عن كثير إنه كان يطرب ويرتاح اذا سمع المغني سعيداً الرأس يغني بشعره [2] :

هلا سألت معالم الاطلال ... بالجزع من حرض وهنّ بوالي؟

سقيا لعزة خلّتي سقياً لها ... اذ نحن بالهضبات من املال

اذ لا تكلمنا ، وكان كلامها ... نفلاً نؤمّله من الأنفال

ويحدثون الاحاديث الكثيرة عن الشعراء يغنون باشعارهم فيحدث لهم من الهياج والاثارة ما لا يستطيعون ان يملكوا معه نفوسهم . يحدثنا ابو الفرج ان عمر بن ابي ربيعة كان يشق ثيابه لفرط هياجه ساعة يسمع جميلة المغنية تغنيه بشعره ، وكان يعتذر ان يقع هذا منه اذا سكن الى نفسه . ونرى من حرص الشعراء على هذا واشتياقهم اليه انهم يجعلونه امنيتهم التي يتمنونها . قال جحظة : حدثنا حماد بن اسحق عن ابيه قال : « قيل لابي العتاهية عند الموت . ما تشتهي ؟ فقال : اشتهي ان يجيء مخارق فيضع فمه على اذني ثم يغنيني [3] :

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

اذا ما انقضت عني من الدهر ليلة ... فإن غناء الباكيات قليل !

وشهوة ابي العتاهية هذه هي امنية اعشى بني سليم ! إنه يحب ان يسمع المغنّي كدحمان قبل ان يموت . واليه يقول :

فابلغوه عن الاعشى مقالته ... اعشى سليم ابي عمرو سليمانا

قولوا : يقول ابو عمرو لصحبته ... ياليت دحمان قبل الموت غنّانا [4]

هذه ناحية ، وناحية اخرى هي ان الشعر والشاعر قد يكونان خاملين فيرفع الغناء من امرهما . يقول ابو الفرج [5] : « ابراهيم بن سيابه ... من مقاربي شعراء وقته ليست له

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٢ (٢) الاغاني ٣/٣١٥ .

(٣) الاغاني ٤/١٠٩ . (٤) الاغاني ٤/٣٢ . (٥) الاغاني ١٢/٨٨ .

نباهة ولا شعر شريف ، وانما كان يميل بمودته ومدحه الى ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق فغنيا في شعره ورفعا منه » .

يضاف الى هذا ان الشعر عند العرب ، اصبح ـ من قبيل الاسلام الى قبيل عهدنا هذا ـ حرفةً يحترفها الشعراء يتكسّبون بها ، وقد لايكون لبعضهم وسيلة للعيش غيرها ، وعلى هذا فالشاعر يهمه ان يغني المغنى اهل الثراء من رجال الدولة بشعره ، وكثيراً ما يثار السؤال في مجلس الغناء عن الشعر والشاعر فيثاب الشاعر بجائزة عليه . يقول أبو الفرج في الحديث عن ابن سيّابه ايضاً : « ان ابراهيم الموصليّ وابنه اسحق .. كانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكّرانهم به اذا غنّيَا في شعره فينفعانه بذلك [1] » . وينشد محمد الراوية المعروف بالبيدق، ينشد الرشيد عينيّة الشاعر النمري ، فيعجب بها الرشيد ،ويبعث للنمري سبعة آلاف دينار [2] .

هـذه الصحبة التي نراها بين الشعراء والمغنين نرى مثيلا لها بل اوثق منها بين الشعراء والمنشدين .

الشعراء والمنشدون :

ولئن كان الشعرقد استقلّ واستغنى عن ان يغنّى به فانه لم يستغن عمن يحسن انشاده ، وكيف والإنشاد يحمل معه الشطر الأكبر من سحره ؛ في انغامه او اوزانه وفي معانيه . ؟

لقد بينا اننا لا نستطيع ان نتصور الشعر ـ في بـداية نشأته على الأقل ـ إلا منشداً وذلك ان الكتابة لم تكن قد عرفت بعد ، او لم تكن قد استعملت في تدوين القصائد ، وكان الشاعر ينشد اشعاره وسط جمهور يستمع اليه ، وقد ينشدها على آلة فعْل المغنّي ، فالشعر يجري على لسانه نشيداً مرتجلا متدفقاً .

ويتحدث الجرجاني ـ صاحب الوساطة ـ عن البحتري ، يطري صنعته الشعرية فيقول: « ثم تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك

(١) الاغاني ١٢/٨٨ . (٢) نفس المصدر ١٣/١٤٨ .

من الطرب اذا سمعته [1]». والشعر يكون اكثر تأثيراً في النفوس اذا احسن انشاده ، والى هذا يشير جرير [2] مهدداً في هجائه لبني طهية اذ يقول :

يا عقب يا ابن سنيع بعد قولكم إن الوثاب لكم عندي بمرصاد
ارووا عليّ وارضوا بي صديقكم واستسمعوا يا بني ميثاء انشادي

والشعراء ـ في الغالب ـ يكونون منشدين بارعين . وينمي قابلية الانشاد فيهم انهم ينشدون جماهيرهم المستمعين المحبين لسماع الشعر ، ويزيد في هذه القابلية عند الشعراء العرب خاصة انهم كانوا ينشدون الأمراء والولاة والخلفاء مجتمعين في شبه مباراة في الإنشاد . يجلس الخليفة او الوالي ويجتمع الشعراء في بابه يهنئون بولاية او عيد او حدث هام ، ثم يأذن لهم فيدخلون المجلس ينشدون بحضرة المستمعين ، ويثابون بمقدار تأثير شعرهم في نفسه .

وفي الاغاني ان المهدي جلس للشعراء يوماً ، فاذن لهم وفيهم بشار واشجع وابو العتاهية [3] .

وقد يسمو بعضهم لدرجة لا يرى لنفسه ان يدخل ضمن المتبارين [4] . وقد تمنح لبعضهم الجائزة لغير انشاد مليح في ان ينشد اظهاراً لمحاسن شعره . دخل مسلم بن الوليد ، صريع الغواني ، على الفضل بن سهل ينشده شعره ، فقال له الفضل : ايها الكهل اني اجلّك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بل تستتمّ اليد عندي بان تسمع .. ثم انشده [5] .

والشعراء ـ ولا سيما الجاهليون الذين وصلتنا اخبارهم ـ كانوا يحسنون الانشاد ، والكتب تحدثنا بالعجب عن جودة انشاد بعضهم ، كالذي مر من انشاد الحارث بن حلزّة لعمرو بن هند [6] .

---

(١) الوساطة ص ٢٢ (٢) ديوان جرير ص : ١٤١
(٣) الاغاني ٤/٣٤
(٤) انظر حديث الحسين بن الضحاك مع الواثق في الاغاني ٧/١٩٦
(٥) العمدة ١/٤٥ (٦) الاغاني ٤/٣٤

وكالذي نسمعه عن النابغة وحسان والاعشى والخنساء في انشادهم بسوق عكاظ [1] في الجاهلية وعن غيرهم في الاسلام ، ويمر جرير بسراقة البارقي الشاعر والناس مجتمعون على سراقة وهو ينشد ، فيعجبه ويستحسن نشيده ، فيقف متعجباً متسائلا [2] عنه . وينشد البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ، قصيدته :

أأفاق صبٌ من هوى فأفيقا   أو خان عهداً أو أطاع شفيقا

فيسر أبو سعيد ويستخفه الانشاد فيصيح : « أحسنت والله يا فتى وأجدت ! » . ويسمعه أبو تمام ـ وهو ينشد ـ فيهتز من قرنه الى قدمه ، استحساناً له [3] » . والشعراء المجيدون في انشادهم لا يرضون أن تصل قصائدهم الى مستمعيها إلا منشدة ، هذا أبو الطيب المتنبي نقرأ ديوانه فلا نكاد نجد قصيدة فيه الا ويقال في مقدمتها : إنه أنشدها عام كذا ، ومناسبة كذا .

هؤلاء الشعراء المنشدون قد لايجدون حاجة الى منشد ، على ان بعض الشعراء كانوا لا يجدون بداً من الاستعانة براوية منشد . يقولون عن أبي تمام انه لم يكن يحسن الانشاد وانه امتدح ابا دلف فافتتح ينشد قصيدته المشهورة :

« على مثلها من اربع وملاعب »

وكانت فيه حبسة شديدة ، فصاح صائح من الحاضرين فوقف قالوا: « لعنة الله والملائكة والناس اجمعين! [4] » هذه الحالة وامثالها حملته يلجأ الى منشد يصاحبه وينشد اشعاره ، يقول الصولي : « ... حدثني عن الرازي ، قال : شهدت ابا تمام وغلام له ينشد ابن ابي دواد [5] :

لقد انست مساوىء كل دهر   محاسن احمد بن ابي دواد

فما سافرت في الآفاق الا   ومن جدواك راحلتي وزادي

ويقول الصولي أيضاً : انه امتدح المعتصم بسر من رأى بعد فتح عمورية ، فذكره ابن ابي دواد للمعتصم ، فقال له : أليس الذي انشدنا بالمصيصه ـ بلدة بالشام ـ الأجش الصوت!؟ قال : يا أمير المؤمنين إن معه راوية حسن النشيد ، فاذن له ، فأنشده راويته مدحه » .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص : ٣٨٠ . (٢) الاغاني طبعة السادس ١٨/١٧٠ .
(٣) الاغاني ١/ ١٧٠ طالساسي . (٤) العمدة ١/٢٢١ ط ٢ (٥) اخبار أبي تمام ص ١٤١ .

وحالة أبي تمام هذه رأى فيها الشعراء المناوئون له عيباً يغمزونه به : قال عبد الصمد ابن المعذل يعرض به ، وينسب هذا الى ابي العميثل والى مخلد بن بكار الموصلي ايضاً [1] :

يا نبي الله في الشعر وياعيسى بن مريم ... انت من احسن خلق الله مالم تتكلم

وتشبه حالة ابي تمام هذه حالة زياد الاعجم ، قالوا : كان جزل الشعر ، وكانت في لسانه عجمة فلقب بالاعجم ، لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، فكان ينطق الحاء هاء ، يعبر عن الحمار « بالهمار » . وقد لج خصومه الشعراء في هجائه ، على نحو ما فعل خصوم أبي تمام متخذين من هذه العجمة ذريعة لهم في تعييره . يقول المغيرة بن حبناء مشيراً إلى هذا :

الحق العصابة يا زياد فاعمها ... احراك ربي اذا غدوت ترنم

تهجو الكرام وانت ألأم من مشى ... حسباً وانت العلج حين تكلم

ويقول ايضاً :

لئيماً ذميماً أعجمياً لسانه ... اذا نال دماً لم ينال المكارما [2]

ونظر في ديوان الشاعر مهيار الديلمي فنراه يرسل قصائده الى ممدوحيه ، ونرجح انه لم يكن يحسن الانشاد ولذلك كان يفصلها مرسلة مكتوبة اليهم .

وفي عصرنا هذا ، كان المرحوم امير الشعراء احمد شوقي ، لايحسن انشاد شعره ، وكان يبعث من ينوب عنه في انشاده . وقد غمزه بعض خصومه ، على نحو ما غمز أبا تمام خصومه وعرضوا به في هذا .

عرض به المرحوم عباس محمود العقاد في نقده لمسرحية قمبيز . قال العقاد في آخر نقده للمسرحية بعنوان . (شوقي بين يدي قمبيز [3]) :

قمبيز لكاهنه سابور :

سابور من هذا القزم ... في جانب الهرم

سابور الكاهن :

مولاي هذا شاعر ... في مصر يغتاب الامم

(١) الموازنة ص ٥ .

(٢) كتاب الصناعتين ـ لابي هلال العسكري ص ٨ والاغاني ١٥/٣٨٠ .

(٣) انظر قمبيز في الميزان ، ص ٧٨ وما بعدها

اضعف من صـــاغ مديحاً في القصيـــد أو شتم
وناطق اذا جـــرى حديثـه على القـــلم
لـكنه في صمتـــه ابله او فيه بـــكم

قبيز :

يا ويله ! جئني بـه اشفيه من داء البكم

هؤلاء الشعراء وأمثالهم كانوا لا يجدون بداً من ان يلجأوا الى المنشدين ـ ومن هنا اصبح الانشاد فناً آخر ، احتصت به طائفة اخرى ، راحت تسير جنباً الى جنب مع طائفة الشعراء .

الإنشاد حرفة :

بينا ان الغناء والإنشاد والشعر ، كانوا فناً واحداً او عملا واحداً يقوم به فرد ، وهو الشاعر . وكانت هذه الفنون الثلاثة ملهاة وتسلية للناس ، ثم اخذت تنفرد عن بعضها ، الواحد بعد الآخر . ويبدو لنا ان الغناء هو الذي انفرد او انفرط اولا وابتعد عن الشعر ؛ ذلك لأن المغني يحتاج الى قابلية خاصة تتعلق بالصوت اكثر من تعلقها بالخيال ، وبقي الانشاد والشعر متحدين ، ثم ما لبث المنشد ان اصبح شخصاً آخر قد يكون غير الشاعر وغـــير المغني . وهكذا اصبح الإنشاد حرفة مستقلة لها اهلها المتخصصون بها . ان المغني يحتـــاج الى الصوت وهو عماده ، وكـذلك امر المنشد . وان الصلة لوثيقـة بين الشعر والانشاد حتى لنجد الأوزان الشعرية ، عند الامم كلها لا تزيد مقاطع البيت الواحد منها على قدر معين ، وهو عند العرب ذلك القدر الذي نلحظه في البحور الشعرية غير القصيرة ، كالبحر الطويل والبحر البسيط والبحر الوافر . والمنشد في هذه البحور يحتاج الى استعادة النفس حين يبلغ نهاية البيت . وقد يحتاج لأن يستريح ويستعيد نفسه وهو ما يزال في وسط البيت وربما كان العرب ـ والجاهليون منهم خاصة ـ اطول من غيرهم نفساً في الإنشاد ؛ لـكثرة ما نجده في اشعارهم المنظومة على البحور الطويلة . والمنشد يحتاج الى ذاكرة قوية يخزّن بها المقدار الهائل من الشعر ثم تـكون له القابلية على ادائه الأداء الحسن . وكما اتُخـذ كلٌّ من الغناء والشعر حرفة للعيش ، اتخـذ الإنشاد ايضاً . وصارت حرفة الانشاد شائعـة بين اجيـال

شتى من الناس ، واصبح للرواة والمنشدين مكانة يحسدون عليها . ومن هنا تعلق بهذه الحرفة اناس لهم علمهم الواسع وذاكرتهم الشهيرة . يحدثنا سقراط وافلاطون وغيرهما عن المنشدين الذين كانوا يتهافتون الى مجتمعات الناس في اثينا وغيرها من مدن اليونان ينشدون ما حفظوه ، من الياذة هوميروس وغيرها . وقيام هؤلاء المنشدين بين العامة والخاصة كان من لوازم كل احتفال وطني ، وعيد ديني وكانت تقام لهم في اثينا وساقس وتيوس واثمينا ، وفي مدن اخرى غيرها اسواق خاصة يتبارون فيها بانشادهم وتعد لهم الجوائز الثمينة يحرزها المبرز منهم ، ويحرص عليها حرص الفائز على اكليل الغار بعد الانتصار [1] . وللفرس حلقات يُستمع فيها الى الإنشاد ، ونقل الكسندر شدزكو [2] : «ان حفّاظ العجم يتلون من شعر شعرائهم ما لا تكاد تصدّق ان الذاكرة تعيه لكثرته ، فقد يظـــل المنشد يتغنى باشعار الشاهنامة نهاراً كاملاً » وللقارىء ان يتصور كم من الأبيات يمكن ان تنشد في نهار ! .

وقد يجنح الواحـــد منهم الى التخصص في إنشاد شعر لشاعر بعينه ، او الى الإنشاد في موضوع معين [3] وتتضح لنا قدرة المنشدين على الإنشاد وعلى وفرة محفوظهم من الشعر اذا نظرنا الى ما اشار اليه هوميروس نفسه اذ انه انطق اوذيس في الاودسة بما يربو على الفين ومئتي بيت نفساً واحداً .

ويرى بعضهم ان هؤلاء المنشدين من اليونان كانوا ينتمون الى عشيرة خاصة : وان هذه الفئة قد جعلت الانشاد حرفتها التي يتوارثها الابناء عن الآباء . واذا كان هناك ما بعث الى اعتقاد طائفة من نقاد الشعر العربي ، الى ان الشاعرية تختص بقبيلة حيناً ، وبسلالة حيناً ، وان الأب الشاعر قد يولد ابناً شاعراً – فاننـــا نستطيع ان نقول : ان الإنشاد – كما رآه البعض – [4] كان حرفة متوارثة شانها شان الشعر [5] .

(١) مقدمة الالياذة للبستاني ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) ALEXANDER CHODZKO . Specimens of The Popular poetry of persia , London 1842 p : 13 .

(٣) الالياذة ٣٥ – ٣٦

(٤) المدركية والشعر ص ٤٦

(٥) انظر الوصف في شعر العراق ص ١١٩ وما بعدها للدكتور جميل سعيد طبعة «الهلال» ببغداد سنة ١٩٤٨ .

وفي مقدمة الإلياذة [1] ان الانشاد، كان وما يزال مهنة العميان. قالوا: وهي تحبّبهم الى الناس وتجعل لهم مقاماً ذا نفع. وكان من شأن هؤلاء التنقل من بلد الى آخر، فهم يطوفون في بلاد اليونان وجزرها، وهمهم استظهار ما تسعه اذهانهم من الأشعار القديمة والحديثة. وقد يبلغ ما يحفظه الواحد منهم حدّ الغرابة في كثرته. وحيثما يحلون يجتمع الناس اليهم فياخذون في الانشاد بما ناسب المقام. وهم في الغالب يؤثرون الانشاد بين عامة الناس، لان العامة اكثر اقبالاً عليهم واقل تعنتاً في انتقاء المواضيع. والمنشدون فئتان، فئة تنشد محفوظها من شعر الشعراء، وهي الفئة الكبرى. وفئة قليلة تنشد من محفوظها ومنظومها وهي ارفع منزلة واعلى جاهاً.

اما العرب فمنشدوهم على العكس من هؤلاء. ان الفئة التي تنشد شعرها الذي انشأته وحفظته هي الفئة الغالبة الكثيرة. اما الفئة التي تنشد شعر غيرها — وهي فئة الرواة والمنشدين الذين لا يقولون الشعر — فقليلة بالقياس الى تلك. ولا عجب في هذا اذا تصورنا ان العرب امة شاعرة، حتى لقد ذهب ابن قتيبة الى ان العرب — كلّ العرب — يستطيعون ان ينظموا الشعر ولكن طائفة الشعراء هي تلك الطائفة التي اختصت بنظم الشعر وجعلت منه ديدنها وحرفتها. وذهب المعرّي في « رسالة الغفران » الى قريب من رأي ابن قتيبة هذا، مبين ان الشعر قرآن ابليس المارد.. وان ابليس اللعين نفثه في اقليم العرب فتعلّمه رجال ونساء.

قال ابو العلاء على لسان ابن القارح في موقف الحشر: « وانصرفت بأملي الى خازن آخر يقال له زفر... فقلت: رحمك الله كنا في الدار الذاهبة نتقرب الى الرئيس والملك بالبيتين او الثلاثة فنجد عنده ما نحب، وقد نظمت فيك ما لو جمع لكان ديوانا، وكأنك ما سمعت لي زجمة — اي كلمة — فقال: ... احسب هذا الذي تجيئني به قرآن ابليس المارد ولا ينفق على الملائكة، انما هو للجان وعلموه ولد آدم ... فمن اي الامم انت؟ فقلت: من امة محمد بن

(1) مقدمة الالياذة ص ٣٦

عبدالله بن عبد المطلب فقال : صدقت ، ذلك نبيّ العرب . ومن تلك الجهة اتيقى بالقريض لأن ابليس اللعين نفثه في اقليم العرب فتعلمه نساء ورجال [1] » .

على ان العرب وان كان الشعراء ـ في الغالب ـ هم انفسهم المنشدون لاشعارهم ، فاننا لانعدم طائفة المنشدين المحترفين فيهم . والمنشدون طائفتان ايضاً ، احداها تروى وتحفظ مقداراً كبيراً من الشعر وهى لاتختص بموضوع ولا بشاعر ولا بعصر ، ولعل خير من يمثل هذه الفئة حمّاد وقد شهر بكثرة حفظه حتى لُقّب « بالراوية » . وفي كتب الأدب من كثرة محفوظ هذا الراوية ما يدعو الى العجب ، وما لا يكاد يصدّق . يسأل الوليد بن يزيد الخليفة ، حماداً الراوية هذا . بم استحققت لقب الراوية هذا ؟ فيقول حمّاد : اني اروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين او سمعت به . قال : فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ! ولكني انشدك عن كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون الاسلام . قالوا : ثم امره بالانشاد ليمتحنه فانشد حتى ضجر الوليد ، فوكل به من يثق بصدقه فانشده الفين وتسع مائة قصيدة للجاهلية [2] .

هذا هو حماد الراوية ، على ان اكثر الرواة كان يختص لشاعر يحفظ شعره وينشده .

وكما أن الشعراء يجيد بعضهم في فنون الشعر عامة ، حتى تستوي عنده ، وقد يبرز فيها جميعاً ، وقد يجيد بعضهم في فن واحد منها ، كذلك كان الرواة والمنشدون .

يقول ابن سلام : قال اصحاب الاعشى : « هو اكثرهم عروضاً واذهبهم في فنون الشعر .. واكثرهم مدحا وهجاء ووصفاً كل ذلك عنده .. » . ويقول ابو عمرو بن العلاء عنه : « مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره [3] » وقال ابو الفرج عن الحطيئة : « وهو من فحول الشعراء .. متصرّف في جميع فنون الشعر ، من المديح والهجاء والفخر والنسيب .. مجيد في ذلك اجمع » [4] .

(١) الغفران ص ٢٠٦

(٢) انظر حماد الراوية في « الاعلام » للزركلي .

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٥٥

(٤) الاغانى ٢/١٥٧ .

وقال عن البحتري : « وله تصرف حسن في ضروب الشعر ، سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل »[1]. واذا كان هؤلاء ـ وعددهم ليس بالكثير ـ قد شهروا بضروب الشعر كافة فان الشعراء عادة يختص كل منهم بفن يجيده ، وقد لا يحسن في غيره احسانه فيه . كان جرير يقول : « النصراني انعتنا للخمر وامدحنا للملوك .. » ويقول الاخطل : « جرير انسبنا » . ويقول مروان بن حفصة[2] :

ذهب الفرزدق بالفخار وانما　　　حلو القريض ومره لجرير

ومن هنا قالوا : « كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا كلب »[3] .

وكما كان هؤلاء الشعراء يختص كل منهم بضرب من الشعر يجيده ، كذلك كان الرواة المنشدون . إن الواحد منهم يتعلـّق في الغالب بشاعر يحفظ شعره ، وينشده . وكما يحدثنا سقراط عن ايون انه احتص باشعار هوميروس[4] وانه لا يباريه في اجادته لها انسان ، وانه متعلـّق بهوميروس حتى انه ليتوهمّ انه لا يستطيع ، او لا يحسن إنشاد اشعار غيره ، بل انـه ليحسّ باسترخاء ونعاس حين يستمع لغير شعر هوميروس واذا ما استمع الى شعر هوميروس تيقـّظت نفسه واعتراه النشاط والاريحية في انشادها .

ان سقراط يحدثنا عن هذا ، وربما كان اكثر الرواة والمنشدين العرب متعلقين بشعرائهم على هذا النحو . كان عبيد راوية الفرزدق وكان لجرير راوية اسمه الحسين ، وكان محمد بن سهل راوية الكميت[5] ، وكان ابو السائب بن حكيم راوية كثير عزة ، واليه يقول كثير :

سألت حكيما اين شطت بها النوى　　　فخبّرني ما لا احب حكيم[6]

(١) الموازنة ص ٧　　(٢) الشعر والشعراء ص ٢٨٧ .　　(٣) العمدة ١/٩٥ .

(٤) The Dialogues of Plato- Translated by B. JoWETT Fourth Edition P. 103

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٣٨

(٦) الاغاني ١٢ / ١٨٩ .

ونقول : وكما يجيد الشاعر ضرباً من ضروب الشعر فيحسنه فكذلك المنشد ، انه قد يجيد ضرباً من الانشاد ، وقد تراه ليس شيئاً اذا هو حاد عنه الى غيره . كان استاذنا الجليل الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة - المرحوم عبد الوهاب حمّودة ، ينشدنا اشعار البارودي الحماسية :

واني امرؤ لولا العوائق اذعنت	لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغرّ الذين سيوفهم	لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه	تفزعت الافلاك والتفت الدهر

فتأخذنا روعة الشعر بروعة الانشاد . واذكر اننا بعد ذلك درسنا البارودي الشاعر مع استاذنا الجليل المرحوم احمد امين ، وانه استشهد بابيات البارودي هذه ، فانشدها فلم نره يحمل الينا بانشاده ما كان يحمله الينا الاستاذ حموده من سحر وروعة .

على ان الاستاذ احمد امين كان - رحمه الله - يجيد ضرباً آخر من الانشاد ، هو انشاد ذلك الشعر الوجداني الحزين . ولم يكن بيننا من لا تأخذه روعة الانشاد ، وتغشاه سحابة من الحزن ، حين كنا نسمعه ينشد وكأنه يناجي نفسه .

اليس وعدتني يا قلب اني	اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى	فما لك كلما ذكرت تذوب ! ؟

وكان من المنشدين من برع في الانشاد حتى وازى به الغناء اثراً ، يقول ابو الفرج [1] : «وكان انشاد محمد البيدق يطرب كما يطرب الغناء .» والبيدق هذا لقب لقب به لقصره . قالوا : وكان ينشد هارون اشعار المحدثين وكان احسن خلق الله انشاداً . ويحدث ابو بكر ابن دريد .. انهم استمعوا الى غلام من بني اسد ينشدهم شعر المرار :

سكنوا شُبيثاً والأحصَّ واصبحوا	نزلتْ منازلهم بنو ذُبيانِ
واذا يقال أُتيتُم لم يبرحوا	حتى تقيم الخيلُ سوق طعان

قال : فكادت الارض تسوخ بي لحسن انشاده [2] .

(1) الاغاني ١٣ / ١٤٨ (2) الامالي ١ / ٦٥ .

ابن الفوطي [1]

المطبوع باسم الحوادث الجامعة ليس لابن الفوطي

الدكتور مصطفى جواد

١٢ — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة، هكذا أسماه ابن رجب، كما نقلنا من كتابه ذيل طبقات الحنابلة سابقاً، قال: « وذكر غير الذهبي أنه جمع الوفيات من سنة ستمائة سماه الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة وهذا هو الذي أشار اليه الذهبي » يعني قـول الذهبي ـ وقد نقله قبلاً ـ : « وكتاب حوادث المائة السابعة والى أن مات » . وفي الحق أن حصره بالمائة السابعة وقصره عليها يدفع قـول الذهبي « والى أن مات » . والذي استمر عليـه الى أن مات هو « التاريخ على الحوادث » كما ذكرنا من قبل .

وسماه مؤلف كشف الظنون « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » قال : « لـكمال الدين عبدالرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي البغدادي المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » . وقال في مادة التاريخ : « تاريخ ابن الفوطيّ متعدد كالذيل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي، والحوادث الجامعة في الوفيات ومجمع الآداب » وكرر ذكر الحوادث الجامعة في ثبت كتب التاريخ المجرد .

وقد وجدنا تاريخاً مخروم الأول مبدأ الباقي منه سنة ٦٢٦ ، ومنتهاه سنة « سبعمائة » من الهجرة في خزانة كتب الأب أنستاس ماري الكرملي وهي خزانة الآباء النصارى الكرمليين

---

(١) تتمة المقالة المنشورة في هذه المجلة « مج ٩ ص ٤٣ — ١٦٤ » .

ببغداد التي أهدي اكثر مخطوطاتها العربية الى المتحفة العراقية المعروفة بالمتحف العراقي وهو مخطوط بخط عصري حديث تغلب عليه الركاكة، ثم علمنا أن نسخة الأصل هي في خزانة كتب الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور ـ وكان إذا ذاك حياً ـ وأنه أمر بنسخ نسخة منه فأهداها الى الأب أنستاس المذكور. فانتسخت لنفسي نسخة على المخطوطة التي في خزانة الآباء الكرمليين، وكلمت أحد الكتبيين وهو نعمان الأعظمي الكتبي في أن ينفق على طبعه وأقوم على إخراجه مع تصحيحه والتعليق عليه. فوافق على ذلك، وكان الأستاذ الأديب أحمد حامد آل الصراف قد انتسخ لنفسه نسخة فأهدى اليّ نسخته، وإذ كانت نسختي قد علقت عليها وأضفت إليها في حواشيها فوائد تاريخية قدمت نسخة الصراف للمطبعة، وكان ناسخها قد تخطى أسطراً من الكتاب لحاجة في صدره، وحسبت أن النسخة المذكورة كاملة فلم أستوف المقابلة بين مخطوطتي والمطبوع فنقصت النسخة المطبوعة عدة جمل في آخر الكتاب، وهي في الصفحة ٤٩٥ ونصها: « وألزم الناس بالقيجور وزاد في قرار التمغات » وهي بعد قوله « ثم صاعف الخراج كما فعل جمال الدين الدستجرداني ».

وسقط من الصفحة ٤٩٤ قول المؤرخ: « وأمر بإلزام أهل الذمة الغيار فألزموا بذلك مدة شهرين ثم أزيل » وهي بعد قوله: قوله: « وكان ببغداد فأحضر وقتل ».

وسقط منها أيضاً قول المؤرخ: « فتحاذلوا عنه » وهي بعد قوله « فأرسل الأمير قتلغ شاه اليهم يتهددهم ويخوفهم عاقبة الأمر ».

وسقط من الصفحة ٤٩٣ قوله: « من التماوت فزادت أدعيتهم » بعد قوله: « فتوفر عليهم شيء كثير ». وسقط منها قوله: « وكل من يتعلق به من نائب وغيره » وذلك بعد قوله: « بقتل إخوة بورور وأهله وأصحابه ».

وسقط من الصفحة ٤٩٢ قوله: « وكانت الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً باللطف واللين ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته، فلما دخل بغداد لم ينزل في دار إلا بأجرة وما أزعج أحد من منزله »

وذلك بعد قوله : « ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع وغير ذلك » .

هذا وقد أجلنا الفكر وقلبنا الرأي وأعدنا تصفح هـــذا التاريخ مراراً فانتهينا إلى استحالة أن يكون هو « الحوادث الجامعـــة » لابن الفوطيّ ، وانبنت الاستحالة على الامور الآتية :

١ — أنّ خط ابن الفوطي الباقي المحفوظ في الجزءين المعثور عليها من كتابه «تلخيص معجم الألقاب » وفي الجزء الثاني من كامل ابن الأثير ، وكتاب الأحكام ، وغيرهنّ يخالف خط مؤلف كتاب « الحوادث » المذكور حق المخالفة وكل من الـكتابين ثبت أنه كتب بخط مؤلفه . والذي دل على أن كتاب التاريخ المذكور بخط المؤلف هو أنه الصق قصاصة ورق على كل خبر وجد حيزاً مسه فأحله مكانه .

٢ — خفاء ذاتية مؤلف كتاب « الحوادث » بحيث يمكننا عدّه جامعاً لمواده من التواريخ الأخرى سوى إشارات قليلة جداً ، يجوز أن يكون بها المؤلف معاصراً لقسم من الحوادث ، مع ظهور ذاتية ابن الفوطيّ في كتابه « تلخيص معجم الألقاب [٢] » فلم يكن إذن مانع من ظهورها في كتاب التاريخ لوكان هو مؤلفه .

٣ — اختلاف أسلوبي المؤلفين في طريقه الاختصاص والنقل والأدلة على ذلك كثيرة جداً .

٤ — كون كتاب « الحوادث الجامعة » في الوفيات دون الحوادث كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة وكشف الظنون ، مع أن كتاب « الحوادث » المطبوع يتوخى الحوادث قبل الوفيات .

٥ — ذكرُ مؤلف الحوادث مؤرخين اثنين من أساتذة ابن الفوطي ونقله من تواريخهما

(١) الحوادث « ص ٢٥٢ ، ٢٥٨ » .

(٢) كقوله : « قلت ورأيت وسمعت وصديقنا ورفيقنا وشيخنا او المحسن الينا ومولانا وحدثنا وروى لنا وأخبرنا وحكى لنا وكتب الينا وأجاز لنا وما أشبه ذلك » .

كأنهما غريبان عنه وبعيدان عن عصره وهما تاج الدين أبوطالب علي بن أنجب ابن الساعي وظهير الدين علي بن محمد الكازروني ، مع ان ابن الفوطي يصرح بأسمائهما دائماً في كتبه ، كما نرى في كتاب تلخيص معجم الألقاب .

٦ — عدم العاطفة الدينية الاسلامية على فاجعة المسلمين في كتاب « الحوادث » فهو لم يذكر كلمة « شهادة » ولا كلمة « استشهاد » في حادثة استيلاء هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦ فما استحق منه كلمة (الشهادة) الخليفة المستعصم بالله ولا ابناه أحمد وعبدالرحمن ولا الأمراء ولا العلماء ولا الأطفال ولا النساء ، وكذلك من قتل بعدهم بسيوف المغول ، مع أن ابن الفوطيّ مع عيشه بين المغول مدة وخدمته لهم يذكر شهداء تلك الوقعة العظيمة ، والمجزرة البشرية الشنيعة ، بكلمة الشهادة أو الاستشهاد ، وذلك أمر ذو بال .

٧ — نقل مؤلف الحوادث عن جماعة لم ينقل عنهم ابن الفوطيّ ، فقد قال في حوادث سنة ٦٧٣ : « وفيها مات العلم [أي علم الدين] الشرمساحي أخو سراج الدين ، المالكيّ وهو مدرس المالكية بالمستنصرية ، قال ابن البديع [(١)] . وفيه يقول شيخنا [(٢)] :

علم الخنا لا الدين رأسك للنعل	وليس لغير النعل رأسك بالأهل
فخرت بتدريس ولا فخر لامرئ	بمنصبه إن كان خلواً من الفضل
وما منصب التدريس إلا غضاضة	إذا ما احتبى فيه نظيرك للجهل
يصيب ولا يدري ويخطي وما درى	كما جاء في تفضيل ذي المنطق الفصل

(١) جاء في تلخيص معجم الألقاب « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر ، يعرف بابن البديع ، البغدادي الفقيه المجلد ، تكريتي الأصل ، كان من فقهاء المستنصرية من الطائفة الحنفية وسمع المشايخ وقرأ عليهم واستفاد منهم وكان أوحد في صناعة التجليد ولذلك كان لايفارق دار الخلافة ، وقرأ على الشيخ رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني ، وعلى الصاحب محيي الدين استاذ الدار ابن الجوزي وسمع قاضي القضاة عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر ، وكان يتردد اليه ويجتمع به ، ورأيته كثيراً ، وكان يكتب لي في الاجازة ، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين [وستمائة] » ، التلخيص ج ٤ ص ٩٦ من نسختي الأولى بخطي » فلعله هو المذكور في الخبر .

(٢) قدم مؤلف الحوادث ذكر شيخه على ما جاء في الصفحة ٣٨٢ وهو ابن تجاد .

ولو لا سراج الدين قلت مقالة ... يُسيرها الركبان في الحزن والسهل

وكان أخوه سراج الدين صديقاً لشيخنا ـ رحمهما الله تعالى ـ [1] » .

وقال ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب : « علم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن عمر الشرمساحي المصريّ المدرس ، قدم بغداد في خدمة أخيه سراج الدين الى تدريس المستنصرية ، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة ودفن عند أخيه [2] » .

٨ — نقل مؤلف الحوادث أخباراً عن غيره أو من كتب التاريخ خاصة بسنين ، كان ابن الفوطي قد سمع بعضها عن كثب وشهد بعضاً ، بحيث لا يحتاج إلى مؤرخ ينقلها عنه ، كقتل فخر الدين مظفر بن الطراح بدار النيابة ببغداد سنة ٦٩٤ ، وقد ذكر مؤلف الحوادث ما نصه « وآخر ما قاله [مظفر بن الطراح] وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل قتله بأيام ، ووجدت بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هدر ... فدعه واصبر لما يأتي به القدر [3] »

٩ — ذكر مؤلف الحوادث ذوي فضل وإحسان وشيوخاً وأصحاباً وأصدقاء وزملاء في العمل لابن الفوطي ، ولم يذكر في سيرهم أن له (أي للمؤلف) صلة بهم كائنة ما كانت ، وقد ذكرنا منهم ابن الساعي والكازروني ونذكر منهم الخواجة نصير الدين الطوسي ، وكان له الفضل الأعظم على ابن الفوطي في السعي في خلاصه من الأسر وتعليمه وترتيبه في خزانة كتب الرصد ، وكذلك كان أبناؤه الثلاثة له ، ومؤلف « الحوادث » يذكر من يذكر منهم وكأنهم من رجال التاريخ حسب ، ولا صلة له بهم ، فاقرأ قوله في حوادث سنة ٦٥٨ قوله : « وفيها وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمراغة وعين فيه جماعة يتولون عمله الى أن انتجز سنة اثنتين وسبعين [وستمائة] [4] » . وقوله فيها : « حكي أن السلطان لما كان بوطاة حران وقف له جمع من الفقراء القلندرية فقال لنصير الدين الطوسي [5] ... » وقوله في

---

(١) كتاب الحوادث « ص ٣٥٣ » .

(٢) التلخيص « ٤ : ٧٥ من نسختي الأولى بخطي .

(٣) الحوادث « ص ٤٨٥ » .

(٤) الحوادث « ص ٣٤١ » . (٥) المذكور « ص ٣٤٣ » .

حوادث سنة ٦٦١ « خيمة بها صاحب الديوان علاء الدين وخواجه نصير الدين الطوسي [١] ... » . وقال في حوادث سنة ٦٦٨ : « قيل إن خواجه نصير الدين الطوسي اجتمع [٢] ... » . وفي حوادث سنة ٦٧٢ : « فيها وصل السلطان أباقا خان الى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر وخواجة نصير الدين الطوسي ... وأما خواجة نصير الدين الطوسي فانه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وأدر أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها [٣] » ثم قال في حوادثها : « وتوفي ... خواجه نصير الدين أبو جعفر محمد بن الطوسي في ثامن عشر ذي الحجة ودفن في مشهد موسى بن جعفر [٤] . » وذكره في غير المواضع التي ذكرناها ، ولم يصحب ذكره لفظاً من ألفاظ الاحترام والتعظيم أو الأستاذية وما يجري مجراها . مع أن ابن الفوطي لا يجرد اسمه من « السعيد » أو « المولى » أو غير ذلك كولانا [٥] .

وذكر مؤلف الحوادث في وفيات سنة ٦٧٢ أيضاً عالماً ممن عرفهم ابن الفوطي قال : « وفيها توفي الشيخ كمال الدين علي بن وضاح الشهرباني الحنبلي مدرس المجاهدية . ودفن تحت أقدام الامام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وكان شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً عارفاً بالمذهب والأحاديث النبوية وله تصانيف كثيرة . كان مولده سنة تسعين وخمسمائة [٦] » .

وذكره ابن الفوطي قال : « كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهراباني ثم البغدادي الفقيه المحدث المدرس ، ذكره شيخنا ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني في تاريخه وقال : كان شيخاً منور الوجه ، كيساً طيباً الاخلاق ، عارفاً بمذهب الامام أحمد ، والأحاديث النبوية [٧] . كان مولده في رجب سنة تسعين وخمسمائة . وتوفي

(١) الحوادث « ص ٣٥١ » . (٢) مذكور « ص ٣٦٥ »

(٣) الحوادث « ص ٣٧٧ » . (٤) مذكور « ص ٣٨ » .

(٥) [illegible] ولما توجه مولانا السعيد نصير الدين الى بغداد » .

(٦) الحوادث « ص ٣٠٦ »

(٧) قال : « ومن تصانيفه [illegible] السلف الصالح ، وكتاب الرد على أهل [illegible] »

يوم الجمعة ثالث صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، احتمع له عالم لايحصى وشدّ تابوته بالحبال وحمل على الأنامل الى مقبرة الامام أحمد ودفن تجاه قبره ، قلت : ولي منه إجازة ، وكان صديق والدي وقد رأيته قبيل الواقعة وترددت اليه في خدمة والدي ـ رح ـ وكتب الكثير بخطه الرائق من الكتب المطولة والمختصرة [٨]» . فهل من حاجة لبيان البون البعيد بين الترجمتين وهو واضح مبين ؟ فان ذاتية ابن الفوطي ظاهرة في ترجمته لابن وضاح وذاتية مؤلف الحوادث خافيـــة ، وكذلك القول في ذكر ابن الفوطي لعماد الدين الحسن بن محمد الأبهري المعروف بالزمهرير [٢] ، قال : « عماد الدين أبو علي الحسن بن محمد بن الأبهري يعرف بالزمهرير شيخ رباط الخلاطيـــة ، كان ببغداد لما وقعت الواقعة ، وجرى ما جرى وحصل في جملة الأسرى من أصحاب أولجاي خاتون ، وأقام عندهم مديدة وقرر في أذهانهم أنه من أولاد المشايخ والصوفية ولما توجه مولانا السعيد نصير الدين الى بغداد تشفع وتضرع الى الخاتون وأصحابها في أن توليه مشيخة رباط الخلاطية ، فسألت نصير الدين ذلك فكتب بما أراده ونزل في خدمته سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ورتب شيخاً بالرباط وكتب له التمغا فكان يعلقها فوق رأسه إذا جلس فوق سجادته ، وكان بارد اللهجة فسمي الزمهرير ، ولم يتمّ أمره ، وعاد الرباط الى شيخه شيخنا شمس الدين اليزدي والحمد لله ، وتوفي الزمهرير سنة ثمان [وسبعين وستمائة [٣]] وسألته [عن مولده فقال ...] » .

ثم ترجمه ابن الفوطي باسم « محمد بن الحسن » قال : « عماد الدين محمد بن الحسن بن أحمد الأبهري ، يعرف بالزمهرير ، شيخ رباط الخلاطية ، قدم بغـــداد في صحبته مولانا نصير الدين أبي جعفر الطوسي وأحضر فرماناً من بعض الخواتين بتوليته رباط الخلاطية ، فلم يجد بداً من ذلك ورتبه شيخاً بالخلاطية سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وكان يلقب بالزمهرير ، وعزل الشيخ شمس الدين محمد بن سعد اليزدي ، واتفق بعد ذلك أن رتب الشيخ

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ٤٦١ من الكاف .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ . ٩٩ . ١١٩ »

(٣) قدرت وفاته بذلك من قول المؤرخ « ولم يتم أمره » .

محيي الدين عبد القاهر بن السهروردي في مشيخة الخلاطية وحضره الأئمة والأكابر ، فقرأ الامام تاج الدين حسين إمام الحنابلة : لايرون فيها شمساً ولا زمهريرا [1] » .

فتأمل اضطراب كتابة ابن الفوطي ونسيانه أنه قد ترجم الرجل قبلاً باسم « الحسن بن محمد » وأن شمس الدين بن اليزدي تولى الرباط ثانية قبل محيي الدين بن السهروردي ، ودونك ما قال مؤلف كتاب « الحوادث » في أخبار سنة ٦٧٢ :

« وفيها أحضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري المعروف بالزمهرير ، تقـــدم لبعض الخواتين [2] إلى خواجة نصيرالدين الطوسي [3] بمشيخة رباط الخلاطية . فرتبه عوضاً عن شمس الدين بن اليزدي ، وكان شيخاً لم يخالط الصوفيـــة ، ولا عرف قواعدهم ولا تأدب بآدابهم ، وكان الناس يولعون به فقـال له يوماً شمس الدين الـكوفي الواعظ : أنت وأنا لا نرى في الجنـة . فتأثر لذلك واغتاظ منه فقال له إن الله تعالى يقول : لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً . ولم يزل شيخاً بالرباط الى سنة سبع وسبعين [وستمائة] ثم سافر وأعيد ابن اليزدي الى الرباط [4] » .

هذا آخر ما أردنا نشره من ترجمة ابن الفوطيّ ، وقد نشرنا موجز ترجمته في أول ما بقي من الجزء الرابع من كتابه البارع « تلخيص مجمع الآداب » وهو الذي حققناه لوزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية العربية السـورية ونشرته بنفقاتها للعالم العربي في أربعة أقسام والله تعالى الموفق للصواب .

مصطفى جواد

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١١٩ » .

(٢) في المطبوع — ص ٣٨١ — « الخواتين » بدلاً من « الخواتين » وهو من غلط الطبع .

(٣) قابل هذا القول بقول ابن الفوطي « ولما توجه مولانا السعيد نصيرالدين » وقوله « قدم بغداد في صحبة مولانا نصير الدين أبي جعفر الطوسي » . لتعلم ما ذكرناه من اختلاف المؤلفين علماً يقينياً .

(٤) الحوادث « ص ٣٨١ » .

زهير بن قيس البلوي (١)

فاتح منطقة مدينة تونس (٢) وقائد المعركة الحاسمة (٣) في افريقية على البربر

« إنما قدمت للجهاد ، ولم أقدم لحب الدنيا »

« زهير بن قيس البلوي »

اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى :

هو زهير بن قيس البلوي [٤] ، يكنى أبا شدّاد [٥] ، يقال له صحبة [٦] ، وجزم بعضهم بصحبته ، فقال : « هو من الصحابة [٧] » . شهد فتح مصر [٨] وكان فتحها سنة عشرين

(١) بلي : على وزن علي ، من قضاعة . انظر جمهرة أنساب العرب (٤٧٩) ، ومن بطون قضاعة . بلي بن عمرو بن مالك بن إلحاف بن مالك بن قضاعة . انظر المنتخب في ذكر قبائل العرب (٤٠) .

(٢) تونس : بالضم ثم السكون والنون تضم وتفتح وتكسر . مدينة كبيرة محدثة بافريقية على ساحل بحر الروم ، عمرت من انقاض قرطاجنة . وكان اسم تونس في القديم ترشيش ، وهي على ميلين من قرطاجنة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٣٢) وآثار البلاد واخبار العباد (١٧٣) وتقويم البلدان (١٤٢ – ١٤٣) والمسالك والممالك (٣٣) .

(٣) المعركة الحاسمة : هي معركة لسحق جيش العدو الذي هو هدف الحركات الخطير ، وبذلك تستسلم بلاده لعدم وجود قوة ضاربة تدافع عنها .

(٤) الاصابة (٣/١٧) وأسد الغابة (٢/٢١١) وتهذيب ابن عساكر (٥/٣٩٣) .

(٥) الاصابة (٣/١٧) .

(٦) الاصابة (٣/١٧) وأسد الغابة (٢/٢١١) والاستقصا (١/٧٦)

(٧) تهذيب ابن عساكر (٥/٣٩٣) .

(٨) الاصابة (٣/١٧) .

الهجرية[1] ، ومعنى ذلك أن زهيراً ولد في أيام الرسول ﷺ ، فهو صحابي بالمولد .

روى زهير عن جماعة من الصحابة ، وروى عنه جماعة من التابعين [2] ، وقد عده بعضهم من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر [3] فلذلك نال زهير شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد ، إذ من الواضح أنه كان صغيراً على عهد النبي ﷺ .

جهاده :

١ — شهد زهير فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وغزا « إفريقية » ووليها [4] وفي سنة اثنتين وستين الهجرية رد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع الفهري إلى « إفريقية [5] » فاستخلف في « القيروان » زهيراً [6] وترك معه جنداً تعدادهم خمسة آلاف رجل مع الذراري والأموال لإعمار القيروان والمحافظة عليها من الغزاة [7] .

٢ — ولما استشهد عقبة بن نافع الفهري في (تَهُوذَة [8]) سنة ثلاث وستين الهجرية [9] (٦٨٣ ميلادية) قصد (كسيلة بن لمزم) القيروان في جمع كثير من

(١) ابن الأثير (١ / ٢١) والعبر (١ / ٢٣) وشذرات الذهب (١ / ٣١) وابو الفدا (١ / ١٦٣) .

(٢) انظر التفصيل في الإصابة (٣ / ١) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٩٢)

(٣) رياض النفوس (١ / ١٦) والاستقصا (١ / ٦) .

(٤) رياض النفوس (١ / ٦٠) .

(٥) رياض النفوس (١ / ٢٢) والاستقصا (١ / ٢) .

(٦) ابن الأثير (٤ / ٤٢) وفي رياض النفوس (١ / ٢٢) وفتوح مصر والمغرب (٢٦٧) . إنه استخلف على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي .

(٧) انظر تاريخ المغرب الكبير (٢ / ٤٧)

(٨) تهوذة : اسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية لها أرض تعرف بهم . انظر معجم البلدان (٢ / ٤٣٨) .

(٩) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٤٩) والبداية والنهاية (٨ / ٢١) وابن الأثير (٤ / ٤٣) والإصابة ٥ / ١ / ١

الروم والبربر ، فعزم زهير على القتال فخالفه حَنَشُ الصنعاني [1] وعاد الى مصر ، فتبعه أكثر الناس ، فاضطر زهير الى العودة معهم ، فسار الى (بَرْقة [2]) وأقام بها [3] .

وقد زحف كسيلة البرنسي الى القيروان سنة اربع وستين الهجرية وانتزعها من يد المسلمين في المحرم [4] ، فعظم البلاء على المسلمين ، فقام زهير بن قيس خطيباً في الناس ، فقال : « يا معشر المسلمين ! إن اصحابكم قد دخلوا الجَنة ، وقد منّ الله عليهم بالشّهادة ،

(١) حنش الصنعاني . هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة أبو رشيد من صنعا دمشق . روى عن فضالة بن عبيد ورويفع بن ثابت وابي هريرة وابي سعيد ، وروى عنه ابنه وقيس بن الحجاج وجماعة . غزا المغرب وسكن افريقية وعداده في المصريين وهو تابعي كبير ثقة . دخل الاندلس وكان مع علي بن ابي طالب بالكوفة وقدم مصر بعد قتل علي وغزا المغرب والأندلس . كان حنش اذا فرغ من عشائه وحوائجه واراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف وإناء فيه ماء ، فكان إذا وجد النعاس استنشق بالماء واذا تعايا في آية نظر في المصحف ، وكان اذا جاءه سائل مستطعم لم يزل يصيح باهله : «أطعموا السائل» ؟ حتى يطعم . نزل مصر ومات سنة مئة الهجرية ، وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك ابن مروان ، فأتى به عبد الملك في وثاق فعفا عنه . وذلك لان عبد الملك حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين الهجرية ، فحفظ له ذلك . وكان حنش أول من ولي عشور افريقية في الاسلام ، وكان له عقب بمصر . غزا الاندلس مع موسى بن نصير وله بها آثار ويقال إن جامع سرقسطة من ثغور الاندلس من بنائه وأنه أول من اختطه . وفي رواية : ان أبا المهاجر دينار بعث حنش الصنعاني الى جزيرة شريك (في إفريقية) فافتتحها ، انظر التفاصيل في تهذيب ابن عساكر (٥/٩—١١) ومعجم البلدان (٥/٣٩٢ — ٣٩٣) والاستقصا (١/١٢) وقد جاء في ابن الاثير (٤/٤٣) : فخالفه حيش الصنعاني .. انتهى ، والصحيح حنش لا حيش كما هو واضح

(٢) برقة : اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية ، واسم مدينتها : إنطابلس ، وتفسيره . الخمس مدن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٣٣) .

(٣) ابن الاثير (٤/٤٣)

(٤) الاستقصا (١/١٢) وفي فتوح مصر والمغرب (٢٦٩) : « ثم زحف ابن الكاهنة (كسيلة) الى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس ، فقاتلاه قتالا شديداً ، فهزم ابن الكاهنة وقتل اصحابه . وخرج عمر بن علي وزهير بن قيس الى مصر لاجتماع ملأ البربر ، وأقام ضعفاء اصحابها ومن كان خرج معها من موالي إفريقية باطرابلس وكان مقتل كسيلة في سنة أربع وستين الهجرية» انتهى. ومن الواضح أن هذه الرواية مرجوحة ، إذ أن كسيلة هو الذي جمع البربر والروم سنة أربع وستين الهجرية لقتال المسلمين في (القيروان) ، فاذا استطاع المسلمون قتله وقتل اصحابه . فلماذا ينسحبون من (القيروان) ؟؟

فاسلكوا سبيلهم يفتح الله لكم دون ذلك » ، فقال حنش الصنعاني : « لا والله ، ما نقبل قولك ، ولا لك علينا ولاية ولا عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين الى مشرقهم »، ثم قال :«يامعشر المسلمين! من أراد منكم القفول الى مشرقه فليتبعني »، فأتبعه الناس ولم يبق مع زهير الا أهل بيته . فنهض في أثره ولحق بقصره بـ (برقة) ، فأقام بها مرابطاً الى دولة عبد الملك بن مروان . وأقبل كسيلة البرنسي بعساكره . فلما قرب من (القيروان) خرج من كان فيها من العرب هاربين . إذ لم يكن لهم طاقة بقتاله لعظيم ما اجتمع له من البربر والروم ، فأمّن كسيلة من بقي في القيروان من المسلمين ، وأقام بالقيروان أميراً على سائر إفريقية والمغرب كله وعلى من فيه من المسلمين ، الى أن ولي الخلافة عبـــد الملك بن مروان [1] ولم يقم بالقيروان من المسلمين إلا أصحاب الذراري والأثقال . فأمنهم كسيلة وثبت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي فيها من العرب . واضطرم المغرب ناراً . وفشت الردة في البربر ، الى أن استقلّ عبد الملك بالخلافة وأذهب آثار الفتنة من المشرق . فالتفت الى المغرب [2] ليصفي حسابه هناك .

وفي رواية، أن زهيراً خليفة عقبة في القيروان . لما بلغه ما جرى على عقبة ، رعب رعباً شديداً وأراد الأنصراف الى مصر فمنعه أحد أصحابه [3] وقال . « لا تفعل ، فإنها هزيمة الى مصر » . ثم برز للعدو فكان أول من برز . فضرب جناحه ، فلما رأى زهير عزمه عزم معه وكان معه ستة آلاف رجل : ألفان من البربر ، وأربعة آلاف من العرب . وزحف زهير الى كسيلةوقاتله قتالاً شديداً ،فانهزم كسيلةوقتل من إصحابه ما لا يحصى وتفرقوا [4]

والظاهر أن الرواية الأولى هي أصح ، إذ لم يكن بمقدور العرب المسلمين وهم قليلون ،

(١) الاستقصا (١٨/١) : وقد ورد في الاستقصا (٧٥/١) في خطاب زهير . « . فاسلكوا سبيلهم أو يفتح الله عليكم » .

(٢) الاستقصا (٧٥/١)

(٣) منعه ابن حيان الحضرمي . انظر رياض النفوس (٢٨/١) .

(٤) رياض النفوس (٢٨/١ ـ ٢٩) .

مقاومة كسيلة بعد أن اجتمع عليه الروم والبربر ، وبعـد أن ارتفعت معنوياتهم نتيجة لانتصارهم على عقبة بن نافع في (تهوذة) واستشهاده واستشهاد زهاء ثلاثة مائة رجل من أصحابه معه ، خاصة وأن الرجال الذين كانوا مع زهير في القيروان على قلّتهم، لم يكونوا من المحاربين المتميزين ، إذ ليس هناك قائد يمكن أن يستغني عن خمسة آلاف أو ستة آلاف ويبقيهم في الخلف وهم من محاربي الدرجة الأولى، بل إن القادة ـ عادة ـ يتركون في الخلف وراءهم محاربي الدرجة الثانية من كبار السن ، أو ذوي العاهات أو من غير الشجعان ... الخ ، ومثل هذا الجيش لا يستطيع صدّ جيش لجب كجيش كسيلة يتمتّع بمعنويات عالية فائقة .

لذلك انسحب زهير من القيروان الى (برقة) ، وكان قراره هـذا صحيحاً من الناحية العسكرية ، لأن اشتباكه مع العدو وهو لا يملك القوة الكافية لاحراز النصر ، يؤدي إلى كارثة عسكرية تحلّ بجيشه دون مبرر ولا جدوى .

٣ — ولما استقلّ عبد الملك بن مروان بالخلافة بعد قضائه على الفتن الداخلية ، كان زهير مرابطاً في (برقة) منذ استشهاد عقبة بن نافع الفهري [١] ، فذكر عند عبد الملك من بالقيروان من المسلمين، وأشار عليه أصحابه بانفاذ الجيوش إلى إفريقية لاستنقاذهم [٢] من يد (كسيلة) وأن يعزّ الاسلام بها كما كان في أيام عقبة ، فقال لهم عبد الملك : « من للأمر مثل عقبة ؟! » ، فاتفق رأيهم ورأي المسلمين على زهير ، وكان من رؤساء العابدين وأشراف المجاهدين ، فوجه اليه عبد الملك وأمره بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية ، فسرّ ذلك زهيراً وسارع الى الجهاد [٣] .

ولكن زهيراً كتب الى عبد الملك يعلمه بكثرة الروم والبربر [٤] ، وبقلة من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبد الملك إلى أشراف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام،

(١) الاستقصا (٨١/١)
(٢) ابن الأثير (٤٣/٤) .
(٣) رياض النفوس (٢٩/١) .
(٤) الاستقصا (٨١/١) .

وأفرغ عليهم أموال مصر ،فسارع الناس الى الجهاد واجتمع منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزهير ، فلما وصلوا اليه خرج بهم الى (إفريقية) . فلما دنا من (القيروان) نزل بقرية يقال لها (قَلْشانَة) [1] وذلك في سنة تسع وستين الهجرية ، فبلغ ذلك كسيلة - وكان في حلق عظيم من الروم والبربر . فدعا كبارهم وأشرافهم، وشاورهم وقال لهم : « أرى أن ننزل بـ(مَمس) [2] لئلا يركبنا من بالقيروان فنهلك [3] ، ولأن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم . ونخاف إن قاتلنا زهيراً أن يثب هؤلاء وراءنا ، فإذا نزلنا (ممس) أمناهم وقاتلنا زهيراً . فإن ظفرنا بهم تبعناهم إلى (طرابلس) وقطعنا أثرهم من إفريقية ، وإن ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا [4] ، كما أن الماء بـ (ممس) كثير » . فأجابوه إلى ذلك . ورحل إلى (ممس) فبلغ ذلك زهيراً ، فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح واستراح [5] .

وفي اليوم الرابع زحف زهير في آلاف من المقاتلة ، وجمع له كسيلة البرانس [6] وسائر البربر ولقيه بـ (ممس) من نواحي القيروان . وأشرف زهير على عسكر كسيلة في آخر النهار ، فأمر الناس بالنزول ، فلما أصبح زحف اليه . وأقبل كسيلة ومن معه ، فالتحم الفريقان ونزل الصبر وكثر القتل في الجانبين حتى يئس الناس من الحياة ،ولم يزالوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقتل . ومضى الناس في طلب البربر والروم ، فلحقوا كثيراً منهم وقتلوهم وجدُّوا في طلبهم الى وادي (مَلْوِيَة) واد بـ (طنجة) بالمغرب ، وفتح (شِقَّبَنارية) [7]

(١) وردت في رياض النفوس (١/ ٣٠) . قرشانة . ووردت في معجم البلدان (٧/ ١٤٧): قلشانة ، وهي مدينة بإفريقية بضواحي القيروان . انظر معجم البلدان (٧/ ١٤٧) وهامش رياض النفوس (١/ ٣٠) . (٢) وقد وردت في ابن الأثير (٤/ ٤٣) : ممش ، وهي في الهضبة في الجنوب الشرقي لجبال أوراس في الجزائر الآن

(٣) رياض النفوس (١/ ٣٠) وفي ابن خلدون (٤/ ١٨٧): ان زهيراً زحف سنة سبع وستين .

(٤) ابن الأثير (٤/ ٤٣ - ٤٤) .

(٥) ابن الأثير (٤/ ٤٤) ورياض النفوس (١/ ٣٠) والبيان المغرب (١/ ٢٠) .

(٦) البرانس قبيلة من البربر .

(٧) هي مدينة Sicca Veneria الرومانية القديمة ، وتسمى الآن : الكاف .

وقلاعاً أخر[١]، وفتح مدينة تونس[٢] وفي هـــذه الوقعـة ذلّ البربر وفنت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم[٣] وقتـــل رجال الـبربر والروم وملوكهم وأشرافهم[٤]. وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم، فلجأوا الى الحصون والقلاع[٥] واضمحل أمر الروم فلم يعد لهم شأن يذكر[٦]. وخاف البربر من زهير والعرب خوفاً شـــديداً، وكسرت شوكة (أوربة)[٧] من بينهم، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى، وملكوا مدينة (وليلي) وكانت فيما بين (فاس) و (مكناسة) بجانب جبل (زَرْهُون) ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر[٨].

لقد كانت معركة (ممس) معركة حاسمة حقاً، فقد قضى زهير على مقاومة البرانس، فكان هـــذا القضاء عظيم الأثر في مستقبل الفتوح، لأن بُتْر[٩] البربر كانوا إلداً مع العرب أنصاراً لهم لانتشار الاسلام فيهم، وان البرانس من البربر حملوا لواء المقاومة بعدم الروم بالعون، فكانت ضربة زهير قاضية على رأس المقاومة وخاتمة لآمال الروم في الاستعانة بأهل البلاد على العرب[١٠].

٤ — وعاد زهير الى (القيروان)، فرأى بافريقيـة ملـكاً عظيماً، فأبى أن يقيم بها وقال: «إني ما قدمت إلاّ للجهاد، وأخاف أن أميل الى الدنيا فأهلك». وكان من رؤساء

(١) رياض النفوس (١/ ٣) وانظر ابن الأثير (٤/ ٤٤) والبيان المغرب (١/ ٢٠) والاستقصا (١/ ٨١).

(٢) البلاذري (٢٣١).

(٣) الاستقصا (١/ ٨١)

(٤) ابن الأثير (٤/ ٤٤).

(٥) البيان المغرب (١/ ٢٠).

(٦) الاستقصا (١/ ٨١) وقد وردت كلمة العرنجة بديلا من كلمة الروم

(٧) قبيلة من قبائل البربر.

(٨) الاستقصا (١/ ٨١).

(٩) قبيلة من البربر.

(١٠) فتح العرب للمغرب (٢٣٠).

العابدين وكبار الزاهـدين ، فترك القيروان آمناً وانصرف عنهـا وأقام بها كثير من أصحابه [1] .

ترك القيروان آمنة لخلوّ البلاد من عدو ذي شوكة ، ورحل في جمع كثير الى مصر ، فبلغ الروم خروجه من (إفريقية) الى (برقـــة) وأمكنهم ما يريدون ، فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة [2] من القسطنطينية وجزيرة صقلية [3] ، فأغاروا على برقة وأصابوا بها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا . ووافق ذلك قدوم عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم وأشرف على الروم ، فاذا هم خلق عظيم ، فلم يقدر على الرجوع ، واستغاث بـــه المسلمون وصاحوا . والروم يدخلونهم المراكب ، فنادى بأصحابـــه : « النزول » . فنزلوا ، وكان أكثرهم من التابعين . ونزل الروم اليهم ، وتلقوهم بعدد عظيم . فالتحم القتال وتكاثرت عليهم الروم ، فقتل زهير وأشراف من كانوا معه من العرب [4] ، ولم ينج منهم أحد . وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية [5] .

وفي رواية ، أن الروم بالقسطنطينية عـــند ما بلغهم مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة ، اغتنموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية ، وأغاروا على برقة . فأصابوا منها سبياً كثيراً . وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية الى برقة فأخبر الخبر . فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم . ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقـاً كثيراً . فلما رآه المسلمون إستغاثوا به ، فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال فاشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيراً وأصحابه ولم ينج منهم

(١) انظر ابن الأثير (٤/٤٤) والبيان المغرب (١/٢٠) والاستقصا (١/٨١) ورياض النفوس (١/٣١) .

(٢) البيان المغرب (١/٢١) .

(٣) ابن الأثير (٤/٤٤)

(٤) البيان المغرب (١/٢١)

(٥) ابن الأثير (٤/٤٤)

أحد ، فعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية [1] .

ونحن جديرون أن نتأمل قليلاً هاتين الروايتين : الأولى أن الروم أقدموا على حملتهم حين بلغهم خروج زهير من إفريقية إلى برقة ، والثانية أن الروم أقدموا على حملتهم حين بلغهم خروج زهير من برقة الى افريقية .

والفرق بين الروايتين كبير جداً من الناحية العسكرية ، فالرواية الأولى تدلّ على أن الروم استهدفوا من حملتهم جيش زهير بالدرجة الأولى ، لذلك جرى إنزالهم في برقة لا في الموانئ الافريقية الأخرى وهي على طريق عودته من القيروان إلى مصر لأجل سحق جيش زهير وهو الهدف السوقي (الاستراتيجي) الحيوي في الحرب ، لأن القضاء على الجيش معناه انتهاء كل مقاومة معادية .

ومما يدلّ على أن خطة الروم كانت ترمي الى القضاء على جيش زهير بالدرجة الأولى، هو تحشيد جيش ضخم من القسطنطينية ومن صقلية في آن واحد، وتوقيت إنزاله في برقة في وقت معين محدد هو موعد وصول جيش زهير إلى تلك المنطقة ، ولو كانت نيات الروم مجرد غارة ولما بذلوا كل هذه الاستعدادات الضخمة وإعداد الخطط الموقوتة وحشد الجيوش الكبيرة ولما أجروا إنزالهم في وقت وصول طلائع جيش زهير إلى برقة أو قبله .

أما الرواية الثانية فتدل على أن خطة الروم كانت غارة لجمع الغنائم والأسلاب ، وهذه الغارة لاتحتاج الى تلك الاستعدادات الدقيقة الموقوتة وحشد الجيوش الضخمة .

فمن الواضح إذاً ، أن الروم أجروا إنزالهم في برقة - مع كل ما ذكرنا من ضخامة الجيوش وضخامة الاستعدادات ، للقضاء على جيش زهير وليفوتوا عليه فرصة نجاحه الكبير في معركة (ممس) وليستعيدوا سلطتهم الكاملة على (إفريقية) ، لذلك فأنّ الرواية الأولى هي المقبولة ، لأنها تتفق هي والواقع الذي جرى فعلاً ، ولأن سير الحوادث يؤيدها من كل الوجوه .

---

(١) ابن الأثير (٤/٤٤) .

لقد شغل الروم عن إفريقية خلال حملة عقبة الأولى، لأن العرب المسلمين كانوا إذ ذاك يحاصرون القسطنطينية حصارهم الأول الذي بدأ سنة ثمان وأربعين الهجرية واستمر إلى ما بعد سنة خمسين الهجرية، ولبثت الدولة الرومانية بضعة أعوام بعد ذلك تقاسي عقابيل هذه المحنة التي كادت تودي بها، فلم يعد اليها الهدوء الذي يسمح لها بالاهتمام بولاياتها إلا بعد سنة خمس وخمسين الهجرية [1] إذ نشط الروم بعدها نشاطاً مفاجئاً ترجع أسبابه إلى استرجاع الدولة عافيتها بفضل جهود قسطنطين الرابع واصلاحه الديني واجتهاده في وصل ما كان قد وهى من علاقات الدولة مع أملاكها في (إفريقية) وغيرها [2]، وكان انشغال العرب بكسيلة وتوجه اهتمامهم للقضاء عليه فرصة طيبة استطاع فيها الروم أن يشدوا أسرهم ويثبتوا أقدامهم استعداداً لصراع حاسم [3].

فلماذا ارتد زهير من إفريقية مسرعاً لغير سبب ظاهر بعد انتصاره في (ممس)؟

إن تعليـــل المراجع لذلك بقولها: إنه خشي الفتنــــة على نفسه، وكان من العبّاد المخبتين، فقال: «إنما جئت للجهاد في سبيل الله. وأخاف على نفسي أن تميل إلى الدنيا فأهلك» [4]... الخ تعليل ضعيف. لأن الزاهد الورع الذي يخاف على نفسه فتنة الدنيا هو الذي يقيم على الثغور ويرابط في دار الحرب. فاذا فضل على ذلك العودة إلى العواصم والمدن لم يكن ذلك دليلاً على الورع أو بدافعه. بل دليل أمور أخرى وبدافعها [5]. فما أسباب عودته مسرعاً؟ الظاهر أن السبب الحقيقي هو وصول معلومات أكيدة إليه عن تحركات جيوش الروم باتجاه برقة. لذلك سارع إلى العودة حتى لا يقطع الروم خطوط مواصـلاته أولاً، وحتى يحرمهم انتهاك حرمة المدن الاسلامية ثانياً، خاصة إنه يعرف أن منطقة برقة

(١) فتح العرب للمغرب (١٥٩)

(٢) فتح العرب للمغرب (٢١٣).

(٣) فتح العرب للمغرب (٢١٥)

(٤) الاستقصا (١/ ٨٩)

(٥) فتح العرب للمغرب (٢٢٢)

كانت حينذاك منطقة مكشوفة تقريباً ، لعدم تيسّر قوات إسلامية كافية فيها تحميها من غارات الروم بجيوش ضخمة عليها ، وليس معنى ذلك ان تلك المنطقة كانت محرومة تماماً مدافعين عنها ، إذ أن ذلك لا يمكن أن يحدث مطلقاً من الناحية العسكرية ، فلا بد أن يكون فيها عدد مناسب من الرجال لحمايتها من الغارات المحدودة ومن قوات معادية قليلة ، وذلك بمشاغلتهم مدة من الزمن حتى ترد المدافعين النجدات والأمداد ، إذ لا يمكن أن يترك أي قائد أية منطقة على خطوط مواصلاته دون حماية كافية ، ولكن القوة التي تركها في برقة لا ترقى أن تكون كافية في صد جيوش كبيرة ، وهذا ليس خطأ زهير بتاتاً ، إذ ليس بامكانه أن يزرع رجاله بأعداد كبيرة ليكوّنوا حاميات على طول خطوط مواصلاته التي تمتد إلى قرابة الفي ميل ، وليس هناك قوة كافية لهذا الغرض ، فلم يكن له إلا أن يترك حاميات صغيرة في النقاط السوقية (الاستراتيجية) المهمة لحمايتها من قوات معادية محدودة ولفترة محدودة من الزمن الى أن تردها النجدات والأمداد .

ولكن المعلومات التي وردت عليه عن حشود الروم الضخمة باتجاه منطقة برقة ، جعلته يقرر فوراً العودة أدراجه الى تلك المنطقة لمواجهتها بقواته الضاربة ، وفعلاً وصل الى تلك المنطقة في الوقت المناسب ، ولكنه دحر أمام الروم لأن قواته لم تكن كافية لاحراز الظفر عليها ، بالرغم من إقدام زهير واقدام رجاله على مقاتلة الروم بشجاعة وتضحية وفداء .

وهكذا سقط زهير وكثير من رجاله شهداء في ساحة الوغى ، لأن القوتين العربية والرومية لم تكونا متكافئتين ، ولأن العرب كانوا مجهدين من سفرهم الشاق الطويل آلاف الأميال ، ولأنّ الوقت المتيسر لزهير لم يكن كافياً في إعداد الخطة العسكرية الدقيقة لمقاومة الغزو ولتلقي الأمداد من المشرق ، فاندفع زهير ودفع قواته بمثل تلك الظروف الصعبة بحوافز عاطفية هي تخليص الاسرى المسلمين من أيدي الروم ، فوقعت الكارثة بزهير ورجاله ، فخسروا كل شيء ... إلا الشرف ... ولم يكن بامكانهم ولا بإمكان أي قائد آخر في مثل

تلك الظروف والأحوال ، أن يفعل غير ما فعله زهير وأصحابه فيلاقي نفس المصير الذي لاقوه .

الإنسان :

كان زهير صحابياً ولكننا لا نعلم عن أيامه الأولى شيئاً كثيراً ، وكان ممن لزم عمرو بن العاص ودخل معه دمشق . وفي سنة أربع وستين الهجرية كان زهير بمصر فبعثه أميرها [1] الى (أيلة)[2] ليمنع عبدالعزيز بن مروان من المسير اليها . وكان زهير حينذاك إلى جانب عبدالله بن الزبير على بني أمية ، فهزم زهير ومن معه أمام عبدالعزيز بن مروان [3] . ولعل هذا الحادث ترك أثره في نفس عبدالعزيز بن مروان على زهير ، فقد ندب عبدالعزيز زهيراً إلى (برقة) وكان عبدالعزيز أميراً على مصر مخاطباً زهيراً بشيء ، فأجابه زهير : « أتقول هذا لرجل جمع ما أنزل الله على نبيه قبل أن يجمع أبواك هذا ؟ » [4] .

كان زهير من رؤساء العابدين وأشراف المجاهدين [5] صاحب فضل ودين [6] ، وكان من السادة المخبتين [7] ، وكان من السادة المتفقهين .

شهد فتح مصر سنة عشرين الهجرية كما أسلفنا ، فإذا كان عمره يوم [8] شهد فتح مصر زهاء عشرين عاماً ، واستشهد سنة إحدى وسبعين الهجرية (٦٩٠ م) فليس من

(١) كان أميرها عبدالرحمن بن عتبة بن إياس الفهري . انظر الولاة والقضاة (٤١) وهو المعروف بابن جحدم .

(٢) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر) مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٩١)

(٣) الولاة والقضاة (٤٣) .

(٤) الاصابة (٣ / ١٢) وانظر تهذيب ابن عساكر (٥ / ٢٩٣) .

(٥) رياض النفوس (١ / ٢٩) .

(٦) البيان المغرب (١ / ٢١)

(٧) الاستقصا (١ / ٨١) .

(٨) تاريخ الفتح العربي في ليبيا نقلا عن المؤنس .

المعقول أن يكون عمره حينذاك أكثر من إحدى وسبعين سنة ، وإلا ما استطاع قيادة الجيوش ومعاناة أمور الحرب وتحمل أعبائها ، لذلك كان من المحتمل أن يكون زهير قد ولد في السنة الأولى من الهجرة (٦٢٢ م) ، وقد دفن بـ (درنة) [١] قريباً من الشاطيء الذي استشهد فيه ، وقبره وقبور الشهداء الذين سقطوا معه معروفة هناك [٢] .

وقد ورد في بعض المصادر أنه استشهد سنة ست وسبعين الهجرية [٣] مع أن خليفته حسان بن النعمان تولى افريقية سنة أربع وسبعين الهجرية [٤] ، فلابد أن حسان بن النعمان تولاها بعد استشهاد زهير لا قبله !

كما ورد في بعض المصادر ، أن زهيراً قتل سنة تسع وستين الهجرية [٥] ، وهذا مردود أيضاً ، لأنه ليس من المعقول أن يتولى زهير إفريقية وهو بـ (برقة) في هذه السنة ، ثم يعدّ جيشه ويتلقى الأمداد ويسير إلى القيروان ويقاتل هناك ويطارد العدو ، ثم يعود أدراجه من القيروان إلى (برقة) بعد مكوثه في (القيروان) ردحاً من الزمن ، ويتم كل ذلك خلال سنة واحدة !!!

ولما سمع عبدالملك بن مروان بقتل زهير ، عظم عليه واشتد [٦] ، وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة بن نافع قبله [٧] ، لمكانة زهير السامية في نفوس العرب المسلمين .

لقد كان زهير من رجالات السلف الصالح شجاعة وبطولة وإيماناً وورعاً .

القائد :

نشأ زهير في بيئة عربية خالصة تتسم بالشجاعة والإقدام ، وترعرع في أيام الجهاد

(١) درنة . مدينة في ليبيا على ساحل البحر شرقي بنغازي
(٢) معجم البلدان (٤ / ٥٥) .
(٣) الاصابة (٣ / ١٧) ومعجم البلدان (٤ / ٥٥)
(٤) ابن الاثير (٤ / ١٤٣)
(٥) ابن الاثير (٤ / ١٤٣) .
(٦) ابن الاثير (٤ / ٤٤)
(٧) البيان المغرب (١ / ٢١) ورياض النفوس (١ / ٣١) .

الأولى وفي العهد الذهبي للفتح الإسلامي ، وما كاد يشب إلا وانخرط في سلك المجاهدين الفاتحين، فشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، ثم شهد فتوح إفريقية ووليها أيضاً .

وحين أصبحت مصر بلداً إسلامياً وبدأ الفاتحون يتوغلون غرباً في إفريقية ،كان زهير مع أولئك الفاتحين . وفي سنة ست وأربعين الهجرية كان زهير في جيش عقبة بن نافع ، فاستخلفه عقبة على جيشه بـ (مغداش) [1] وسار بنفسه عن خف معه لفتح (ودّان)[2] ثم عاد عقبة إلى عسكره بعد خمسة أشهر [3] . وفي سنة اثنتين وستين الهجرية استخلفه عقبة على (القيروان) حين يمم شطر المغرب الأقصى إلى المحيط الأطلسي [4] ، كما مر بنا ذلك .

لقد كان زهير من أقرب المقربين إلى عقبة وكان ساعده الأيمن في حروبه وغزواته ، فلا عجب أن تجمع آراء ذوي الرأي من المسلمين على اختياره خلفاً لعقبة في فتح (إفريقية)[5] وأخذ ثارات شهداء (تهودة) : عقبة وأصحابه ، واستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها [6] .

هذه التجربة الطويلة لزهير في إدارة الحروب ومعاناتها ، أفادت المسلمين عند ما أصبح قائداً لجيش إفريقية ، فخاض معركة حاسمة في (ممس) : ذل البربر وفت فرسانهم ورجالهم وحصدت شوكتهم وقتل رجال البربر والروم وملوكهم وأشرافهم ، وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم ، فلجأوا إلى الحصون والقلاع ، واضمحل أمر الروم فلم يعد لهم شأن

(١) مغداش : مدينة قريبة من سرت في طرابلس انظر هامش فتوح مصر والمغرب (٢٦٢)

(٢) ودان : مدينة قديمة من مدن الصحراء الجنوبية ، تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس الغرب بنحو (٧٦٩) كم - انظر التفصيل في تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٤٧) .

(٣) انظر التفصيل في فتوح مصر والمغرب (٢٦٢ - ٢٦٤) وفي ترجمة عقبة بن نافع الفهري في قادة فتح المغرب العربي (١/ ٩٠-١٣٦) .

(٤) ابن الأثير (٤ / ٤٣ - ٤٤) .

(٥) البيان المغرب (١ / ٢٩)

(٦) الاستقصا (١ / ٨١) .

يذكر ، وخاف البربر من زهير والعرب خوفاً شديداً ، وكسرت شوكة قبيلة (أوربة) البربرية القوية المتنفذة فى إفريقية كما ذكرنا سابقاً .

وكان قرار زهير الخاص بمطاردة البربر بعد معركة (ممس) قراراً صائباً جداً يدعو الى التقدير والإعجاب ، ولولا تلك المطاردة التي كانت بتماس شديد بالبربر لاستطاع البربر التسلل الى الجبال والتخلص من الخسائر الفادحة التي لحقت بقواتهم ؛ وكان من نتائج تلك المطاردة الموفقة تفويت الفرصة على البربر للتملص من المعركة الخاسرة الى الجبال ، وهم الذين تركوا القيروان الى (ممس) ليسهل عليهم الإفلات من العرب المسلمين في حالة دحرهم وذلك باللجوء الى الجبال المحيطة بالمنطقة لتقليل خسائرهم في الأرواح والمواد .

كما كان قرار زهير في اللقاء خارج القيروان وعدم دخولها ، قراراً صائباً حقاً ، لأن دخول المدينة يؤدي الى بعثرة قوات المسلمين للدفاع عنها ، وبذلك تنقلب خطتهم الهجومية على جيش كسيلة إلى خطة دفاعية ، والهجوم وحده لا الدفاع هو الذي يؤدي إلى إحراز الظفر .

أما استعداداته لانجاز استحضارات جيشه عَدداً وعُدداً ، فقد بلغت حدّ الروعة : أمره عبدالملك بن مروان بالخروج على أعنّة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية ، فكتب إلى عبدالملك يخبره بقلة من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبدالملك إلى أشراف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام ، وأفرغ عليهم أموال مصر [1] ، وبذلك طبق زهير مبدأ (التحشد) و (الأمور الادارية) على أحسن وجه .

ولكنّ زهيراً أخطأ فى اصطدامه مع قوات الروم في منطقة (برقة) دون أن يتّخذ كلّ الإجراءات اللازمة لضمان نجاح هذا الاصطدام ، فمن الواضح أنه اصطدم مع الروم وهو بقوات قليلة هي قواته المتقدمة الخفيفة ، فقد عدل هو إلى الساحل في خيل يسيرة [2]

(١) رياض النفوس (١ / ٢٩) .
(٢) معالم الايمان (١ / ٥٤) وفي رياض النفوس (١/ ٣١) أنه عدل إلى الساحل بقوات كثيرة .

فوجد اسطول الروم من قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين ، فاستغاثوا به وهو في خف من أصحابه ، فقصد اليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل ، وقتل معه جماعة من أشراف أصحابه [1] . فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع ، وباشروا القتال [2] ... وهذا يدل على أن الفرسان الذين معه كانوا قليلي العدد ، وأنهم جماعة متقدمة واجبها الإستطلاع فقط لا القتال ، ولكنه أنشب القتال خضوعاً لموجـــة عاطفية عارمة تورط بتأثيرها هو وأصحابه في قتال غير متوقع في وقت ومكان غير مناسبين ، وكان عليه أن يكبح جماح عاطفته ، إذ ليس في إعداد الخطط العسكرية مجال للامور العاطفية ، ويجمع رجاله كافة ، ويستعيد من كل مقاتل متيسر ، ويعدّ الخطة المناسبة للقتال ، ويهيء الأمور الادارية لقواته ، ثم يختار هو الوقت والمكان المناسبين لمهاجمة الروم . عند ذاك تكون فرص نجاحه متهيئة ، ويكون قد أعدّ كل متطلبات القتال قبل نشوبه .

وعلى كل فإن العاطفة الدينية المتأججة حينذاك ورؤية الرجال والاطفال والنساء أسرى يقادون قسراً الى سفن الروم ، أدى الى تحمس رجاله وإقدامهم دون تدبر وتقدير الى مهاجمة الروم دون خطة مناسبة ولا قوات كافية . وذلك مما أدى الى تورط قواته وتورطه هو نفسه في معركة خاسرة دفع هو ورجاله حياتهم الغالية ثمناً لها .

وربما يتبادر الى الاذهان السؤال الآتي : كيف نوفق بين معرفة زهير بوجود قوات الروم في تلك المنطقة ، وكان ذلك من أهم اسباب عودته من (القيروان) إلى (برقة) ، وإقدامه على التقدم الى تلك القوات على رأس قلة من الفرسان فتورط في معركة خاسرة ، ولماذا لم يتدخل القسم الأكبر من جيشه في تلك المعركة اثناء نشوبها لإنقاذ زهير وفرسانه ، ولماذا لم يأخذ ذلك الجيش بثأره – على الأقل – بعد استشهاده واستشهاد فرسانه معه !؟

وأبادر الى الجواب ، بأن مثل هذا السؤال قد يتبادر الى غير العسكريين ، أما

(1) الاستيعاب (١ / ٨١)
(2) ابن الاثير (٤ / ٤٤) .

العسكريون الذين خاضوا غمار الحروب واصطلوا بنارها فيقدرون أن ما حدث أمر طبيعي جداً بسبب ظروف الحرب غير الاعتيادية التي قد تفرط أحياناً من أيدي قادتها فتسير وتتطور على غير ما يشتهون .

وإلى أولئك الذين يتبادر الى اذهانهم مثل هذا السؤال من المدنيين ، والى العسكريين النظريين غير المجربين ، أسوق هذا الجواب .

لست أشك أن حامية منطقة (برقة) التي خلفها زهير وراءه لحماية تلك المنطقة من العدو ولحماية خطوط مواصلاته ، لا يمكن ان تكون في ظلام دامس بعيدة عن الأحداث لا تهتم بالحصول على المعلومات عن نيات العدو المتربص بها ، فلا بد أن يكون لها مصادر مختلفة مهمتها الحصول على المعلومات عن العدو من البربر والروم : دوريات إستطلاعية برية وبحرية، ومراكب تمخر عباب البحر، وعيون وأرصاد في مختلف الأماكن والأصقاع . بل إذا حصل كل عربي مسلم وكل مسلم مسؤولاً كان أو غير مسؤول على معلومات مفيدة عن العدو ، فانه يرى نفسه مسؤولاً عند الله وعقيدته وقومه عن إيصال تلك المعلومات الى المسؤولين بأسرع وقت وبأسرع وسيلة .

هذه الحامية الساهرة لمصالح المسلمين المرابطة دفاعاً عن أرواحهم وأرضهم وكرامتهم وعزتهم ، أنذرت زهيراً - على اعتباره المسؤول الأول عن إفريقية - بتحركات الروم من القسطنطينية ومن صقلية ، وقد تكون هذه المعلومات - خاصة عن تحركات الروم من القسطنطينية - وصلت اليها من المشرق أو حصلت عليها بوسائلها الخاصة أو حصل عليها زهير بوسائله الخاصة ، فعاد زهير بقواته الضاربة لحماية منطقة برقة المهددة بقوات الروم ، ثم تقدم زهير على رأس قطعاته الراكبة التي حرص على قيادتها بنفسه - وهذا من مميزات القائد المتميِّز ، إذ يكون دائماً في الأمام قريباً من مواطن الخطر - تقدم بنفسه لاستطلاع مواضع انزال الروم ، ومعرفة قوتهم وتسليحهم ، وذلك لإعداد الخطة المناسبة لمقاومتهم ، ولكنه - على ما يظهر - فوجيء بالمسلمين يقادون قسراً وهم أسرى الى مراكب الروم ،

فاستخاث به هؤلاء ، فتورطت جماعة من رجاله خضوعاً لعاطفتهم المتأججة في الأشتباك مع الروم دون خطة مدبرة ولا استعداد مسبق لخوض المعركة فكانت الكارثة التي لحقت بزهير وبفرسانه الأبطال .

أما لماذا لم ينجدهم رجالهم الذين يتقدمون باتجاه العدو . فمن المحتمل أن يكونوا بعيدين عن ساحة المعركة ، ومن المحتمل أنهم لم يكونوا بعيدين ولكنهم وصلوا الى ساحة المعركة بعد فوات الوقت المناسب ، ففت استشهاد قائدهم في أعضادهم وأصبحوا بغير قيادة . فانهارت معنوياتهم ، ولا قيمة لجيش بغير قيادة ولا معنويات .

ومن المعلوم أن المعارك الحربية في العصور القديمة قبل إختراع البارود وقبل إختراع الأسلحة الحديثة ، يتقرر مصيرها خلال ساعات قليلة ، وقد يكون إستشهاد القائد وحده هو العامل المهم في الهزيمة .

ترى ! هل يلقى اللوم كله على زهير في تورطه بالاشتباك مع الروم دون استعداد كاف وفي وقت ومكان غير مناسبين ؟

إن ظروف الحرب ظروف غير اعتيادية ، وشتان ما بين من يجلس الى مكتبه ليدرس معركة من المعارك فيقرر وهو آمن مستريح : هذا صحيح وهذا خطأ ، وهذا أصاب وهذا أخطأ ، وبين من يعاني ويلات الحرب ويصطلي بنارها .

إن سير الحوادث في الحرب قد يكون تياراً عارماً يجرف القائد دون ارادة منه ويجرف من معه من الرجال .

هكذا كانت خاتمة حياة زهير . إذ استشهد استشهاداً لا يقل روعة وجلالاً عن استشهاد عقبة بن نافع الفهري ، فأثار مصرعه ثائرة العرب المسلمين ، وحفزهم إلى مواصلة الفتح لإدراك ثأر زهير وأصحابه . وقد يكون لمقتله على يد الروم أثر عظيم في سير الفتوح ، إذ كان زهير قد حسب ــ بعد قتله كسيلة ــ ان كل مقاومة للبلاد قد خمدت وأن البلاد أصبحت آمنة مطمئنة ، فكان مقتل زهير منبهاً للعرب إلى ما ينجم عن ترك الروم من خطر ، والى

ما يمكن أن يسببوه للعرب من المتاعب إذا تركوا في مدائن الساحل يستميدون ما ضاع من قوتهم ، ويستمدون العون من بيزنطة نفسها . وكما كان مصرع عقبة محدداً لمهمة زهير ، كان مقتل زهير محدداً لمهمة حسان بن النعمان – من بعده – فانفق ما قدر عليه من جهد في القضاء على الروم ، حتى تمكن من ذلك تماماً [1] .

وهكذا كانت حياة زهير الغالية بركة على المسلمين عامةوعلى فتح إفريقية خاصة ، وكانت خاتمة حياته المشرفة ، بركة على المسلمين عامة وعلى فتح إفريقية خاصة .

لقد كان من نتائج استشهاده تكامل الفتح الاسلامي في افريقية ، فأصبحت تلك البلاد اسلامية كما هو الحال في مصر وأرض الشام والعراق وغيرها من البلاد ، وأصبح الفتح الاسلامي في إفريقية فتحاً مستداماً كما هو الحال في تلك الاقطار .

لقد كان زهير مجاهداً قائداً ، يتسم بكل ما يتسم به المؤمن بالجهاد من مزايا التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الله ، وهو كما قال: « إنما قدمت للجهاد ولم أقدم لحب الدنيا » [2] ، ولعل إيمانه العميق بالجهاد حبب اليه الاستشهاد وجعله يستأثر بالخطر دون أصحابه ، فيكون دائماً قريباً من مواطن الخطر طلباً لما عند الله من أجر للشهداء ، وكان يحب رجاله ويحنو نه ويثق بهم ويثقون به لما كان يتمتع به من ماض مجيد في الجهاد . وكان ذا تجربة طويلة عملية للحروب ، مارسها منذ قدر على حمل السلاح حتى يوم استشهاده ، فكان مجاهداً من المهد الى اللحد كما يقولون .

وكان في حروبه يطبق مبدأ (التحشد) ومبدأ (التعرض) ومبدأ (الأمور الادارية) ، فكانت استعداداته للقتال ممتازة حقاً .

لقد كان من أولئك الذين نذروا أنفسهم لعقيدتهم ، فسقط أخيراً في ساحات القتال دون ان يسقط السيف من يده .

(١) فتح العرب للمغرب (٢٢٩ – ٢٣٠) .
(٢) رياض النفوس (١/٣٠) .

زهير في التاريخ :

يذكر التاريخ لزهير استنقاذه القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها.

ويذكر له ، أنه كان نعم المطالب بدم عقبة بن نافع الفهري ، وهو الذي أخذ ثأر عقبة من قاتله كسيلة ، فهو الذي قتل كسيلة وقتل عدداً ضخماً من رجاله وفرسانه ورجال حلفائه الروم وفرسانهم .

ويذكر له أنه انتصر في معركة حاسمة على البربر في (ممس) ، وفرع منه أهل إفريقية واشتد خوفهم فلجأوا الى الحصون والقلاع .

ويذكر له أنه ضحى بنفسه من أجل عقيدته . ولم يضح بعقيدته من اجل نفسه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، التقي النقي ، المؤمن الورع ، البطل الشهيد ، القائد الفاتح ، زهير بن قيس البلوي .

محمود شيت خطاب

المصادر

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي):
١ — الحلة السيراء - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - القاهرة - ١٩٦٣ م.
ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني):
٢ — المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - تونس - ١٢٨٠ هـ.
ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الأثير الجرري الملقب بعز الدين):
٣ — أسد الغابة في معرفة الصحابة - طهران - ١٣٧٧ هـ.
٤ — الكامل في التاريخ - القاهرة - ١٣٠٣ هـ.
ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني):
٥ — الأصابة في تمييز الصحابة - القاهرة - ١٣٢٥ هـ.
ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي):
٦ — جمهرة أنساب العرب - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون - القاهرة - ١٣٨٢ هـ.
ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبة):
٧ — المسالك والممالك - أعادت مكتبة المثنى طبعه في طهران - ١٩٦٣ م.
ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون):
٨ — العبر وديوان المبتدأ والخبر - بولاق - ١٢٨٤ هـ.
ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر):
٩ — الأستيعاب في معرفة الاصحاب - تحقيق محمد علي البجاوي - القاهرة.
ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم):
١٠ — فتوح مصر والمغرب - نشر شارل توري (Torry) - لايدن - ١٩٢٠ م.

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي) :

١١ — البيان المغرب في أخبار المغرب ـ بيروت .

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسن بن عساكر الشافعي) :

١٢ — التاريخ الكبير (تهذيب ابن عساكر) ـ دمشق ـ ١٣٢٩ هـ .

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذاني) :

١٣ — مختصر كتاب البلدان ـ لايدن ـ ١٨٨٥ هـ .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) :

١٤ — البداية والنهاية في التاريخ ـ القاهرة .

أبو الفدا (اسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة) :

١٥ — تقويم البلدان ـ باريس ـ ١٨٤٠ م .

الأصطخري (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي) :

١٦ — المسالك والممالك ـ تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ .

الباجي (أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي) :

١٧ — الخلاصة النقية في أمراء إفريقية ـ تونس ـ ١٣٢٣ هـ .

البشاري (المقدسي المعروف بالبشاري) :

١٨ — أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ لايدن ـ ١٩٠٦ م .

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري) :

١٩ — المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ـ طبع دي سلان (De SLAN) ـ الجزائر ـ ١٩١١ م .

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) .

٢٠ — فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م .

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي) :

٢١ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ .
الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري) :
٢٢ — معالم الأيمان ـ تونس ـ ١٩٢٠ م .
الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن بن عثمان الذّهبي) :
٢٣ — سير اعلام النبلاء ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ القاهرة .
٢٤ — العبر ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الكويت ـ ١٩٦١ م .
السّلاوي (أحمد بن خالد الناصري السّلاوي) :
٢٥ — الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ـ الدار البيضاء ـ ١٩٥٤ م .
القزويني (زكريا بن محمد القزويني) :
٢٦ — آثار البلاد وأخبار العباد ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ .
الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي) :
٢٧ — كتاب الولاة والقضاة ـ لايدن ـ ١٩١٢ م .
المالكي (أبو عبد الله بن أبي عبد الله) :
٢٨ — رياض النفوس ـ نشر وتحقيق الدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة ـ ١٩٥١ م .
ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) :
٢٩ — المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ـ لايدن ـ ١٨٤٦ م .
٣٠ — معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ .

المراجع

حسين مؤنس (الدكتور) :
١ — فتح العرب للمغرب ـ القاهرة .
الزّاوي (الطاهر أحمد الزاوي) :
٢ — تاريخ الفتح العربي في ليبيا ـ القاهرة ـ ١٣٧٣ هـ .
محمد علي دبوز :
٣ — تاريخ المغرب العربي الكبير ـ القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ .

رسالة في الأحجار الكريمة

تأليف ايفانيوس

قدّم لها، وحقّقها

كوركيس عواد

تمهيد :

في أثناء تصفّحنا المخطوطات العربية التي تحررها خزانة كتب جامعة كولمبية في مدينة نيويورك، وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٥٠، عثرنا على مجموعة خطية بالعربية والسريانية، كُتبت في نحو القرن الثامن عشر للميلاد. وكانت، فيما مضى، من مخطوطات « صيدنايا »، على ما يؤخذ من حاشية وردت في أواسط تلك المخطوطة.

وصيدنايا، قرية شهيرة قديمة، تقوم في الشمال الشرقي، من دمشق. كانت تزخر في الماضي، بمجموعة كبيرة من المخطوطات. لكن معظم هاتيك المخطوطات قد أصابه ما أصاب أغلب خزائن كتب الشرق، من إحراق وإتلاف ونهب وضياع. ذكر البحاثة الأستاذ حبيب زيات، أنّ « من بقية هذه الكتب المنتهبة، مخطوطات تُرى اليوم في المكاتب الأوربية، قد كُتب عليها في إحدى حواشيها اسم صيدنايا، إما لأنها نُسخت فيها، وإما لأنها كانت قبلا من كتب الدير. ومنها أيضاً مجلدات محفوظة في بعض المكاتب

الشرقية »[1] .

فما من شك في أن تكون هذه المخطوطة التي وقفنا عليها ، من جملة ما تشتّت من صيدنايا ، فتعاورتها الأيدي ، وانتقلت من مكان إلى مكان ، حتى انتهى بها المطاف إلى مدينة نيويورك ، أعظم مدائن العالم الجديد !

والمجموعة الخطية التي نحن في صدد الكلام عليها ، سمّاها ناسخها بكتاب « ترجمان من اللغة السريانية إلى اللغة العربية » . وهى تحتضن بين دفتيها طقوساً دينية ، وصلوات نصرانية ، ومفردات في اللغتين العربية والسريانية . وما كان منها في هذه اللغة الأخيرة ، ألفينا بعضه مكتوباً بالقلم « الإسطرنجيلي » ، وبعضه بالقلم السرياني الغربي . والمجموعة في جملتها ، قد تظافرت عليها أيدي النُسّاخ ، فهي مكتوبة بخطوط مختلفة متباينة ، على ما بدا لنا .

يبلغ طول هذه المجموعة الخطية ٢٠ سنتمتراً ، وعرضها ١٣ ، وثخنها ٧ . وأوراقها غير مرقمة . وهى مكتوبة على ورق شرقي ضارب إلى الصفرة . ورقمها في سياقة المخطوطات في خزانة كتب جامعة كولمبية هو (Ms. Or. 277) . وكنا قد نوّهنا بها في بعض تآليفنا المطبوعة[2] .

وجدنا في نحو من أواسط هذه المجموعة ، رسالة صغيرة في « صفة الحجارة التي تُعلّق على كهنة بني إسرائيل : ما ذكره القديس ابيفانيوس عن الاثني عشر حجراً »[3] .

وقد أشار العلامة جورج غراف ، إلى نص منقول من هذه الرسالة ، في بحثه

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها . لحبيب زيات (القاهرة ١٩٠٢ ؛ ص ١١٩) ، ومثل ذلك ما في كتابه « خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا . (حريصا – لبنان ١٩٣٢ ؛ ص ٢٦٠) .
(٢) جولة في دور الكتب الأمريكية . (بغداد ١٩٥١ ؛ ص ٩٥) . والمخطوطات العربية في دور الكتب الامريكية . (بغداد ١٩٥١ ؛ ص ٣٠) .
(٣) المخطوط : حجر .

« اعتراف ، أو شهادة الآباء » [١] .

كما نوه الدكتور ألفونس منكنا ، بنص آخر من هذه الرسالة ، في مجموعة مخطوطاته [٢] .

قال في صفة المخطوط ذي الرقم (٤١) إنه يتألف من مجموعة رسائل قوامها ٣١٧ ورقة بحجم ٣٢٨ × ٢١٧ مليمتراً . وهي مجموعة مختارة من آباء الكنيسة ومن الجامع الأولى . جاء في الورقة ٨٨ ب منها : « وقال القديس ابيفانيوس أسقف قبرس في الكتاب الذي قاله لأجل الاثني عشر حجر » .

إن النص اليوناني لهذه الرسالة ، قد سلم ونشر في جملة ما نشر من مؤلفات ابيفانيوس في مجموعة مؤلفات الآباء اليونان التي جمعها مين [٣] .

وذكرت دائرة معارف العلوم الكلاسيكية [٤] ، ان لهـــذه الرسالة ترجمة قديمة باللاتينية مفقودة نهايتها . وان أحسن من أخرجها هو كنثر سنة ١٨٩٨ [٥] .

وكان الباحث ف . فوجيني ، قد سبق الى نشرها سنة ١٧٤٣ [٦] .

(١) Bekenntnis der Vater (الفقرة ١٠١) وقد نشر هذا البحث في مجلة : Orientalia Christiana Periodica . (III 1037 . pp . 345 — 362)
وانظر كذلك . Graf (Georg) , Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur . (Vol . I , Citta del Vaticano, 1944, p 20 ,No 556)

(٢) Mingana (A ·) , Catalogue of the Mingana Collection of Manuscripts , (Vol . II , Cambridge . 1936 . P 48)

(٣) Migne(Jacques Paul), Patrologiae Cursus Completus (Greek Series Vol 41 , 42 , 43)

(٤) Paulys Realencyclopadie der Classischen Altertumswissenschaft . (Band VI[1] . Stuttgart 1907 . p 194) .

(٥) Guenther (O) , In · Collectio Avellana , 1898 ; p . 743 ff

(٦) S . Epiphani Salaminis in Cypro Episcopi : De XII Gemmis Rationalis Summi Sacerdotis Hebraeorum Liber ad Diodorum Prodit nunc primo ex Antiqua Versione Latina Opera et Studio : P . Franc . Foggimii · (Romae , 1743 ; XXXVI + 85 p.) .

مؤلف الرسالة :

ومؤلف هذه الرسالة ، هو القديس ايبفانيوس (Epiphanius ، أو ايبفان ، أحد مشاهير آباء الكنيسة الأقدمين . وقد دوّن ترجمته غير واحد من الكتبة الشرقيين والغربيين ، نذكر من ذلك ، المراجع الآتية :

الكنز الثمين في أخبار القديسين : للبطريرك مكسيموس مظلوم (٣ : ٦١ — ٦٨ ؛ بيروت ١٨٦٩) .

دائرة المعارف : لبطرس البستاني (٢ : ٤١٢ ـ ٤١٣ ؛ بيروت ١٨٧٧) .

مروج الأخيار في تراجم الأبرار : للأب بطرس فروماج اليسوعي (بيروت ١٨٨٠ ؛ ص ٢٧٠ — ٢٧١) .

سيرة القديسين (١ : ٥٦٢ — ٥٦٦ ؛ الموصل ١٨٩١) .

تاريخ سورية : للمطران يوسف الدبس (٤ : ١٧٨ — ١٨٥ ؛ بيروت ١٨٩٩) .

المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : للأب لويس شيخو اليسوعي (ص ٢٤ الرقم ٧١ ، بيروت ١٩٢٤) .

كتاب السنكسار المشتمل على سِيَر القديسين : للأرشمندريت ميشل عسّاف (٩ : ٤٦ — ٥٠ ؛ حريصا ١٩٤٨) .

دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب . بادارة فؤاد أفرام البستاني (٥ : ٤٧٦ — ٤٧٧ ؛ بيروت ١٩٦٤) .

White (H. G. E.), Crum (W. E.) And Winlock (H. E.), The Monastery of Epiphanius at Thebes (2 Vols., New York, 1916-1926 : The Metropolitan Museum of Art : Egyptian Expedition)

Encyclopaedia Britannica (14 th. ed; VIII, 656-657).

والذي يُستخلص من هذه المراجع جميعاً ، هو أن ايبفانيوس ولد في قرية بزندوقة في ناحية بيت جبرين من أعمال فلسطين ، في نحو سنة ٣١٠ للميلاد . وتوفي في أواخر سنة

٤٠٢ أو أوائل سنة ٤٠٣ م . أقام في صباه في مصر ، وترهّب في بعض دياراتها . فاقتبس الفلسفة الرهبانية ، وتعلّم هنالك عـــدة لغات : العبرية والقبطية والسريانية واليونانية واللاتينية وبرع فيها جميعاً . وحين بلغ العشرين من عمره ، عاد إلى فلسطين ، وأنشأ فيها ديراً ظل يتعاهده ثلاثين عاماً . وقد ألف في أثناء تلك المدة تآليف كثيرة . وكان صيته وعلمه قد انتشرا في مصر وسورية وقبرس . فانتخبه القبرسيون ، في سنة ٣٦٧ م ، رئيس أساقفة لجزيرتهم . فجعل مقره في سلاميس ، إحدى مدن قبرس . وأقام على ذلك حتى وفاته .

وقد طبعت مجموعة تآليف ابيفانيوس في باريس سنة ١٨٥٦ و ١٨٦١ . كما نشرها مين Migne أيضاً ، على ما سبقت الاشارة اليه . وكان الأب لويس شيخو اليسوعي [١] والأب بولس سباط [٢] ، قد نوها بشيء من تآليف ابيفانيوس المنقولة إلى اللغة العربية ، ولم نجد بينها ذكراً لهذه الرسالة . ولم يتعين عندنا اسم ناقلها الى العربية فضلا عن معرفة زمنه . كما ان المنقولات العربية من تآليف ابيفانيوس التي أشار اليها هذان المؤلفان ، جاءت غفلا من أسماء الذين تولوا نقلها .

صفة هذه الرسالة :

تصف هذه الرسالة اثني عشر حجراً كريماً وصفاً موجزاً فيه . وهذه الأحجار ، على حسب ما وردت تسميتها في النسخة الخطية ، هي : الحجر المدعو بالبابلي . الطباريون . الزبرجد . الحجر الذي على لون الجمر . صافيريوس . ياسيباسن . الياقوت . الأخانيسن . السبعاذي . الياقوت الأصفر . البهرمان . العقيق الطمري .

وسبب اقتصار هـذه الرسالة على اثني عشر حجراً ، هو ان المؤلف رمى إلى إيضاح ما كان يعلقه رئيس كهنة بني اسرائيل قديماً على صدره من حجارة كريمة بهذا العدد ، يمثل كل حجر منها سبطاً من الأسباط الاثني عشر . وفي التوراة ما يعزز ذلك ، قال

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية . (ص ٢٤) .

(٢) Sbath(Paul), Al Fihris : Catalogue de Manuscrits Arabes (Première Partie . Le Caire 1938 ; P. 26 , No 46) .

أولئك رؤساء الكهنة، كانوا يضعون صُدرة مربعة طولها شبر وعرضها شبر. قال: « ورصّع فيها ترصيع الجواهر أربعة صفوف من حجارة، في الصف الأول: حجر العقيق الأحمر والياقوت الأصفر والزمرد. وفي الصف الثاني: البهرمان والياقوت الأزرق والعقيق الأبيض. وفي الصف الثالث: عين الهر واليشم والجمست. وفي الصف الرابع: الزبرجد والجزع واليشب. ولتكن مقلدة بالذهب في ترصيعها » [1].

فترتيب أسماء الحجارة الوارد في الرسالة، لا يوافق ترتيبها المذكور في التوراة. وتختلف الحجارة فيها نفياً وإثباتاً.

على ان أسماء هذه الأحجار، لم ترد في ما بيدنا من ترجمات عربية للتوراة، على غرار واحد، بل احتلف بعضها بين ترجمة وأخرى اختلافاً ظاهراً من حيث الترتيب والتعريب معاً.

ولنا أن نقول، إننا رجعنا إلى أربع من هذه الترجمات العربية للتوراة:

الأولى: طبعت في لندن سنة ١٨٢٢ نقلا عن النسخة المطبوعة في رومة سنة ١٦٧١م ولا نعرف اسم ناقلها إلى العربية.

الثانية: ترجمة الآباء الدومنكيين في الموصل. وهي للمطران اقليميس يوسف داود الموصلي. وقد طبعت في الموصل غير مرة، وأشهرها طبعة سنة ١٨٧٥.

الثالثة: ترجمة الآباء اليسوعيين في بيروت. وقد أشرف على تصحيح بعضها الشيخ إبراهيم اليازجي. وطبعت مراراً، ومنها طبعة سنة ١٩٢٥.

الرابعة: ترجمة المرسلين الأميركيين في بيروت. وقد أشرف على تصحيحها المعلم بطرس البستاني. ولها طبعات عديدة.

(١) سفر الخروج ٢٨: ١٧ — ٢٠ من الترجمة الدومنكية المطبوعة في الموصل.

وسنورد في الثبت الآتي، أسماء هذه الحجارة ، وفق سياقتها في كل من الترجمات الأربع المذكورة ، مع ذكر ما يقابلها في اللغة الانكليزية منقولاً من ترجمة التوراة نفسها الى هذه اللغة :

الصف	ترجمة رومة	الترجمة الدومنكية	الترجمة اليسوعية	الترجمة الأميركية	الترجمة الى اللغة الانكليزية
الأول	ياقوت أحمر	عقيق أحمر	ياقوت أحمر	عقيق أحمر	Sardius
	زَبَرْجَد	ياقوت أصفر	ياقوت أصفر	ياقوت أصفر	Topaz
	زُمُرُّد	زُمُرُّد	زمرد	زمرد	Carbuncle
	سمَنْحونيّ	بهرمان	بهرمان	بهرمان	Emerald
الثاني	عقيق	ياقوت أزرق	لازورد	ياقوت أزرق	Sapphire
	يشب	عقيق أبيض	ماس	عقيق أبيض	Diamond
	ماس	عين الهر	سمَنْحُونيّ	عين الهرّ	Jacinth
الثالث	كركند	يشم	عقيق يماني	يشم	Agate
	كركهن	جَمَست	جَمَشْت	جَمَشْت	Amethyst
	عادي	زبرجد	زبرجد	زبرجد	Beryl
الرابع	بلّور	جزْع	جزْع	جزْع	Onyx
	مدينج	يَشْب	يَشْب	يَشْب	Jasper

إنّ المترجم المجهول لهذه الرسالة ، قد جرى في تسمية بعض الأحجار ، على اتخاذ الألفاظ اليونانية التي نقل منها ، ولم يَسِرْ في تعريبها على ما سار عليه مؤلفو كتب الجواهر التي في أيدينا ، ككتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » لأبي الريحان البيروني ، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) ؛ و « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » لأحمد بن يوسف التيفاشي (٦٥١ هـ ١٢٥٣ م) ؛ و « نُخَب الذخائر في أحوال الجواهر » لابن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني السنجاري (٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م) .

ولغة هذه الرسالة ، يعتورها ضعف وركاكة . وهي في جملتها لا تخلو من أوهام نحوية وإملائية ظاهرة . فمن الأوهام النحوية ، قوله : وادي كبير ، أن ينظرون ، هم أناساً ، إذا أخذ أحداً منديل ، بدلاً من قوله : وادٍ كبير ، أن ينظروا ، هم أناسٌ ، إذا أخذ أحدٌ منـديلاً .

ومن الأوهام الاملائية ، قوله : رؤس ، بدلاً من رؤوس . وهو لايتردّد في كتابة الألف المقصورة طويلة ، فهو يكتب : يسمّا ، المسمّا ، تبقا ، أقصا ، بدلاً من : يسمى ، المسمى ، تبقى ، أقصى . وقد أشرنا الى شيء من ذلك في تضاعيف تعليقنا على الرسالة .

والذي يبدو لنا ، أنّ ناقل هذه الرسالة ، أو ناسخها ، أو كليهما معاً ، لم يكن يُجيد العربية ، فوقع في أثناء النقل أو النسخ بمثل ما وقع فيه ، على ما مرّ بنا .

شكر وثناء :

وقبل أن أختتم هذه النبذة التمهيدية ، أودّ أن أعرب عن شكري الجزيل لمن أفادني في أثناء تحقيق هـذه الرسالة والتعريف بمؤلفها . وهم كلّ من الأساتذة الأفاضل : الدكتور داود الجلبي ، والمطران الدكتور روفائيل بيداويد ، والمستشرق جورج غراف ، والأب حليل قوجحصاري ، والخوري بطرس سابا .

* * *

والى القارىء ، نص الرسالة . وقد جعلنا لـكل حجر ورد ذكره فيها ، رقماً متسلسلاً :

نص الرسالة

صفة الحجارة التي تُعَلَّق على كهنة بني إسرائيل :

ما ذكره القديس ايبفانيوس عن الاثني عشر حجراً :

١ — الحجر المدعو بالبابلي

لونه أشقر كلون الدم . ويصير في بابل التي بأرض فارس[١] . وهو شفاف يبرق ويلمع ، وفيه قوة شافية . تستعمله الأطباء للأورام والضربات الصائرة من الحديد ، تُدهن به[٢] .

٢ — حجر الطباريون[٣]

لونه أحمر أكثر من الحجر المسمى[٤] جريًا . ويصير في باره[٥] مدينة الهند . وإذا انحك على مسنّ ليس يخرج لون المحك منه مثل لونه أحمر ، بل مثل اللبن ويملأ الطبيب منه اقداحاً كثيرة مهاشــ ا (؟) وهو يُحك وليس ينقص لا من وزنه ولا من هيئة لونه . وحكاكته تنفع لوجع العين ، واذا شُرِّب ينفع للحمون وللذين يصرعون .

٣ — حجر الزبرجد[٦]

وهو أخضر[٧] . وهذا الحجر يُحفر في بلاد الهند . ويقطعونه . منفعته أنه يُسكِّن العطش . وهو شفاف ينصر فيه الوجه .

(١) لم تكن بابل من أرض فارس ، بل هي من أرض العراق ولعل المؤلف أراد انها كانت تحت الحكم الفارسي .

(٢) هذا الحجر ، نظرا الى وصفه ، يشبه أن يكون « البلخش »

(٣) لم أجد هذا الاسم في ما بيدي من كتب في هذا الباب .

(٤) المخطوط : لشا .

(٥) في كتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » لشمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (ص ١٩ ؛ بطرسبرج ١٨٦٥) ذكر بلدة في الهند اسمها « درامي » فلعلها المذكورة أعلاه . فاننا لم نعثر في ما بيدنا من مراجع ، على مدينة في الهند باسم « باره » .

(٦) الزبرجد : معروف ، وقد يقال زبردج . وهو ألـ Péridot

(٧) في « نخب الذخائر في أحوال الجواهر » تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي (القاهرة ١٩٣٩ ؛ ص ٥٣) : انه « مستقي اللون ، شفاف . لكنه سريع الانطفاء لرخاوته » .

٤ — الحجر الذي على لونه الجمر (١)

بشريّ اللون ، مشبع ، يصير في قرطاجنة التي في القيروان التي تُدعى افريقية . ويقال عنه انه ليس يوحد بالنهار لكن بالليل ، لأنه يبعث شراره على بعد مثل شمعة أو جمرة ، وهذا ساعة بعد ساعة ، فيعرفونه الذين يطلبونه انه هو المطلوب ، فيُقصد من شعاعه فيجدونه . فاذا حُمل في ثياب ، مهما كانت الثياب التي يُلَفّ بها ، فيكون ضوءه خارج منها .

٥ — الحجر المسمى صابفيربوس (٢)

لونه اسمانجوني . يصير في الهند والحبشة . واذا انحكّ يبري الحبوب والحزازة . واذا قُطر منه على المواضع المتقرّحة مع لَبَن ، أبرأتْها .

الألواح التي أُعطيت لموسى على الجبل ، يقال إنها على حجار اسمانجوني ظهرت .

٦ — الحجر المسمى باسيباس (٣)

يماثل لون الزبرجد الأخضر . يوجد على فم النهر المسمى برموذ ونطن ، وفي مدينة أماثيا التي بقبرص . وينفع من الصرع .

---

(١) أراد به الياقوت الأرجواني . فقد جاء في نخب الذخائر (ص ٦) قوله : « ومنهم من يسمي [الياقوت] الأرجواني . الجمري ، الخيمي ، تشبيها له بالجمر المتقد » . قلت ان اسمه بالفرنسية : Rubis Oriental .

(٢) هو الحجر المعروف باللازورد والعوهق (Lapis - Lazuli) . والأصح ان يقال فيه صافيروس بلا ياء قبل الواو . قال الاب أنستاس ماري الكرملي (نخب الذخائر ص ٩٣) : « يسمى بالانكليزية Sapphire وباللاتينية Sapphirus وباليونانية Sappheiros . والكلمة سامية الأصل . واسمه بالعبرية (سفير) بفتح السين وكسر الفاء المشددة يليها ساكنة وفي الآخر راء . ويقابلها بالعربية (سفير) كعليم وهو من سفر الصبح أي أضاء وأشرق اضياء هذا الجوهر وإشراقه » .

(٣) في هذه اللفظة تحريف كبير . فالنقطة فوق سطر السين مغلوطة . فتبقى الكلمة ياسيباس وهذه محرفة عن ياسبيس وهو اليشب (Jaspe) . وقيل فيه اليشم . وفي اليونانية Iaspis . أنظر : نخب الذخائر (ص ٧٢ وما بعدها) .

٧ — حجر الياقوت[١]

أشقر . يوجد في بلد الاسكيفيا الجواني . وقد جرى اعتياد القدماء أن يسموا الاقليم الجواني الذي يسكنه القمم[٢] وللذوس الاسكيفيا . فاذا هنـــاك داخل برية الاسكيفيا الكبيرة واد[٣] كبير عميق جداً غير مسلوك من الناس ومصان من كل جانب بجبال عالية صخرية من هاهنا وهنـــاك يكن حيطان . ولا يستطيعون أن ينظروا[٤] الى قرار الوادي من عمقه ، لأن الأبصار تـكل وتحير من النظر اليه . وتظلم لأنه مثل الهوته [الهوّة] . والذين يُرسلون من الملوك الذين يقاربون ذلك الموضع ، هم أناس[٥] محرومون ، يلزمهم ذلك يذبحون خرافاً ويسلخونها ويطرحونهـــا من فوق تلك الجبـال إلى عمق الوادي ، فتلتصق تلك الحجارة بتلك اللحوم وفي تلك الصخور تأوي الصقورة ، فتنحدر على روائح اللحوم الى ذلك الوادي وتشيل الخراف وفيها تلك الحجارة لاصقة . وفيما يأكلون اللحوم ، تبقى[٦] الحجارة في رؤوس الجبال . فيكون أولئك القوم يترقبون وينظرون إلى أين قد رمت الصقورة[٧] اللحوم . فيقصدونها ويجدون الحجارة وهكذا يأخذونها . وفيها فعل مثل هذا أعني الحجارة . انها إذا حملت في جمر نار ماء تقطر[٨] وتطفي الجمر . وليس هذا

(١) الياقوت معروف . وهو أنواع واسمه الفرنسية Rubis .

(٢) عقد ابن خلدون فصلا في المقدمة التاسعة من تاريخه ، في عنوانه . « الخبر عن الطيبيين ، وهم الكيتم ، المعروفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم » . فلعل الكيتم هم القمم المشار اليهم في النص

(٣) المخطوط واد

(٤) المخطوط . أن ينظرون .

(٥) المخطوط . أناس

(٦) المخطوط . تبقا

(٧) المخطوط . الصقورة .

(٨) المخطوط . . تقطر .

فقط ، بل إذا أخذ أحدٌ منديلاً [١] ولفّ الحجر ووضعه على الجمر وهو ماسكها ، فتكون يده تتشوّط من النار ويبقى [٢] المنديل لا تضرّه النار البتّة . ويُقال عنه أنه ينفع النساء اللواتي يلدنَ ، عند الولادة .

٨ — حجر الأغانيس [٣]

لونه لازوردي . وهو يوجد في تلك البلدان . واذا سُحِق وطُلي به الجبهة ، يمنع من لسع الأفاعي والعقارب .

٩ — حجر البجازي [٤]

لونه حمريّ ناريّ . يوجد في جبال القيروان على شاطيء البحر .

١٠ — حجر الياقوت الأصفر [٥]

لونه ذهبي . يوجد في البحر عنـــد شاطيء ايشامايدا [٦] الذي ببابل . وحُجبّ تلك الصخرة يسمى اشامايذا . واذا سُحِق يبري أوجاع المعدة والقولنج والجوف .

١١ — حجر البهرمان [٧]

لونه يضرب الى زرقة . يصير عند أقصى [٨] الجبال المدعوة بالطاوروس [٩].

---

(١) المخطوط : أخذ احداً منديل .

(٢) المخطوط : ويبقا .

(٣) طرأ تحريف على هذه اللفظة : فالنقطة فوق نون السين زائدة . فالصحيح آغانيس ، وهو العقيق Agate .

(٤) وكثيراً ما يسمى « البجادي » ، بكسر الباء وهو بالفرنسية Grenat .

(٥) هو بالفرنسية Corindon Jaune .

(٦) لعله يريد « اشيا مانورا » (Asia Minora) ، وإن كان الأمر لا يتصل بسابل .

(٧) هو الياقوت البهرمان . وبالفرنسية Rubicelle .

(٨) المخطوط : أقصا .

(٩) هي جبال طوروس (Taurus) القائمة في جنوبي آسية الصغرى .

١٢ — حجر العقيق الظفري (١)

لونه أحمر . ويوجد في هذا الجبل نفسه .

تمّ بعون الله تعالى . انتهت الرسالة .

كوركيس عواد

(١) لعل اللفظة مصحفة عن « الظفاري » نسبة الى ظفار ، بفتح أوله . قال ياقوت الحموي (معجم البلدان ٣ ، ٥٧٧ طبعة ليبسك) : « ظفار ، مدينة باليمن في موضعين ، إحداهما قرب صنعاء ، وهي التي ينسب اليها الجزع الظفاري » . ويعرف (الجزع) عند الاغريق والفرنج بلفظة Onyx ومعنى هذه اللفظة بلغة الاغريق الظفر . فلا غرو أن سمى صاحب هذه الرسالة الجزع بالعقيق الظفرى ، لأنه أولا كان ، على ما يظهر ، قليل المعرفة بالعربية ، فكان يجهل ان اسم هذا الحجر بالعربية الجزع ، وثانياً لأن بين العقيق والجزع نسبة صرح بها البيروني في كتابه الجماهر (ص ١٧٤) حيث قال : « ويخرج [الجزع] باليمن في معادن العقيق ، وقيل بينهما نسبة بوجه التقارب . وقد قيل إن في الهند من العقيق ما يسمى جزعاً » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

مقدمة

المؤنثات السماعية

بقلم : محمد الخال

— ٢ تتمة —

مؤنث . قال أبو حاتم [١] : وهو مذكر لاغير .

(الصالب) حمى شديدة الحرارة معها رعدة ، في المخصص يذكر ويؤنث .

(١) هو محمد بن إدريس ، أبو حاتم الرازي ، حافظ للحديث من اقران البخاري ومسلم ، ولد في الري سنة ١٩٥ هـ = ٨١٠ م والبها نسبته ، وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ = ٨٩٠ م ، وله « طبقات التابعين » وكتاب « الزينة » .

(الصَّبُوبُ) : كفلوس تصوب نبرا وطريق يكون في حدور ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(صدر القنا) القنـا جمع قناة وهي الرمح وصدرها سنانها ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، اما صدر الانسان فذكر كما في القاموس فاطلاق جامع الشواهد أي ادخال الصدر مطلقاً في عداد المؤنثات السماعيات ليس في محله ، والحق ان الصدر ليس بمؤنث مطلقاً وانما تأنيثه في صدر القنا بالاكتساب من المضاف اليه كما يقول بهاء الدين العاملي رحمه الله في كتاب الصمدية ويمثل له بالبيت القائل :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

(الصراط) : ككتابٍ الطريق ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد يذكر ويؤنث . وفي التنزيل « من اصحاب الصراط السَّويّ ومن اهتدى » في قراءة ، واما قراءة حفص عن عاصم فقد تدل على التذكير والجمع صُرُطٌ وأصْرِطَةٌ .

(الصَّعُودُ) : كصبور ضد الهبوط ، والجمع صُعُدٌ وصعائدُ ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال وقعوا في صعودٍ منكرة .

(الصلح) : كقفل السِّلْمُ ، في المنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث .

(الصليف) : كامير عَرض العنق ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث .

باب الضاد

(الضائن) : واحد الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، والجمع ضأنٌ وضأْنٌ وضَئينٌ وضِئِينٌ .

(الضبع) : بضم الباء وسكونها ضرب من السباع معروف ، في الدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وكذا ضَبُعٌ بمعنى

السنة الشديدة كما في المخصص ، والجمع ضِباعٌ وأضْبُعٌ وضُبْعٌ وضُبُعٌ وضُبوعةٌ وضَبُعاتٌ .

(الضحى) : بضم الضاد وفتح الحاء مقصوراً وقت شـروق الشمس ، في المخصص والدستور وأدب الكاتب والمزهر ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، يقال ارتفعت الضحى ، وتصغيرها ضحَيٌّ بغير هاء لئلا يشبه تصغير ضحوة ، قال الشاعر :

سرح اليدين إذا ترفعت الضحى ... هـدج الثقال بحمله المتثاقل

وفي القاموس والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ويذكر ، وفيه ان علامة التأنيث موجودة فيها.

(الضَّرَبُ) : بفتحتين العسـل الابيض الغليظ ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص يذكر ويؤنث قال الشاعر في التأنيث :

وما ضربٌ بيضاء يأوي مليكها ... الى طنف أعيا براق ونازل

(الضرس) : السن والجمع أضراس وضروس ، في المخصص ومنظومة ابن مالك والمنجد يذكر ويؤنث ، قال دُكَيْنُ الراجز[1] :

ففقئت عينٌ وطنت ضرس

ورده الأصمعي[2] وقال : انما هو « وطنَّ الضرس » ويقال ثلاثة أضراس ، ويلزم على من أنثه أن يقول : ثلاث أضراس ، قال أبو حاتم[3] وأنشد أبو زيد[4] في أحجيته :

وسرب ملاح قد رأينا وجوهه ... إناث أدانيه ذكور أواخره[5]

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٦ من المجلد الثالث عشر من هذه المجلة .

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصمع الباهلي : كان اماماً في اللغة والنحو والأخبار والملح والنوادر . ولد في البصرة سنة ١٢٢ هـ = ٧٤٠ م وتوفي فيها سنة ٢١٦ هـ = ٨٣١ م أخذ العلم عن شعبة بن الحجاج وحماد بن سلمة وحماد الراوية ومسعر بن كدام وغيرهم ، نشأ بالبصرة وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد له تآليف كثيرة وتصانيف مهمة

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢١

(٤) « « « « ٣١٤ من المجلد الثالث عشر .

(٥) السرب . الجماعة . والمراد بها الأسنان لأن أدانيها الثنية والرباعية مؤنثتان، وباقي الأسنان مذكر كالناجذ والضاحك والضرس والناب .

وفي كتاب خلق الانسان للامام أبي اسحاق الزجاج [1] : في الفم الاسنان والاضراس وهما اثنان وثلاثون من فوق ومن اسفل ، يقال لها الثنايا والرباعيات والانياب والضواحك والارحاء والنواجذ ، فالثنايا أربع إثنتان من فوق وإثنتان من أسفل ، ثم يليهن أربع رباعيات إثنتان من فوق وإثنتان من أسفل ، ثم يلي الرباعيات الأنياب وهي أربعة ، ثم يلي الانياب الأضراس وهي عشرون من كل جانب من الفم خمسة من أسفل وخمسة من فوق ، ويقال لأربعة من اقصى الأضراس النواجذ . كما يقال لكل سن تبدو عند الضحك الضاحك .

(الضلع) : كعنب وجذع عظم مستطيل من عظام الجسم منحن ، والجمع أضلع وضلوع وأضلاع ، في المخصص والدستور ومنظومة الميتوشي ومختصر العين والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، جاء في الحديث الشريف (خلقت المرأة من ضلع عوجاء نزعت من جنب آدم عليه السلام » وكذلك الضلع من الجبل المستدق منه يقال : أنزل بتلك الضلع ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر .

باب الطاء

(الطاغوت) : كهاروت الأصنام وكل رأس ضال يقع على الواحد والجمع ، والجمع طواغ وطواغيت ، في الدستور ومنظومة المتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص ويذكر ، وفي التنزيل « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها » وقد وردت ذكرها في القرآن مذكراً في قوله تعالى « وقد أمروا أن يكفروا به » لذا قيل انما أنث في الآية السابقة على ارادة الآلهة التي كانوا يعبدونها .

(١) هو ابراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة ، ولد في بغداد سنة ٢٤١ هـ = ٨٥٥ م ، وتوفي فيه سنة ٣١١ هـ = ٩٢٣ م ، طلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدباً لابنه القاسم ، فدله المبرد على الزجاج ، فطلبه الوزير فأدب له ابنه الى ان ولي الوزارة مكان ابيه فجعله القاسم من كتابه ، له تصانيف عديدة .

(الطاوس) : طائرحسن الشكل ، في جامع الشواهد مؤنثة ، والجمع اطواس وطواويس.

(الطباع) : ككتاب السجية التي جبل عليها الانسان وهي واحدة مثل النجار ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص يذكر ويؤنث والتأنيث فيه اكثر ، قال ابو حاتم : الطباع مذكر إلا أن تُتوهم الطبيعة .

(الطبق) : كفرس ظرف يطبخ فيه ، معرب (تابه) ، في جامع الشواهد مؤنثة ، والجمع أطباق .

(الطريق) : كرفيق السبيل ، والجمع طرق وأطرق وأطرقة وأطرقاء ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مذكر ويؤنث.

(الطست) : كفلس اناء كبير لغسل الأيدي وغيرها ، والجمع طسوت ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص يذكر ويؤنث قال الشاعر في التأنيث :

رجعت الى صدر كطست حتم إذا قرعت صفراً من الماء صلت

وقال آخر في التذكير :

وهامة مثل طست العرس ملتمع يكاد يُخْـتَـطَـفُ من إشراقه البصر

وكذلك طسٌ على ما في المخصص وطشت على ما في جامع الشواهد كلتاهما بمعنى طست .

(الطويُّ) : بفتح الطاء وكسر الواو وتشديد الياء اسم بئر بقرب مكة في موضع يقال له ذو طويّ ، في جامع الشواهد مؤنثة .

(الطير) : كفلس جمع طائر وقد يقع على الواحد ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « تأكل الطير منه » .

باب الظاء

(الظئر) : العاطفة على ولد غيرها ، في المخصص مؤنثة من الناس ومن الإبل أيضاً ، والجمع آظار واظؤر وظؤور وظؤورة وظؤار ، فيه ان الظئر هل يصح اطلاقها على المذكر ، وعند الاطلاق فهل يصح ارجاع ضمير المؤنث اليه فان صحا ـ وهو بعيد جداً ـ فبها والا فهي

خاصة بالمؤنث وتعد من المؤنث المعنوي .

(الظهر) : كقفل ساعة الزوال ، في المخصص وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال الظهر فاتتني وكذلك العصر والمغرب ، اما سيبويه فقال هذه الظهر وهذه المغرب اي هذه صلاة هذا الوقت .

باب العين

(العاتق) : كفاعل موضع الرداء من المنكب ، الجمع عواتق وعتق ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص وادب الكاتب ومنظومة ابن مالك والمزهر وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التأنيث .

لا صلح بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما قرقر قمر الوادي بالشاهق

واما العاتق من القطا والحمام (وهو ما لم يسن ويستحكم) فمذكر .

(العجز) : كعضد مؤخرة الشيء ، والجمع اعجاز ، ويقال لقبائل من هوازن عجز هوازن ، في المخصص والدستور ومختصر العين والقاموس والمزهر ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة بالمعنيين .

(العجم) : كفرس وقفل خلاف العرب . الواحدة اعجمي ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(العرب) : جيل من الناس بلادهم شبه جزيرة شرقي البحر الأحمر ، في المخصص والدستور والقاموس والمنجد ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، قالوا العرب العاربة والعرب العرباء ، وقال ابو بكر الصديق[1] رضي الله عنه للأنصار يوم السقيفة : « نحن عترة رسول

(١) هو عبد الله ابن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، أبو بكر : أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، ولد بمكة سنة ٥١ ق هـ = ٥٧٣م ونشأ سيداً من سادات قريش ، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالماً بانساب القبائل واخبارها وسياستها ، توفي بالمدينة سنة ١٣ هـ = ٦٣٤ .

الله صلى الله عليه وسلم التي خرج منها ، وبيضته التي تفقأت عنه ، وانما رجيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها » .

(العُرس) : بالضم طعام الزفاف ، والجمع أعراس وعرسـات ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومة البيتوشي يذكر ويؤنث ؛ وقول جامع الشواهد : العرس كحبر زوجة الرجل مؤنثة غلط لأنها إذا كان بمعنى الأنى فؤنث معنوي لا سماعي .

(العَرُوضُ) : كصبور ميزان الشعر والجزء الأخير من الشطر الأول ومكة والمدينة وما حولها ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والقاموس والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

ما زال سوطي فى قرابي ومحجني ... وما زلت منه في عروض أذودها

قال شارح القاموس وربما يذكر كما في اللسان .

(العسلُ) : كفرس لعاب النحل ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشماخ [1] .

كأن عيون الناظرين يشوقها ... بها عسلٌ طابت يدا من يشورها [2]

(العِشاءُ) : من المغرب الى العتمة ، في جامع الشواهد مؤنثة ، وفيه ان علامة التأنيث موجودة فيها .

(العصا) : ما يتوكأ عليه ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي » والجمع عُصِيّ وعِصي وأعْصٍ وأعصاءُ .

(العصر) : آخر النهار الى إحمرار الشمس ، في المخصص مؤنثة ، يقـال العصر فاتتني

---

(١) هو شماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام ، وهو من طبقة لبيد والنابغة ، كان أرجز الناس على البديهة ، جمع بعض شعره في ديوان مطبوع ، شهد القادسية توفي في غزوة موقان سنة ٢٢ هـ = ٦٤٣ م

(٢) يشورها : أي يستخرجها ويجتنيها

وكذلك الظهر والمغرب ، فأما سيبويه [1] فقال هذه الظهر وهذه المغرب أي هذه صلاة هذا الوقت ، قال أبو علي القالي [2] : كل هذه الأوقات مذكر فإن أنث فعلى إرادة الصلاة .

(العضد) : ما بين المرفق الى الكتف ، في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المزهر والمنجد ومنظومة إبن مالك يذكر ويؤنث .

(العقاب) : كغراب طائر من الجوارح والجمع عقبان وأعقب ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المنجد يذكر ويؤنث ، قال إمرئ القيس [3] :

كأنها . عقابٌ تدلت من شماريخ ثهلانِ [4]

قال الفارسي [5] : وكذلك إذا أريد بالعقاب الراية حيث ان العَلَمَ الضخم يُشبَّهُ بالعقاب من الطير ، قال الشاعر :

ولا الراحُ راحُ الشأم جاءت سبيئةً   لها غايةٌ تهدي الكرام عقابها

(العقبُ) : ككتف مؤخر القدم والجمع أعقاب . في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك يذكر ويؤنث .

(العقرب) : كجعفر دويبة ذات سم تلسع ، والجمع عقارب ، وفي المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لها   وكانت النعل لها حاضره

(1) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٣ العدد الثالث عشر
(2) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٤ العدد الثالث عشر .
(3) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الاطلاق ، له المعلقات المشهورة ، وله ديوان بني أسد سنة ١٣٠ ق‌ه == ٤٩٧ وتوفي سنة ٨٠ ق‌ه == ٥٤٥م ودفن بانقرة .
(4) ثهلان : اسم جبل .
(5) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٤ العدد الثالث عشر .

وفي القاموس والمنجد يذكر ويؤنث ، وكذلك برج العقرب من السماء .

(العقيان) : الذهب الخالص ، في منظومة البيتوشي مؤنثة .

(العِلْباءُ) : عصبة صفراء في صفحـــة العنق ، والجمع علابيّ ، في المخصص يذكر ويؤنث ، وقال أبو حاتم : هو مذكر لاغير . وعنـدي أنها مؤنثة لوجود الألف الممدودة .

(العماد) : بكسر العين الأبنية الرفيعة ، في جامع الشواهد مؤنثة ويذكر .

(العَناقُ) الأنثى من أولاد المعز ، والجمع أعنق وعنوقٌ ، وعناق الأرض دابة كالفهد وهي التُّفَّة تصيد كل شيء ، ومن الأمثال العربية :

« إستغنت التفة عن الرُّفَّة » والرفة التبن وذلك أنها لا تأكل الا اللحم ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه أنها بالمعنى الأول مؤنثة حقيقية .

(العنبر) : نوع من الطيب والجمع عنابر ، في المخصص يذكر ويؤنث كالمسك ، يقال هي الصبر وهو العنبر ، قال أعرابي في تأنيث العنبر :

أخـذتـا بالثمن الرغيب والمسك والعنبر خير طيب

وقال الأعشى [1] في تذكير العنبر .

اذا تقوم يضـوع المسـك آونةً والعنبر الورد من أردانهـا شمـل

(العنز) : كفلس الأنثى من المعز والجمع عنار واعنزٌ وعُنوزٌ، في جامع الشـــواهد مؤنثة ، وفيه أنها مؤنثة معنوية .

(العنقُ) : كقفل ودبر الجيد والجمع أعناق ، في الدستور والمخصص وأدب الكاتب والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن مالك وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال ابن دريد [2]:

---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، كان أحد الأعلام من شعراء الجاهلية ومخضرميها ، وأحد أصحاب المعلقات . سئل يونس النحوي يوماً من أشـعر الناس ؟ فقال لا أومئ الى رجل بعينـه ولكني أقول : أمرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والأعشى اذا طرب . توفي سنة ٧ هـ = ٦٢٩ م .

(٢) هو محمد بن دريد الأزدي وكنيته أبو بكر ، ولد بالبصرة ونشأ بعمان ، كان شاعراً حكيماً ذا فلسفة وعلم بأخلاق الناس وطباعهم حتى قيل : ان ابن دريد اعلم الشعراء وأشعر العلماء ، كان فصيحا لسنا، ضاعت كتبه الا قليلا ، قيل كان طروباً محباً للموسيقى ذا علم بالايقاع والأنغام ، مات هو والجبائي في يوم واحد .

إذا قلت عنق بسكون الثاني ذكّرت واذا ثقلت الثاني أي ضمّمته أنثته ، ولعل السبب في ذلك السماع .

(العنكبوت) : كحضرموت دويبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً ، والجمع عناكب وعنكبوتات ، في منظومة ابن الحاجب مؤنثة ، وفي المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد وقد تذكر ، وفي التنزيل « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » ، وقال الشاعر في التذكير :

على هطّالهم منهم بيوتٌ كأن العنكبوت هو ابتناها [1]

(العوّا) : تمد وتقصر اسم كوكب . في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الراعي [2] :

ولم يسكنوها الحرّ حتى أظلها سحابٌ من العوّا تؤوب غيومها

وقال الفرزدق [3] :

هنأناهمُ حتى أعانَ عليهمُ من الدلو أو عوّا السماك سجالها

وفيه انها مؤنثة لعلامة التأنيث .

(العيرُ) : القافلة ، والجمع عِيَرات وعِيْرات ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد مؤنثة ، وفي التنزيل « ولما فصلت العيرُ » .

(العَيْنُ) : كفَلْس من الاسماء المشتركة . لها معانٍ كثيرة وانها مؤنثة بجميع معانيها ، منها الباصرة ، وفي التنزيل « وابيضت عيناه من الحزن » ومنها ينبوع الماء ، في التنزيل « فيها عينٌ جارية » ، ومنها ذات الشيء ونفسه يقال لا آخذُ الا درهمي بعينه ، أي لا اقبل منه بدلا ، ومنها الذهب المضروب (خلاف الورق) ، ومنها الركبة ، ومنها ناحية القبلة ، والعرب تقول مُطرنا بالعين ومن العين اذا كان السحاب ناشئاً من ناحية

(١) الهطال . جبل كما في معجم البلدان .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٦ المجلد الثالث عشر .

(٣) » » » » ٣٣٣ المجلد الثالث عشر

القبلة ، ومنها الميزان ، ومنها النقد من دنانير ودراهم ، ومنها الحاضر من كل شيء يقال : « بعته عيناً بعين » أي حاضراً بحاضر ، وهكذا الى آخر معانيها وذلك باتفاق المخصص والدستور والقاموس ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، أما عين الجيش بمعنى الرقيب الذي ينظر لهم فذكر .

باب الغين

(الغَنَمُ) : كفرس الشاة للجنس لا واحد لها ، والجمع أغْنَامٌ وغُنُومٌ وأَغَانِمُ في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل : « اذ نفشت فيه غنم القوم » .

(الغول) : بضم الغين وسكون الواو ساحرة الجن ، والجمع أغوالٌ وغيلان ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، ومنه قول كعب بن زهير (١) :

فما تدوم على حال تكون بها   كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغولُ

باب الفاء

(الفَأْسُ) : كفلس آلة لقطع الخشب والجمع أفؤسٌ وفؤوسٌ ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة .

(الفَحِثُ) : ككتف القِبَّة ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(الفَخِذُ) : بفتح فكسر ما بين الساق والورك ، في المخصص والدستور ومختصر العين والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، والجمع أفخاذ ، وكذلك الفخذ من القبائل وهي افخاذ العرب وبطونها .

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني : شاعر عالي الطبقة من اهل نجد ، له ديوان شعر مطبوع ، كان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر الاسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم واقام يشبب بنساء المسلمين فهدر النبي دمه ، فجاءه مستأمناً وقد اسلم ، وانشد لاميته المشهورة فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وخلع عليه بردته ، توفي سنة ٢٦ هـ = ٦٤٥ م .

(الفردوس) : بالكسر البستان والجنة ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، وفي التنزيل : « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » والظاهر انه انما يذهب في تأنيثه الى ارادة الجنة ، والجمع فراديس .

(الفرس) : محركة حيوان معروف . في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة . وفي ادب الكاتب والمنجد ويذكر .

(الفِرْسِنُ) : كبرج للبعير كالحافر للدابة . في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة . وفي منظومة ابن مالك ويذكر .

(الفُسَاءُ) : ريح تخرج من المفسى بلا صوت . في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة . وفيه أيضا مؤنثة بالالف الممدودة .

(الفلك) : كقفل السفينة يكون واحدا وجمعا ، وجمعته جمعا غيرها واحـــدا ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة . وفي المخصص والقاموس والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال ابن بري [1] : الفلك واحدا مذكر لا غير وجمعا مؤنث لا غير ، لكن الاصح انها يؤنث إن اريد بها السفينة وان كان واحدا كقوله تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » ويذكر إن أريد به المركب كقوله تعالى : « والفلك المشحون » .

(الفؤاد) : القلب وربما اطلق على العقل . والجمع افئـــدة ، في المخصص انه يذكر ويؤنث ، وحكى الفارسي عن ثعلب تأنيث الفؤاد ولم يستشهد عليه بشيء ، أما ما استشهد به ابن الانباري [2] على تأنيثه من قول الشاعر :

(١) هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي الاصل المصري ، ابو محمد ، ابن ابي الوحش : من علماء العربية النابهين، ولد بمصر سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٦ م ، وتوفي فيها سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٧ م ، ولي رئاسة الديوان المصري ، له تآليف كثيرة منها الحواشي على صحاح الجوهري وعلى درة الغواص للحريري

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٢٢٨ الجزء الثالث عشر .

شفيت النفس من حَيَّيْ إياد بقتلي منهم بردت فؤادي

فانما ينهض اذا كان الفؤاد فاعلا لبردت وليس كذلك بل مفعول به له ، اي بردت القتلى فؤادي بقتلي لهم .

(فُوقُ السهم) : موضع الوتر منه ، والجمع فُوَقٌ وأفواق ، في المخصص يذكر ويؤنث يقال هو الفوق وهي الفوقة ، قال الشاعر :

ولكن وحدت السهم أهون فوقة عليك فقد أودى دمٌ أنت طالبه

(الفِهْرُ) : كحبر الحجر قدر ما يدق به الجوز أو يملأ الكف ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي القاموس والمنجد ويذكر ، والجمع أفهار وفهور .

(الفَيْلَقُ) : في المخصص انها اسم للكتيبة مؤنثة والجمع فيالق .

باب القاف

(قباء) : بالضم يمد ويقصر موضع قرب المدينة ، في الدستور والقاموس وشرحه ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، وكذلك قباء بالفتح يمد ويقصر نوع من اللباس ، والجمع اقبية ، وفيه انها مؤنثة بالالف الممدودة فكيف تعد مؤنثاً سماعياً ، بل وكيف يذكر .

(القِتْبُ) : كحبر المعي وتصغيرها سمي الرجل قتيبة ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك والمنجد وقد يذكر ، والجمع أقتاب ، اما القتب بمعنى جميع ادوات السانية [1] فذكر .

(القَثام) : بالبناء على الكسر انثى الضبعان ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه انها مؤنثة معنوية .

(القُدّامُ) : كرمان ضد الخلف ، في الدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي

---

(١) السانية : البعير الذي يسنو من البئر أي يستقى .

والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة وقد تذكر .

(القِدْرُ) : كحبر اناء يطبخ فيه ، في الدستور ومنظومة البيتوشي والقاموس مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

وقدر ككف القرد لا مستعيرها يعار ولا من يأتها يتدسم

وقال آخر في التذكير :

بقدر يأخذ الأعضاء تمّاً بحاقته ويلتهم الفقارا

وقال أبو حاتم [1] : القدر مؤنثة لا غير واما المرجل والمطبخ فذكران ، والجمع قدور وتصغيرها قُدَيرةٌ وقُدَيرٌ .

(القَدَمُ) : كفرس الرجل . في المخصص والدستور ومختصر العين والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة . وفي التنزيل : « فتزل قدمٌ بعد ثبوتها » والجمع أقدام وقدام ومصغرها قديمة وكذلك القدم السابقة والعمل الصالح كقوله تعالى : « أنّ لهم قدم صدق عند ربهم » ، وقال حسان بن ثابت الانصاري [2] .

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا لأوّلنا في ملة الله تابع

وعند ابن مالك وصاحب المنجد ويذكر ، واما القدم بمعنى الرجل الشجاع فمذكر ، يقال رجل قَدَمٌ اذا كان شجاعاً وكذلك بمعنى التقدم .

(القَدُومُ) : كصبور آلة للنحر ، والجمع قُدُم وقدائم ، في المخصص والدستور وتهذيب التبريزي [3] والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢١ .

(٢) كان شاعراً جليلا من أهل يثرب ، كان مع فصاحته وبلاغته عفيف النفس شريفها ، عاش مئة وعشرين عاما منها ستون في الجاهلية وستون في الاسلام ، توفي رحمه الله سنة ٥٤ هـ = ٦٨٣ م .

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ٢٢٦ المجلد الثالث عشر .

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حمّاد
نفخت مشافره الشمول فانفه مثل القدوم يسنها الحدّاد

(القفا) : كعصامؤخر العنق ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والتذكير اغلب ، قال الشاعر :

وما المولى وان غلظت قفاه باحمل للملاوم من حماري[1]

والجمع أقفاء وقُفِيٌّ واقفيةٌ .

(القلْتُ) : كملس النقرة في الحبل ، والجمع قِلات ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، قال أبو النجم [2] :

قَلتٌ سقتها العين من غزيرها

وقال أيضاً :

لحى الله أعلى تَلْعةٍ حفشت به وقَلْتاً أقرّت ماءَ قيس بن عاصم

وكذلك القلت بمعنى نقرة في اصل الابهام .

(القلوصُ) : الإبل الشابة أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إناثها أو الطويلة القوائم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، قال الشاعر :

ودع قلوصك تسعى في أماكنها أماكن حل فيها سيد الامم

(القليبُ) : كأمير البئر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وأدب الكاتب والمزهر ومنظومة ابن مالك ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

إني اذا شاربي شريب فلي ذنوبٌ وله ذنوبْ
وان أبى كانت له قليب

---

(١) الملاوم : جمع ملامة وهي اللوم

(٢) هو فضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم ، من بني بكر بن وائل : من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس انشاداً للشعر نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام . قال أبو عمرو بن العلاء : كان ينزل سواد الكوفة ، وهو أبلغ من العجاج في النعت ، توفي سنة ١٣٠ هـ = ٧٤٧

وقال البيتوشي في التذكير :

وكم من قليب خضْخضتُه دلاؤنا   فعاد نميراً بعد ما كان آجنا

والجمع أقْلِبَةٌ وقُلُبٌ .

(القِمَطْرُ) : ما تُصانُ فيه الكتب . في المخصص والمنجد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التذكير :

لاعلم إلا ما وعاه الصدر   لاخير في علْمٍ حوى القمطر

وربما أُنث بالهاء فيقال قِمَطْرَةٌ .

(القميص) : أي الدرع ، في المخصص مؤنثة ، وأما ما يُلبس على الجلد ففي القاموس والمنجد يذكر ويؤنث .

(القوسُ) : كفلس آلة في شكل نصف دائرة تَرمي بها السهم ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ؛ وفي القاموس والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر ، والجمع قِسِيٌّ وقُسِيٌّ وأقواسٌ وقِياسٌ ، وكذلك القوس التي في السماء والقوس التي بمعنى قليل تمر يبقى في أسفل الجُلَّةِ والقوْصَرَّةِ .

(القوم) : كفلس الجماعة من الرجال والنساء معاً ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والجمع أقوام وأقاوم وأقائم وأقاويم .

باب الكاف

(الكأسُ) : كفلس إناء يشرب فيه ، والجمع كؤوس وأكؤس وكأسات وكئاس ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وقيل الكأس الخمر بعينها ، وفي التنزيل « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » وقال الشاعر :

وما زالت الكأس تغتالنا　　　وتذهب بالأول الأول

(الكئود): كصبور العقبة الشاقة، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة.

(الكاسِرُ): كفاعل العُقاب والجمع كُسَّرٌ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث، يقال «عقاب كاسر».

(الكبد): ككتف من الاسماء جهاز عن الجنب الأيمن يفرز الصفراء، فيها ثلاث لغات كَبِدٌ وكَبْدٌ وكِبْدٌ، والجمع أكباد وكبود، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة، وفي القاموس ومنظومة ابن مالك وجامع الشواهد والمنجد وقد يذكر، قال الشاعر:

أيا جَبَلَيْ نُعمان بالله خلّيا　　　نسيم الصَّبا يخلص إلي نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة　　　على كَبِدٍ لم يبق إلا صميمها
فان الصبا ريحٌ اذا ما تنسمت　　　على كِبْدِ مهموم تجلت همومها

وكذلك كبد القوس.

(الكَتِفُ): بفتح فكسر عظم عريض خلف المنكب، والجمع كَتِفَةٌ وأكتافٌ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة، وفي منظومة ابن مالك ويذكر، وفي المثل «إنه ليعلم من أين تؤكل الكَتِفُ».

(الكَحْلُ): بفتح فسكون السنة الشديدة المجدبة، في المخصص وجامع الشواهد مؤنثة، قال سلامة بن جندل[1]:

قوم إذا صرحت كَحْلٌ، بيوتهمُ　　　مأوى الضريك ومأوى كل قرضوبِ[2]

(١) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك، شاعر جاهلي من أهل الحجاز، في شعره حكمة وجودة، له ديوان شعر صغير مطبوع رواه الأصمعي، مات في سنة ٢٣ ق هـ = ٦٠٠ م.

(٢) الضريك: الفقير. القرضوب: الصعيف.

(الكُراعُ) : كغراب من الانسان ما دون الركبة الى الكعب ، ومن الدواب ما دون الكعب ، ومن البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس ، في المخصص والدستور مؤنثة ، وفي أدب الكاتب ومنظومتي البيتوشي وابن مالك والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، والجمع أكْرُعٌ وأكارِعُ .

(الكَرِشُ) : بفتح فكسر لذي الخف والظلف بمنزلة المعدة للانسان ، والجمع كروشٌ ، في المخصص والدستور والقاموس ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، ويجوز فيها كِرْشٌ وكَرْشٌ يقال كَرِشٌ منثورة يراد بذلك كثرة العيال . في المخصص وكذلك الكَرِشُ من الملك والثياب مؤنثة . وهو ما ينقص من الكرش كهيئة الرمانة .

(الكف) : اليد أو الراحة مع الأصابع . في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد والمنجد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، وفي الشعر :

وكفٍ خضيبٍ زينت ببنان

قال البيتوشي :

لو حوت كفه نقود الدراري   لحباها هَيْلاً بلا ميزان (١)

قال الفارسي : واما قول الأعشى (٢) :

رأت رجلا منهم أسيفاً كأنما   يضم الى كشحيه كفاً مخضبا

فانه يجوز أن يكون مخضباً كقوله « ولا أرضٌ ابقل إبقالها » أي حذفت الهاء للضرورة قال أبو حاتم : ووجهه بعضهم على أن الكف تذكر ، قال وليس بمعروف ، أقول وقد حكى تذكيرها شرح البهجة في نواقض الوضوء وابن مالك في منظومته ، والجمع أكفٌّ

(١) الهيل : ما إنهال من الرمل أو المال الكثير .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٩ .

وكفوفٌ وكفٌ.

باب اللام

(اللّبوسُ) : كصبور الدرع ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم » .

(اللسان) : ككتاب آلة النطق والذوق والبلع ، والجمع ألسنةٌ وألسنٌ ولُسُنٌ ولسانات ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمنجد ومنظومتي ابن مالك وابن الحاجب ويذكر ، فمن أنث اللسان قال : ألسنٌ لأن ماكان على وزن فِعال من المؤنث فجمعه في الغالب افعل كقول أبي النجم [1] :

يأتي لها من أيمن وأشمل

ومن ذكّره قال : ألسنة لأن ماكان على فعال من المذكر فجمعه أفعِلةٌ كمثال وأمثلة وسوار وأسورة . وكذلك اذا كان بمعنى الرسالة والقصيدة ، قال الشاعر في التأنيث :

أتتني لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نُكر

(لظى) : كفتى جهنم ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى » .

(اللِّيتُ) : بالكسر صفحة العنق ، مثناه ليتان وجمعه أليات ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن الحاجب وقد تذكر .

(اللّيلُ) : كفلس خلاف النهار ، ويجمع على الليالي بزيادة الياء على غير القياس ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المنجد وجامع الشواهد وقد يذكر .

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ١٣٥.

باب الميم

(الماعز) : واحد المعز وهو خلاف الضأن من الغنم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مونثة والجمع مواعز .

(المال) : ما مَلكْتَه من جميع الأشياء . والجمع أموال ، في المخصص والمنجد يذكر ويؤنث ، وقد أنثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها في حديث واحد فقال « المال حلوةٌ خضِرةٌ ونعم العون هو لصاحبه » وأنشد قول الشاعر :

والمالُ لا تُصلحها فاعلم ‎ ‎ ‎ إلا بإفسادك دنيا ودين

(المتن) : كفلس الظهر ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث . قال الشاعر في التأنيث :

ومتنان خظاتان ‎ ‎ ‎ كزحلوف من الهضب[1]

وقال الشاعر في التذكير :

اليد سابحة والرجل صارحة ‎ ‎ ‎ والعين قادحة والمتن ملحوب

واما المتن من الارض وهو ما غلظ منها فذكر ، والجمع مِتان ومُتون .

(المِسْكُ) : كحبر طيب وهي من دم نوع من الغزال ، يقال : فلان له غزال المسك والجمع مُسوك ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

والمسك والعنبر خير طيب ‎ ‎ ‎ أخذتا بالثمن الرغيب[2]

وقال زبير بن عبدالمطلب[3] في التذكير :

فإن قد خُلِقْنا مُذْ خُلِقْنا ‎ ‎ ‎ لنا الحِبَراتُ والمسك الفتيت[4]

(١) خظاتان : من خظا لحمه اكتنز . الزحلوف . مكان أملس يتزحلف عليه .
(٢) الرغيب : الكثير .
(٣) هو الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم ، اكبر اعمام النبي صلى الله عليه وسلم ، ادركه النبي في طفولته ، وكان يعد من شعراء القريش الا ان شعره قليل
(٤) الحبرات : جمع حبرة لضرب من برد اليمن .

(للسواك) : العود الذي تنظف به الأسنان والجمع مساويك ، في المخصص يذكر ويؤنث .

(المِعَى) : المصران والجمع امعاء ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس ومنظومة ابن مالك والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، وفي الحديث « المؤمن يأكل في معى واحدة » .

(المغرب) : مكان غروب الشمس ، في المخصص مؤنثة ، يقال فاتتني المغرب وكذلك الظهر والعصر ، اما سيبويه [1] فقال هذه المغرب وهذه الظهراى هذه صلاة المغرب فالتأنيث على ارادة الصلاة .

(الملح) : كحبر المادة المعروفة التي يصلح بها الطعام والجمع ملاح وأملاح، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي القاموس ودرة الغواص والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر ، قال مسكين الدارمي [2] :

لا تلمها انهـا من نـوة ملحها موضوعة فوق الرُّكَبْ

يقول صاحب درة الغواص : اى انها من قوم هي من الغدر وسوء الفهم كمن ملحه فوق ركبته يتفرق سريعاً ، او انها سوداء زنجية لقولهم : « ملح الزنجي على ركبته » .
ويقول الزمخشري [3] في اسرار البلاغة : اى هو كثير الخصومات كان طول مجـاثاته ومصا كَّته الركب قرَّح ركبتيه فهو يضع الملح عليهما يداويهما به .

(المُلْكُ) : ما يملكه الانسان ويتصرف به والجمع أملاك وملوك ، في المخصص القاموس يذكر ويؤنث ، فاذا انثوا ذهبوا به الى معنى الدولة والولاية ، قال الشاعر في تذكير :

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٣٢ المجلد الثالث عشر .
(٢) هو ربيعة بن عامر بن أنيف (بالتصغير) بن شريح الدارمي التميمي . شاعر عراقي شجاع اشراف تميم ، توفي سنة ٨٩ هـ = ٧٠٨ م
(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ٢٢٠ المجلد الثالث عشر .

فملك أبي قابوس أضحى وقد نجز

وقال ابن احمر [1] في التأنيث :

مدت عليه الملك اطنابها   كأس رنوناة وطرف طمر [2]

قال السيرافي [3] : رواية البيت ليست هكـذا وانما هي :

مدت عليـه الملك اطنـابها   كاس الخ

نصب الملك على انه مصدر وموضع الحال كانه قال مُملكاً والهاء راجعة الى الكأس.

(المنجنوقُ) . المنجنيق ، في المخصص مؤنثة وقد تذكر ، قال الشاعر :

ياصاحب اجتنس الشام إنّ بها   حمى زعافا وحصبات وطـاعونا

والمنجنوق التي ترمى عقدها   وفتيةً يدّعونَ البيت موهونا

(المنجنيق) : بفتح الميم وكسرها آلة ترمى بها الحجارة ، معربة والجمع مجـانيق ومجانق ، ومنجنيقات ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي القاموس والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر .

(المنجنون) : المنجنيق . في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(المنجنين) : الدولاب يستقى عليها ، في المخصص والقاموس وجامع الشواهد مؤنثة ، وانشد الاصمعي [4] :

تميلُ رمتـه المنجنون بسهمها   ورمى بسهم جريمة لم تصطد

(١) هو عمرو بن أحمر ، من بني الحارث ، من كنانة ، شاعر جاهلي .

(٢) الرنوناة : مأخوذ من الرنو وهو ادامة النظر بغير طرف ، فالرنوناة هنا الدائمة الادارة . الطرف : الكريم الابوين من الخيل . الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم . اى مدت عليه أسباب العيش واللذة من كل الوجوه .

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي النحوي . سكن بغداد وتولى نيابة القضاء وتوفي فيها ، كان من اعلم الناس بنحو اهل البصرة وكان معتزليا لا يأكل الا من كسب يده ، ولد بسيراف (من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان) سنة ٢٨٤ هـ = ٨٩٧ م ، وله تآليف كثيرة منها شرح كتاب سيبويه وشرح مقصورة ابن دريد وغيرها ، توفي سنة ٣٦٨ هـ = ٩٧٩ م .

(٤) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٣

(المنون) : كصبور الموت والدهر ، في الدستور وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة البيتوشي والمنجد وتذكر ، فمن ذَكَّرهُ ذهب الى ارادة الدهر ، ومن انثه ذهب به الى ارادة المنية ، قال الشاعر :

فقلت ان المنونَ فانطلقن   تعدو فلا تستطيع تدرؤها [1]

قال الهذلي [2] :

أمِنَ المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

فانث المنون على ارادة المنية ، وينشد : « وريبه » فذكر المنون على إرادة الدهر .

(المُوسَى) : كطوبى آلة يحلق بها والجمع مَوَاس ومُوسيات ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وادب الكاتب والصحاح والمزهر يذكر ويؤنث ، قال الكسائي [3] : هي فُعْلى ، وقال غيره هو مُفْعَل من او سيت راسه اى حلقته ، فعلى الاولى مؤنثة وعلى الثاني مذكر ، قال زياد الاعجم [4] في التأنيث يهجو به عتَّاب بن ورقاء الرياحي [5] :

فان تَكُنِ الموسى جَرَتْ فَوْقَ بَظْرِها   فما خُفِّضَت الا ومَصَّانُ قاعدُ [6]

(١) تعدو : تشتد

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٢١٩ المجلد الثالث عشر

(٣) هو علي بن حمزة وكنيته ابو الحسن احد القراء السبعة ، سكن بغداد وتوفي بالري سنة ١٨٩ هـ = ٨٠٥ م ، فارسي الاصل ، كان عالما بالنحو واللغة والروايات ومن خصائصه انه لم يقرض الشعر ، وكان مما خلد به ذكره تأديبه للامين والمأمون ابني هارون الرشيد ، وقد صنف كتباً كثيرة .

(٤) هو زياد بن سليمان — او سليم — الاعجم ، أبو امامة العبدي ، من شعراء الدولة الاموية ، جزل الشعر فصيح الالفاظ ، كانت في لسانه عجمة فلقب بالاعجم ، ولد ونشأ في اصفهان وانتقل الى خراسان ، ومات فيها سنة ١٠٠ هـ = ٧١٨ ، عاصر المهلب بن ابي صفرة ، وله فيه مدائح ومراث ، وكان هجاءاً يداريه المهلب ويخشى نقمته

(٥) هو عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو ، ابو ورقاء الرياحي اليربوعي التميمي قائد من الابطال مات في سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ .

(٦) وفي بعض النسخ :

وان كانت الموسى جرت فوق بظرها   فما ختنت الا ومصان قاعد

وقال الآخر في التذكير :

موسى الصّناع مرهف شباته

باب النون

(النّاب) : السِنُّ خلف الرباعيـة ، في القاموس مؤنثـة ، والجمع أنيُبٌ وأنيابٌ ونُيوُبٌ وأنابيبُ . وهذا مخالف لما اسلفناه في شرح « الضرس » من ان الناب مذكر وفي المخصص : الناب المسنة من النوق مؤنثة والجمع نيبٌ وتصغيرها نُيَيْبٌ ، اما الناب من الاسنان فمذكر ، وكذلك ناب القوم سيدهم ، يقال فلان ناب بني فلان ، وانشد ابو علي [1] على تأنيث الناب بالمعنى الثاني :

أبْقى الزمانُ مِنكَ ناباً نهْبَلَهْ ورَحِما عند اللّقاحِ مُقْفَلهْ

(النّارُ) : جوهر لطيف مضيء محرق ، في الدستور وادب الكاتب والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والمنجد وقد تذكر ، وفي التنزيل « يانارُ كُوني برداً وسلاماً » وكذلك جميع اسماء النار .

(النَّبْلُ) : كعلس السهم ، والجمع نِبال وأنْبال ونُبْلان ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(النّحْـل) : كعلس ذباب العسل ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وأوْحى رَبُّكَ إلى النحلِ أن اتّخِذي مِنَ الجبال بُيوتا » قال الشاعر في التأنيث .

اذا لسعته النحلُ لم يرجُ لسْعَها وحالفها في بيت نُوبٍ عوامل [2]

(النَّخْلُ) : كعلس شجرة التمر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثـة ، وفي القاموس وجامع الشواهد ويذكر ، وفي التنزيل « ومِنَ النحلِ مِنْ طَلعِها » .

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٤ المجلد الثالث عشر .

(٢) النوب من النحل التي تنتاب المرعى فتأكل . واحدها نائب .

(النَّخِيلُ) : كأمير النخل ، في جامع الشواهد مؤنثة وقد يذكر .

(النَّسَمُ) : محركةً نَفَسُ الروح ونفس الريح اذا كان ضعيفاً والجمع انسام ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(النَّعْلُ) : ما وقيت به القدم من الارض وتصغيرها نُعَيْلَةٌ والجمع نعال ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وادب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة قال الشاعر :

ان عادت العقرب عـــدنا لها وكانت النعـــل لهـا حاضرة

وكذلك النعل من نعال السيوف .

(النَّعَمُ) : بفتحتين الابل وتطلق على البقر والغنم ، والجمع انعـام ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص وجامع الشواهد ويذكر ، قال الراجز [1]:

أكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحوُونَهُ يُلْقِحُهُ قوم وتنتجــونه

وكذلك الانعام تذكر وتؤنث فيقال هي الانعـــام وهو الانعام ، قال الله تعالى : « ولـكُم في الأنعام لـعِبْرة نُسقيكم مما في بُطونه » فذكر الانعام، وقال في سورة المؤمن : « مما في بطونها » والتأنيث هو المعروف في الانعام ، وقيل انما ذكره لانه ذهب الى ارادة النَّعَمِ ،والنَّعَمُ والانعام بمعنى واحد ، فاما سيبويه فذهب الى ان الانعـــام يقع على الواحد وايده بقولهم ثوب أكياش .

(النَّفْسُ) : كفلس الروح ، والجمـــع أنفُس ونفوس ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص ومنظومة ابن مالك والمنجد وجامع الشواهـد ويذكر ، والحق انها مؤنثة ان اريد بها الروح، ومذكر ان اريد به الشخص ،وفي التنزيل « ياأيَّتُها النفس المطمئنة ارجعي » ، وقال الشيخ عبدالله البيتوشي في التأنيث :

قلت للنفس اذ تسامت لـكسب الـ مجد جدا حـذار ان تتناهى
أتركي فِيَّ للسفـــاهـــة بابا أطلب الدهر منه مالا وجاها

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٦ المجلد الثالث عشر .

وقال الشاعر في التذكير :

ما عندنا الا ثلاثة أنفس ِ مثلُ النجوم ِ تلألأت في الحندس[1]

(النُّكاءُ) : قشر القرحة ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه انها مؤنثة بالالف الممدودة .

(النُّوبُ) : النحل واحدها نائب ، في المخصص مؤنثة .

(النَّوى) : كفتى البعد ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

فما للنوى لا بارك الله في النوى وَهَمٍّ لنا منها كهَمِّ المراهن

وكذلك بمعنى الموضع الذي يذهب اليه وينويه المسافر ، قال الشاعر :

فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قَرَّ عينا بالإياب المسافر

باب الواو

(الواسِطُ) : اسم بلدة بالعراق ، والغالب في اسماء البلدان التأنيث ومنع الصرف الا (منى) و (الشام) و (العراق) و(واسطا) و (دابقا) و (فلجا) و (هجرا) فانها تذكر وتصرف كما في الصحاح ، وقد يمنع الواسط من الصرف فعند بعض لانه اريد بها البقعة او البلدة ، وعند بعض لانها مؤنث سماعي .

(الوَحشُ) : كفلس حيوان البر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، والواحد وحشي والجمع وحوش و وُحشان .

(الوَراءُ) : كسحاب الخلف ، في الدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المنجد يذكر ويؤنث ، وكذلك الوراء بمعنى القدام ، وفيه انها مؤنثة بالالف الممدودة .

(الوَرِكُ) : ككتف مافوق الفخذ ، في المخصص والدستور ومختصر العين

(١) الحندس . الظلام الشديد .

والقاموس ومنظومة البيتوشي والنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر .

(الوَعْكُ) : كفلس شدة الحروانى الحمى ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

باب الهاء

(الهَبُوطُ) : كصبور الحَدُورُ من الارض ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة .

(الهَجَرُ) : بفتحتين بلد باليمن ، في القاموس مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع وفي المخصص يؤنث ويذكر قال الفرزدق في التأنيث :

منهن أيامُ صِدْقٍ قد بُليتَ بها ... أيام فارسَ والأيامُ من هَجَرا

وقد مر آنفا في شرح « الواسط » وجه التأنيث .

(هُدى) : بضم الهاء وفتح الدال المهملة مقصوراً ضد الضلال ، في المخصص والقاموس والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، اما الهدى الذي هو النهار فمذكر كقول ابن مقبل [1] :

حتى استبنتُ الهدى والبيد هاجمة ... يَخْشَعْنَ في الآل غلفا او يصلينا

باب الياء

(اليَدُ) : الكف او من اطراف الاصابع الى الكتف ، في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، والجمع أيْدٍ ويُدِيٌّ ، وفي التنزيل « بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ » ، وقال البيتوشي :

ويَدٍ منه فوق كَيْدِ جريحٍ ... ويَدٍ مَدَّها إلى الرَّحمنِ

---

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل ، من بني العجلان ، ابو كعب . شاعر جاهلي ، ادرك الاسلام واسلم فكان يبكي اهل الجاهلية ، عاش نيفاً ومئة سنة ، مات في حدود ٢٥ هـ = ٦٤٦ .

وكـذلك يد القميص والرحا واليد بجميع معانيها من النعمة والقوة .

(اليَسَارُ) : كسحاب خلاف اليمين ، والجمع يُسُرٌ و يُسْرٌ ، في المخصص وجامع الشواهد مؤنثة ، اما اليسار من الغنى فذكر .

(يَعْرُبُ) هو ابن قحطان ابو اليمن ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ولا ادري وجهاً لتأنيثه اللهم الا بالقياس على العرب وشتان ما بينهما .

(اليمين) كأمير ضد اليسار والجمع أيمُن وأيمان وأيامِنُ وأيامين ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب ومختصر العين والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، وفي التنزيل « وما مَلَكَتْ يَمينُكَ » قال البيتوشي :

أسلمني أصفى الأخلاء بي ... ويحَ شمالٍ أسلمتها اليمين

وكذلك بجميع معانيها كالقَسَم والقوة والمنزلة يقال : « حلفت على يمين فاجرة ».

(يُوحُ) : الشمس ، في المخصص مؤنثة .

السليمانية ٦ شوال ١٣٨٤ — ٧ / ٢ / ١٩٦٥ .

محمد الخال

« الى القارىء الكريم »

نشر في المجلد الثالث عشر من هذه المجلة النصف الأول من مقالنا تحت عنوان « المؤنثات السماعية » وعثرنا فيه على بعض الأخطاء المطبعية ، نرجو تصحيحها كما يلي : ـ

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣١٤	٣	مقطوعة	منظومة
٣١٤	٤	مقطوعة	منظومة
٣١٤	٨	أُذن	أْذن
٣١٤	١٣	« وقل	« قل
٣١٤	١٤	حيرٌ	خيرِ
٣١٥	٢	للذى	الذى
٣١٥	٢	دالك	ذالك
٣١٥	٨	وأراض	وآراض
٣١٦	٤	اشده	اشده ، في المخصص يذكر ويؤنث ،
٣١٦	١٦	ويؤنث ، قال	ويؤنث، فمن ذَكَّرَ لاحظ معنى العيد او يوم العيد ، قال
٣١٦	١٧	(٣)	(١)
٣١٦	١٠	قتل الخليفة ابن عفان	قتل ابن عفان الخليفة
٣١٦	٢١	مغلولا	مغلولا
٣١٨	٨	البت	البث

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢١	١٢	(الحُـدوْر)	(الحَـدْوْر)
٣٢٢	٤	وياْء	ياْء
٣٢٧	٤	وذئاب	وذناب
٣٢٧	١٦	(٤)	(١)
٣٢٧	١٧	(١)	(٢)
٣٢٧	٢٠	بيذو	بينه
٣٣٢	١٣	من اسماه	من أسماء
٣٣٣	١٤	ابو هراس	ابو هراس
٣٣٥	١	عاودت	عاورت
٣٣٦	١	يذكر	ـ يذكر
٣٣٧	٩	ومنظومتي	ومنظومة
٣٣٧	٢١	(١)	(٣)
٣٣٨	٥	وشحراء .	وشجراء ، وفي التنزيل « لآكلون من شجر من زقوم. فالؤن منها البطون ».
٣٣٨	١٣	(بلفظ الواحد)	وشمال(بلفظ الواحد)
٣٣٩	٢	ان لا يطلع	ان يطلع
٣٣٩	٧	ومنظومتي	ومنظومة

محمد الخال

انيس الجليس في اخبار تنيس

تأليف : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسي

نشر وتحقيق وتقديم

الدكتور جمال الدين الشيال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

مدينة تنيس مدينة مصرية إسلامية مندثرة كانت تقع على جزيرة تحمل اسمها في الشمال الشرقي من بحيرة تنيس (المنزلة حالياً) بين مدينتي الفرما في شرقيها ودمياط في غربيها .

وقد لعبت مدينة تنيس دوراً حضارياً كبيراً في تاريخ مصر الاسلامية فقد كانت ثغراً بحرياً هاماً ومقر الأسطول وبها دار لصناعة السفن ، كما كانت مركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج الرفيع وبها كانت تصنع كسوة الكعبة قروناً طويلة ، ولهذا كان معظم أهليها يشتغلون بالنسج والحياكة كما كانوا يمتهنون صيد الأسماك والطيور .

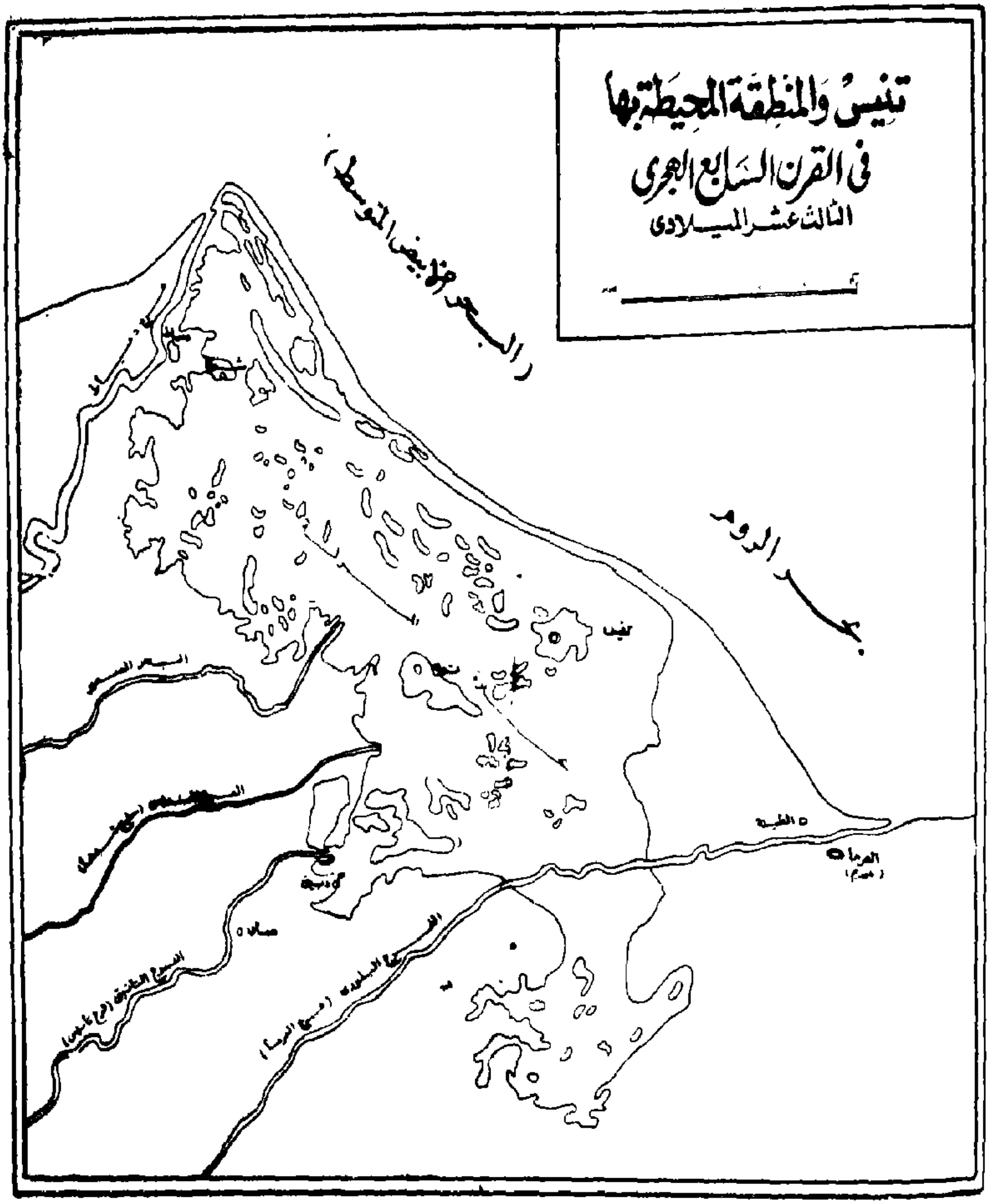
وكانت تنيس مدينة حصينة قوية تحيط بها الأسوار ذات القلاع والأبراج فقد كانت محطاً لأنظار المغيرين من البيزنطيين والصليبيين ، فكثرت غاراتهم عليها ، وصمدت لهذه الغارات وقاومتها في بسالة إلى أن أمر الملك الكامل محمد الأيوبي بتحطيم أسوارها وقلاعها في أوائل القرن السابع الهجري، فهجرها أهلوها وتهدمت مصانعها ودور طرازها وأصبحت

قاعاً بلقعاً كأن لم تغنَ بالأمس .

وقد كتب واحد من علماء المدينة ومحتسبيها وهو محمد بن أحمد بن بسام تاريخاً لها أسماه « أنيس الجليس في أخبار تنيس » ، وبقيت من هذا التاريخ قطعة صغيرة توجد منها نسخة وحيدة في دار الكتب المصرية بالقاهرة وهذه القطعة هي التي نقدمها هنا بعد أن أضفنا اليها دراسة تحليلية منفصلة للكتاب وللمؤلف ، وسيرى القاريء أن هذا التاريخ على صغر حجمه يلقي أضواء جديدة على كثير من النواحي الصناعية والعمرانية لمدينة تنيس بصفة خاصة ولمصر الاسلامية بصفة عامة .

وحبذا لو عنى المشتغلون بالتاريخ وبنشر التراث العربي وتحقيقه بما وصلنا من تواريخ المدن العربية الاسلامية الأخرى ، وفقنا الله جميعاً لخدمة وطننا العربي وتاريخه .

١٠ نيسان (ابريل) ١٩٦٦ جمال الدين الشيال


تنيس والمنطقة المحيطة بها
في القرن السابع الهجري
الثالث عشر الميلادي
البحر الأبيض المتوسط
بحر الروم
الطينة
الفرما

القسم الاول

دراسة تفصيلية عن الكتاب والمؤلف

عناية المسلمين بالتاريخ لمدنهم :

عنى المسلمون عناية كبيرة بالتأريخ لمدنهم الكبرى والصغرى ، ولهذا قلّ أن نجد مدينة إسلامية لم يكتب لها تاريخ، وهذه التواريخ تختلف في حجمها كبراً وصغراً ، فبعضها يقع في مجلدات كثيرة ، مثل :

تاريخ دمشق لابن عساكر .

وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

وتاريخ حلب لابن العديم .

وبعضها يقع في مجلد واحد ، مثل :

تاريخ الفيوم للنابلسي .

وتاريخ بيروت لصالح بن يحي ... الخ .

وهذه التواريخ جميعاً تعتبر من المصادر الهامة لدراسة الآثار الاسلامية والحضارة والعمران بوجه عام ، فهي سجلٌ حافل بأوصاف هذه المدن في عصورها المختلفة ، وبأوصاف خططها وحاراتها وأسواقها وأسوارها ، وما كان بها من منشآت هامة : كالقلاع والحصون والأبراج والأسوار والأبواب، والدور والقصور ، وما كان بها من معابد دينية : كالمساجد والكنائس والأديرة ، وما كان بهـا من معاهد علمية تعليمية : كدور العلم والحكمة ، والمدارس ، والبيمارستنات ، والخوانق ، والربط ، والزوايا ، وخزانات الكتب .. الخ .

وبعض هذه المنشآت في هذه المدن الإسلامية القديمة قد تهدّم ، ولم تبقَ منه إلا أطلال ورسوم ، وبعضها قد طُمر تحت الرمال والأتربة . وعلماء الآثار في دراستهم لهذه الأطلال الباقية ، وفي بحثهم عن هذه المنشآت المطمورة المختفية يجدون العون والدليل دائماً فيما ورد في تواريخ المدن من روايات أو أوصاف ، وفيما كانت تثبته أحياناً من النصوص التي كانت تُنقش على جدران هذه المنشآت لتحديد تاريخ البدء في بنائها أو الانتهاء منه ، ولتعيين اسم مؤسسها وبانيها .

وحبذا لو تعاون المؤرخون والأثريون وعملوا على إعداد إحصاء شامل لكل الكتب التي أُلفت للتأريخ للمدن الإسلامية ، مع بيان الموجود منها والمفقود ، والمطبوع منها والمخطوط ، ليسترشد طلاب البحث بهذا الإحصاء ، وليعمل المؤرخون والمشتغلون بالنشر والتحقيق على طبع ما لم يطبع من هذه التواريخ .

تواريخ المدن المصرية في العصر الإسلامي :

وأنا لا أستطيع أن أقدم هنا إحصاءً كهذا ، ولكنني اكتفي بالإشارة إلى ما وفقت للعثور عليه من كتب أُلفت للتأريخ للمدن المصرية في العصر الاسلامي ، وهذه الكتب نوعان :

كتب الخطط :

نوع عام عنى بالتأريخ للمدن المصرية كما عنى بوصفها الطوغرافي ، وبتطورها ، وبما كان بها من آثار ومنشآت ، وهو المعروف بكتب « الخطط » . وأول من بدأ بالكتابة في هذا الفن التاريخي هو عبد الرحمن بن عبد الحكم — أقدم مؤرخي مصر الاسلامية — في كتابه « فتوح مصر والمغرب والأندلس » ، ثم تبعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندي[1] ،

(١) قال المقريزي في مقدمة كتاب « المواعظ والاعتبار » : « أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندي » . والصحيح أن ابن عبد الحكم سبقه في هذا الميدان ، وعن حياة الكندي ومؤلفاته انظر المقدمة التي كتبها « جست Guest » لكتاب « الولاة والقضاة » و محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ص ٥ وما بعدها .

حين وضع كتابه في خطط الفسطاط — العاصمة الأولى لمصر الاسلامية — ، ثم تبعه مؤرخون آخرون :

فكتب الحسن بن زولاق (توفى ٣٨٧ هـ = ٩٩٧) كتابه « الخطط » [١] .

وفي القرن الخامس الهجري كتب أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (توفى ٤٥٤ هـ) كتابه « المختار في ذكر الخطط والآثار » .

وفي القرن السادس كتب الشريف النسابة محمد بن أسعد الجواني (توفى سنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م) كتابه « النقط بعجم ما أشكل من الخطط » .

ومن القرن السابع كتب محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر (توفى سنة ٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ م) كتابه « الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة » .

وفي القرن الثامن كتب تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج (توفى سنة ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠ م) كتابه « إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل من الخطط » .

وكتب ابن الجيعان (توفى في أواخر القرن الثامن الهجري) كتابه « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » .

وكتب صارم الدين ابراهيم بن محمد المعروف بابن دقاق (توفى سنة ٨٠٩ هـ = ١٤٠٦م) كتابه « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » .

وفي القرن التاسع الهجرى (١٥ م) وصل فن الخطط الى أوجه في الموسوعة التي كتبها تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (توف ٨٤٥ هـ) وأرخ فيها لمدن مصر جميعاً وأسماها « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، وقد أفاد فيها من مجهودات سابقيه جميعاً وأضاف إليها أوصاف هذه البلدان والآثار وما أصابها من تغيير أو تطور إلى عصره .

ونستطيع أن نقول إن هذا الفن من فنون التأليف التاريخي الأثري فن مصري

(١) انفرد بذكر هذا الكتاب ابن خلكان ، فقد قال في ترجمته لابن زولاق : « وله كتاب في خطط مصر استقصى فيه » .

أصيل ، فقد ظهر في مصر دون غيرها من البلاد الاسلامية ، وفيها نما وازدهر ، واتصلت حلقات التأليف فيه قرناً بعد قرن ، فلا يكاد قرن يمر دون أن ينبغ من المصريين مؤرخ أو أكثر من كتاب هذا الفن ، ودون أن يضيف هذا الكاتب الى المكتبة التاريخية المصرية كتاباً قيماً في خطط مصر وآثارها ، وكل واحد من هؤلاء كان في العادة يفيد مما كتبه سابقوه ويضيف اليه ليقدم للقارئ الصورة التي كانت تبدو عليها مدن مصر وآثارها في عصره هو

ولم ينقطع شغف المصريين بهذا الفن التاريخي وإبداعهم فيه حتى يومنا هـذا ، ففي القرن الثالث عشر الهجري (١٩ م) كتب علي مبارك كتابه « الخطط التوفيقية الجديدة » واتخذ الخطط المقريزية أساساً بنى عليه وأكمل وأضاف .

وفي القرن الرابع عشر (٢٠ م) كتب محمد رمزي كتابه « القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ [١] » .

وكتب هذا النوع لم تصلنا جميعها ، بل كثير منها مفقود مثل كتب الكندي وابن رولاق والقضاعي والشريف الجواني وابن عبد الظاهر وابن المتوج ، ولا نكاد نعرف عنها شيئاً إلا تلك الشذرات المتناثرة التي نقلها عنها المؤرخون المتأخرون .

تواريخ المدن :

والنوع الثاني من الكتب التي أرخت للمدن المصرية نوع خاص ، أعني أنه يتضمن كتباً ألف كل كتاب منها للتأريخ لمدينة واحدة ، والملاحظ أن مؤلف كل كتاب من هذه الكتب كان من أبناء المدينة نفسها ، دفعه حبه لمدينته ـ هذا الوطن الصغير ـ الى التأريخ لها ، ومن هنا كان لهذا النوع من الكتب أهمية خاصة لأن الحديث فيه عن تأريخ المدينة وأخبارها ومنشآتها وتطورها حديث مفصل مستوفى ، ولأن المؤرخ يكتب عن معرفة وخبرة ومشاهدة .

(١) مطبوعات دار الكتب المصرية في ٥ مجلدات ، الاول عن البلاد المندرسة (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤)، والأربعة الأخرى عن البلاد الحالية (١٩٥٤ ـ ١٩٦٣) .

والمدن المصرية التي أرخ لها قليلة العدد ، ومن الغريب أنها جميعاً من الثغور ولم أجد مدينة من المدن المصرية الداخلية كتب لها تاريخ ـ ما عدا مدينتي الفيوم وأسيوط ـ ، والمراجع تشير الى كتب وضعت للتأريخ للثغور البحرية الشمالية الثلاث : الاسكندرية ودمياط وتنيس ، كما تشير الى كتاب وضع للتأريخ للثغر البري الجنوبي أسوان ، وفيما يلي بيانها :

كتب تاريخ الاسكندرية :

كتاب « تاريخ الاسكندرية » ، تأليف وجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليم بن منصور بن فتوح الهمداني الاسكندري ، والمؤرخ سكندري من رجال القرن السابع الهجري (١٣ م) ـ فقد ولد في ثامن صفر سنة ٦٠٧ هـ ، وأخذ عن الكثيرين ورحل إلى الشام والعراق ، وكان من علماء الاسكندرية وفقهائها الممتازين ، وولى الحسبة بها مدة ، واعتنى بالحديث والفقه والرجال والتاريخ، وجمع لنفسه معجماً ، وكتب تاريخاً كبيراً لمدينة الاسكندرية ، ذكر السبكي والذهبي أنه كان في مجلدتين ، وذكر السخاوي أنه كان في أربع مجلدات ، وتوفى في الحادي والعشرين من شوال سنة ٦٧٣ هـ [١] .

وهذا التاريخ مفقود [٢] للأسف الشديد ، ولو اننا عثرنا يوماً على نسخة منه فاننا

---

(١) لاستيفاء ترجمة منصور بن سليم راجع . (الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، مخطوطة دار الكتب المصرية ، وفيات سنة ٦٧٣ ، ص ٣٩٦) ، (الذهبي ، تذكرة الحفاظ ج ٢٤ ص ٢٤٩) ، (ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٤١) ، (السبكي . طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ١٥٧) ، (ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٤٧) ، (المقريزي : السلوك ج ١ ، ص ٦١٩) ، (السخاوي . الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ١٢٢) ، (حاجي خليفة : كشف الظنون) ، (الشيال : الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

(٢) لبثت زماناً أبحث عن هذا التاريخ لأهميته ، وكنت وجدت منذ سنوات عدة في فهرس المخطوطات العربية بمكتبة أياصوفيا باستانبول ما يفيد أن بالمكتبة نسخة مخطوطة من هذا التاريخ تقع في مجلدين تحت رقمين ٣٠٠٣ ، ٣٠٠٤ ، وأرسلت في الحال للصديق المستشرق الالماني رتر Ritter ـ وكان مقيماً وقتذاك في استانبول ـ أستوضحه حقيقة هذه المخطوطة توطئة لتصويرها ، ولكنه ـ للأسف الشديد ـ أرسل يخبرني أن الكتاب غير موجود ، وأن الكتاب الموجود مكانه والذي يحمل رقمه كتاب آخر تافه =

سنعثر في الحقيقة على وثيقة هامة جداً توضح لنا تاريخ الاسكندرية ومعالمها في القرون السبعة الهجرية الأولى ، فالمؤلف كما قلنا واحد من أبناء الاسكندرية وعلمائها ، وقد تولى التدريس والحسبة بها وقتاً ما .

وهناك كتاب آخر ذو فائدة كبيرة للباحثين في تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي غير أنه أقل أهمية من سابقه ، لأنه لم يكتب للتأريخ للاسكندرية ، وانما للتأريخ لحادثة معينة خاصة . وهي غزوة القبارصة الصليبية للمدينة فى أواخر القرن الثامن الهجري (٧٦٧ هـ = ١٣٦٥ م) ، وعنوان الكتاب :

« الإلمام بالإعلام بما جرت به الأحكام المقضية في واقعة الاسكندرية في سنة سبع وستين وسبعمائة ، وعودها الى حالتها المرضية »[1] .

ــ وعنوانه « قصة الاسكندر الرومي وسياحته ودخوله في الظلمة باحثاً عن ماء الحياة » .

انظر أيضا : (فهرست المخطوطات العربية بمكتبة أياصوفيا ، استانبول ، ١٣٠٤ هـ) .

(Brockelmann : Geschichte der Arabichen Litteratur supp Vol. I. P. 573-574)

(١) كان المعروف الى وقت قريب أنه لا يوجد من هذا الكتاب إلا نسختان : نسخة من الجزء الاول منه في مكتبة بولين رقم ٩٨١٥ (وفي دار الكتب المصرية صور شمسية منها) ، ونسخة من الجزء الثاني من دار الكتب المصرية رقم ٢٩٤٢ . غير أني عثرت أخيراً على ما يفيد وجود نسختين أخريين للكتاب احداهما في خزانة « بانكي بور » بالهند ، رقم ٢٢٣٥ ، وهي نسخة قيمة هامة ، لأنها كتبت في القرن الثامن الهجري ، فهي أقدم النسخ المعروفة ، وتشتمل على الجزء الاول من الكتاب فقط . والثانية في المتحف البريطاني رقم ٦٠٩ ، وانما تحت عنوان مخالف ، وهو « مرآة العجائب في وقاية الاسكندرية » أنظر :

(السيد هاشم الندوي : تذكرة النوادر من المخطوطات العربية ، حيدر أباد الركن ، ١٣٥٠ هـ) و (فهرس دار الكتب المصرية ، ج ٥ ، ص ٣٨ ، ج ٨ ، ص ٢٤) .

Combe : Le Texte de Nuwairi sur L. Attaque d' Alexandrie, Par Piere I de Lusignan, dans : Bulletin of The Faculty of Arts, Alexandria(Farouk I) University ,vol. III, 1946 .

وانيين كومب : نص منتخبات من كتاب الالمام للنويري الاسكندري ، نفس العدد من المجلة المذكورة) و (الشيال . الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨) .

والكتاب لحسن الحظ موجود ولكنه لايزال مخطوطاً ، ومؤلفه هو محمد بن القاسم النويري [1] الاسكندري ، إلا أن الطريقة الاستطرادية التي التزم بها المؤلف قد أمدتنا في هذا الكتاب بمعلومات نادرة وهامة جداً عن تاريخ الاسكندرية ومعالمها وطبوغرافيتها وأحوالها العمرانية والاقتصادية في العصر الاسلامي عامة ، وفي القرن الثامن الهجري (١٤ م) خاصة .

وقد كتبت عن « فضائل الاسكندرية » رسائل كثيرة تشير المراجع الى ثلاث منها ، اثنتان موجودتان ، والثالثة مفقودة .

أما الاثنتان فهما :

أ — « فضائل الاسكندرية » لأبي علي الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ [2]، وتوجد منها نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ١٦٣ .

ب — « رسالة في فضل ثغر الاسكندرية » لجلال الدين السيوطي [3] ، وتوجد منها نسخة خطية في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة تحت رقم ١٣٧٤ .

أما الرسالة المفقودة فعنوانها « فضائل الاسكندرية » كذلك ، ومؤلفها هو خلف بن علي بن محمد بن أحمد بن داود بن عيسى المغربي التّروجي السكندري [4] ، المتوفى سنة ٨٤٤ هـ .

---

(١) انظر ترجمته في (ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٤ ص ١٤٢) ، وقد قال السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ، ص ١٢٢ عند حديثه عن هذا الكتاب : « ولمحمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري صفة الكائنة العظمى التي وقعت للفرنج في أول سنة ٦٧ حين ملكوها ونهبوا أموالها وأسروا نساءها ورجالها ، في ثلاث مجلدات ، ولكنه استطرد فيها من شيء الى شيء فانه ابتدأ بصفة فتحها واستمر بحيث كانت الواقعة في جانب ما ذكر كالشامة » .

(٢) و (٣) راجع: (الشيال : الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٠٨) و (السخاوي: الاعلان بالتوبيخ ، ص ١٢٢) و (حسن عبد الوهاب : الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة الكتاب عدد يناير ١٩٤٧) و (Rosenthal . History of Muslim Historiography, P. 383) والترجمة العربية للدكتور صالح أحمد العلي بعنوان « علم التاريخ عند المسلمين » .

(٤) انظر ترجمته في (السخاوي : الضوء اللامع ج ٣ ص ١٨٤) .

كتب تاريخ دمياط :

— كتاب تاريخ « دمياط » .

ومؤلفه مجهول، ولسنا نعرف عنه شيئاً . ولم يشر اليه أحد من المؤرخين غير المقريزي، وقد نقل عنه بعض الفقرات أثناء كلامه عن مدينتي « تنيس » و « الورّادة » في كتابه « الخطط » ، وقدم لهذه الفقرات بقوله : « وقال جامع تاريخ دمياط » .

وقد عثرت أخيراً على قطعة صغيرة أرجح أن تكون جزءاً من هذا التاريخ ، وهي قسم من مخطوطة تضم رسائل أخرى . وهذه القطعة - وتقع في عشر ورقات - تتكون من ثلاثة أبواب :

— الباب الأول « في فتوح دمياط » .

— الباب الثاني « في فضائل دمياط » .

— والباب الثالث « في شطا ورملة » .

وقد قارنت بين هذه القطعة المخطوطة وبين الفصول التي كتبها المقريزي في خططه عن « دمياط » و « تنيس » و « الورادة » و « الفرما » . فرجح عندي أن هذه القطعة هي جزء من « تاريخ دمياط » الذي عرفه المقريزي ونقل عنه . والمقريزي ينقل عن هذا التاريخ نقلاً حرفياً في بعض الأحيان . ونقلاً موجزاً ملخصاً في أحيان أخرى ، وسأفصل الحديث عن هذه القطعة فيما يلي من صفحات هذه المقدمة .

— هذا وقد ذكر السيوطي في ترجمته لنفسه التي ضمنها كتابه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » [1] قائمة بمؤلفاته . ذكر من بينها : « الرحلة الدمياطية » ، وهي للأسف من كتبه المفقودة .

— وفي القرن التاسع الهجري (١٥ م) ألف الأديب المؤرخ محمد بن أبي بكر بن عمر القادري الجوهري الدمياطي مقامة عنوانها : « المقامة الدمياطية في وصف الثغر ومحاسنه السنية » .

(١) ج ١ ، ص ١٤٥

وقد ولد هذا الأديب بقرية دانجية قرب دمياط في سنة ٨٢٠ هـ ، وتلقى العلم بها وببعض مدن الصعيد ، وحجّ في سنة ٨٣٤ هـ ، ثم استقرّ في دمياط ، وناب في القضاء بها ، وقال الشعر ، « وأتى بالقصائد الجيدة ، وخمّس البردة ، ومدح كثيراً من الرؤساء ... وتكسب في سوق الجوهريين وقتاً » [١] .

وقد مدح القادري الملك المنصور عثمان بن السلطان الظاهر جقمق — وقت أن كان منفياً في مدينة دمياط — بقصيدة جميلة سماها « الروض الممطور في مدح الملك المنصور » . وقدم لها بالمقامة سالفة الذكر التي أنشأها في وصف دمياط . والقصيدة والمقامة يضمهما مجلد واحد ، ولا تزالان مخطوطتين في مكتبة معهد دمياط الديني ، ولهما — إلى جانب قيمتهما الأدبية — أهمية خاصة ، فهما ترسمان صورة شائقة لمدينة دمياط في أواخر القرن التاسع الهجري ، وهذه الصورة في جملتها لا تختلف كثيراً عن الصورة التي رسمها المقريزي لمدينة دمياط في أوائل القرن نفسه [٢] .

كتب تاريخ تنيس :

— وألف في تاريخ مدينة تنيس كتابان :

الأول في فضائلها من تأليف أبي القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غنائم الخطيب [٣] ،

(١) انظر ترجمة القادري الدمياطي في (السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٨) و (الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٥٠ — ٥٣) .

(٢) زار المؤرخ المصري الكبير تقي الدين أحمد بن علي المقريزي مدينة دمياط في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (١٥ م) . وقد أرخ لها ووصف الكثير من معالمها في كتابه « المواعظ والاعتبار » ، وقال : « إنها أحسن بلاد الله منظراً » ثم قال أيضاً : « أخبرني الأمير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي — رحمه الله — أنه لم ير في البلاد التي سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه ، فظننت أنه يغلو في مدحها إلى أن شاهدتها فهي أحسن بلد وأنزه » ، ثم أثبت المقريزي في كتابه سالف الذكر قصيدة قالها في مدحها ، فيها وصف نادر لدمياط ومعالمها الهامة في ذلك العصر . انظر : (المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٦٢) و (الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٤٨ — ٤٩) .

(٣) ألف ابن غنائم كتابه هذا بعد سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ — ١٠٢٣ م) . انظر : (Brockelman : G. A. L. Supp I. P 548) و (Rosenthal : Op bit P. 589) وترجمته العربية للدكتور صالح أحمد العلي .

وعنوان كتابه « العروس في فضائل تنيس » ، وقد انفرد بذكره السخاوي في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ » ، وكتاب « العروس » من تراثنا المفقود .

والكتاب الثاني عنوانه : « أنيس الجليس في تاريخ مدينة تنيس » لمؤلفه الحافظ شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي ، وسنفصل الكلام عن المؤلف والكتاب فيما يلي من صفحات هذه المقدمة .

كتاب تاريخ أسوان :

— « تاريخ أسوان » لابن الزبير الأسواني [1] ، ذكره حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » ، وهو مفقود كذلك .

كتب تاريخ الصعيد :

وإلى جانب هذه الثغور الشمالية البحرية وهذا الثغر الجنوبي البري ، حظي الصعيد في جملته بعناية نفر من المؤرخين المصريين ، وهو ما لم يحظ به الوجه البحري أو أسفل الأرض ، ففي المراجع إشارات إلى كتب ثلاثة ألفت للتأريخ للصعيد ، منها كتابان مفقودان لا نعرف من كل منهما غير عنوانه ، وهما : « كتاب العقيد في تاريخ الصعيد » لأبي سعيد عبدالرحمن

(١) عاش في مصر في أواخر العصر الفاطمي أخوان يحملان هذا الاسم « ابن الزبير الاسواني » : وهما : المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير ، وأخوه الرشيد أحمد بن علي بن الزبير ، ولم يذكر حاجي خليفة أيهما مؤلف هذا التاريخ ، وكان الأخوان أديبين شاعرين عالمين ، غير أن المهذب أشعر ، والرشيد أعلم ، وتوفي المهذب سنة ٥٦١ هـ ، وتوفي الرشيد ٥٦٢ هـ . انظر ترجمتهما في .

(ياقوت . معجم الأدباء ج ٤ ص ٥١ و ج ٩ ص ٤٧) و (ابن خلكان : الوفيات) و (الأدفوي : الطالع السعيد ص ٤٧ و ١٠٠) و (ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٢٤٣ — ٢٤٨) و (العماد الأصفهاني : الخريدة ، قسم شعراء مصر ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٢٥) و (السلفي : معجم السفر ، مخطوط) و (عمارة اليمني : النكت العصرية ص ٣٥) و (السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٤) و (محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٠٣ — ٢١٠) و (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال : ج ١ ص ٢٥٥) .

ابن أحمد بن يونس [١] ، وانفرد بذكر هذا الكتاب حاجي خليفة في « كشف الظنون » .

— وكتاب « تاريخ الصعيد » لعلي بن عبد العزيز [٢] الكاتب ، ذكره السخاوي في « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

— والكتاب الثالث معروف ومطبوع وهو « الطالع السعيد في تراجم أعيان الصعيد » للادفوي ، وهو كتاب تراجم أولاً ، غير أنه يتضمن الكثير من المعلومات المفيدة القيمة عن تاريخ مدن الصعيد المختلفة وما كان بها من منشآت ومعاهد ومدارس ومساجد وآثار [٣] .

---

(١) أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، الحافظ المؤرخ ، من أوائل مؤرخي مصر الاسلامية ، ولد سنة ٢٨١ ، وتوفى سنة ٣٤٧ هـ ، وقال عنه مؤرخوه انه كان إماماً في علم التاريخ ، وله كلام في الجرح والتعديل يدل على تبصره بالرجال ، وعمل لمصر تاريخين : أحدهما — وهو الأكبر — يختص بأهل مصر ، والثاني يختص بذكر الغرباء الواردين على مصر ، ولم يذكر كتابه « المفيد في تاريخ الصعيد » غير حاجي خليفة في « كشف الظنون » وكتبه جميعاً مفقودة ، وان كان للمؤرخون المتأخرون ينقلون عنه . وقد رثاه عند موته الشاعر المصري أبو عيسى عبد الرحمن بن اسماعيل الخشاب النحوي بأبيات طريفة ، منها البيت المشهور الذي يقول فيه :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه — حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا

وقال ابن كثير . « وله ولد يقال له أبو الحسن علي ، كان منجماً له زيج مفيد يرجع اليه أصحاب هذا الفن ، كما يرجع أصحاب الحديث الى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه » ، وهم ابن خلكان فيه والصحيح ما ذكره ابن كثير ، وللابن ترجمات مختلفة في . (الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ، ص ٣٤٥) و (القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥٥) و (ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، نشر الدكاترة زكي محمد حسن وسيدة الكاشف وشوقي ضيف ص ٢٧٣) وخلاصة هذه الترجمات أن الابن أبا الحسن علي كان من خواص المقربين للخليفة الحاكم ، وله كتاب الزيج الكبير الحاكمي . أتمه قبل وفاته سنة ٣٩٩ هـ وكان مختصاً بعلم النجوم ، متصرفاً في سائر العلوم ، بارعاً في الشعر ، وله شعر كثير . ومؤرخنا عبد الرحمن هو حفيد أبي موسى يونس بن عبد الأعلى الفقيه المصري . صاحب الشافعي . انظر ترجمة الجد في : (ابن خلكان : الوفيات ج ٦ ص ٢٤٧— ٢٥١) .

وراجع ترجمة عبد الرحمن في : (ابن خلكان . الوفيات ج ٢ ص ٣١٨ — ٣١٩) و (ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٥٢٦ — ٥٢٧) و (الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٣) و (ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ، ص ٢٣٣) و (ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢١) و (السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٧ ، ٢٢٨) و (الزركلي : الاعلام) .

(٢) و(٣) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ص١٢٧ ، وانظر كذلك (Rosenthal. Op. bit. P. 394) والترجمة العربية للدكتور صالح أحمد العلي .

وهناك مدينتان مصريتان من مدن الصعيد كتب لكل منهما تاريخ مستقل ، وهما : مدينة أسيوط ، ومدينة الفيوم .

أما المدينة الأولى فقد ألف في تاريخها كتاب عنوانه « تاريخ أسيوط » ومؤلفه هو المؤرخ المعروف ابن المدينة جلال الدين السيوطي . وقد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته في ترجمته لحياته التي ضمنها كتابه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (١) » ، ولكن هذا التاريخ للأسف الشديد من الكتب المفقودة التي لا نعرف عنها شيئاً .

وإذا كان مؤرخو المدن المصرية السابقة جميعاً من أبناء هذه المدن ، فان مؤرخ مدينة الفيوم فخر الدين عثمان بن النابلسي لم يكن من أبنائها . وإنما هو سوري الأصل ، نابلسي المولد ، قاهري الإقامة ، كان من كبار موظفي الدولة في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، اختاره السلطان في سنة ٦٤١ هـ لنظر في مصالح الفيوم وعمارتها ، فكتب كتابه هذا ليصف فيه الفيوم وقراها وخلجانها وسكانها وإدارتها وخراجها ومساجدها وكنائسها وأديرتها .. الخ وسماه :

« إظهار صنعة الحي القيوم

في ترتيب بلاد الفيوم »

وقد نشره المستشرق موريتز Moritz ، وطبع في بولاق في سنة ١٨٩٨ بعنوان : « تاريخ الفيوم وبلاده » (٢) .

مخطوطة « فرائد الموائد » :

وبعد ، فإن موضوع بحثنا في هذه المقدمة هو مخطوطة نادرة لم يشر اليها أحد من

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) انظر المقدمة الفرنسية التي كتبها موريتز لهذه الطبعة ، و (سركيس . معجم المطبوعات العربية والمعربة) ، هذا وقد ذكر السيوطي في ترجمته الذاتية (حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٥) قائمة بمؤلفاته ، من بينها « الرحلة الفيومية » ، وهي كذلك من كتبه المفقودة .

قبل تضم قطعتين من كتابين من هذه الكتب السالف ذكرها ، وهما :

- كتاب تاريخ دمياط

- وكتاب تاريخ تنيس

وقد كان المظنون حتى اليوم أنهما مفقودان ، والمخطوطة وإن كانت لا تضم التاريخين كاملين ، وإنما تضم قطعة من كل منهما ، فانها في الواقع تعتبر كشفاً له قيمته ، فان القطعة المنقولة عن « تاريخ تنيس » بوجـــه خاص تتضمن وصفاً كاملاً رائعاً لتخطيط المدينة وأقسامها وسورها وأرباضها ، وما كان بها من دور للحكومة ومن منشآت ومرافق عامة ، وهو وصف قلَّ أن نجد له شبيهاً في دقته واستيفائه فيما وصلنا من أوصاف في كتب الخطط وتواريخ المدن الإسلامية .

والمخطوطة موجودة في دار الكتب المصريه بالقاهرة تحت رقم ١٨٥٢ أدب ، وتقع في ٨٥ ورقة ، وتتكون من قسمين :

- القسم الأول قطعة من كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وتنتهي بنهاية الورقة ٦٠ .

- والقسم الثاني ويضم مجموعة من الموضوعات المختلفة أهمها قطعة من « تاريخ دمياط » ، وقطعة من كتاب « أنيس الجليس في أخبار تنِّيس » ، ويتكون من الخمس وعشرين ورقة الباقية ، وقد ذكرت القطعة الأولى المأخوذة من « تاريخ دمياط » في الجزء السادس من فهارس دار الكتب المصرية الخاص بالعلوم الجغرافية تحت عنوان : « قطعة من كتاب لم يعلم مؤلفه » ، وعرَّفها واضع الفهرس بقوله :

« وتشتمل على وصف مدينة دمياط ، ونبذة من أخبار الصحابة في عهد المقوقس رضوان الله عليهم (١) » .

وذكرت القطعة الثانية المأخوذة من تأريخ تنيس في نفس الجزء تحت عنوان : « نبذة في وصف تنيس والجزائر وجزائر البحار » ، وعرَّفها واضع الفهرس بقوله :

(١) الجزء السادس من الفهارس الحديثة لدار الكتب المصرية ، ص ٤٧ .

« مأخوذة من كتاب الأنيس الجليس في أخبار تنيس والجزائر ، للشيخ شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ، المعروف بابن بسّام المحتسب التنيسي ، وصف فيها مدينة تنّيس وموقعها ومساجدها وكنائسها وفنادقها وحوانيتها وأسماكها وطيورها ، ثم ذكر جزيرة إقريطش وجزيرة رودس ، وجزيرة سردينية ، وجزيرة أرواد ، وجزيرة الزنج ، وجزيرة الديباج ، وجزيرة الرامي ، وجزيرة تريعون ، وجزيرة الرامدي ، وفي آخرها معرفة عظم الأرض وعمارتها وخرابها ، مأخوذة من كتاب الجغرافيا لبطليموس ، وهذه النبذة مسبوقة بنبذة أخرى ناقصة من الأول ، تحتوي على فتح المسلمين لمدينة تنيس ، وذكر من حضر من الصحابة ، ووصف مدينة دمياط وما اشتملت عليه [1] » .

غير أنه ثبت لي بعد دراسة المخطوطة أن هذه المقتطفات تكون في مجموعها كتاباً مستقلا يحمل عنواناً خاصاً به ، هو « فوائد الموائد » ، وهو من نوع كتب الشذرات والمتفرقات التي يقتصر عمل المصنف فيها على جمع مختارات من قراءاته في الأدب والشعر والتاريخ والقصص والحكم وضمها بعضها الى البعض الآخر لتكون كتاباً واحداً ، فهذا المجموع ، أو كتاب « فوائد الموائد » يشبه الى حد كبير كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » للابشيهي أو كتاب « الكشكول » للعاملي .

ويؤكد هذه الحقيقة أن الصفحة الأولى من هذا المجموع مثبت عليها سطور أربعة

ـ السطر الأول كتب فيه « كتاب فوائد الموائد » .

ـ وفي السطرين الثاني والثالث : « ديوان محمد بن كزل العيسوي نائب السلطنة المعظمة بثغر دمياط كان ، رحمة الله عليه » .

ـ وفي السطر الرابع بيت من شعر هذا الشاعر نصه :

فما هو الا ظاهر ومؤيد على ومنصور بشعر مظفرى

وقد تكرر ذكر عنوان الكتاب في السطر الأخير من الورقة ٨٥ وهي آخر ورقة في هذا المجموع ، ونص هذا الختام :

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢ . وانظر أيضاً الجزء الخامس من نفس الفهارس ص ٣٨٠ .

« تم كتاب فوايد الموايد على بركة الله وعونه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

غير أنه يبدو لي أن هذا الكتاب « فوائد الموائد » لم يصلنا كاملا ، وانما هذه قطع منه ، بدليل أن القطعة المأخوذة من تاريخ دمياط ناقصة من أولها ، وتبدأ بهذه الجملة :
« .. فانهى به الصيد إلى أرض العريش ، فطرد أمامه وحش كثير فطلبه الملك .. الخ » .

ومحتويات كتاب « فوائد الموائد » تتلاحق على هذا النسق :

١ — مختارات من كتاب « الأمالي » لأبي علي القالي وتنتهي بنهاية الورقة ٦٠ .

٢ — قطعة من كتاب « تاريخ دمياط » وتقع في عشر ورقات . من الورقة ٦١ الى ٧٠ ، ويبدو أن « تاريخ دمياط » كان مقسما الى أبواب ، فان القسم الأول وينتهي في أوائل الورقة ٦٩ جاء في ختامه :

« تم فتوح دمياط بعون الله تعالى وقوته ونصره » .

ثم يليه في الورقة ٦٩ : « باب في فضائل دمياط » .

وفي النصف الأول من الورقة ٧٠ : « باب في شطا ورملة » .

٣ — كتاب « أنيس الجليس في أخبار تنيس والجزائر » ، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي ، رحمه الله ، وتبدأ هذه القطعة بالجملة الآتية :

« ذَكَرَ الشيخُ شمس الدين محمد بن أحمد بن بَسَّام التنيسي المحتسب العالم بتنيس كان ـ رحمه الله ـ في كتابه المصنف في وصف تنيس .. الخ » وتبدأ هذه القطعة في أول ص ٧٠ أ ، وتنتهي بنهاية ص ٧٨ أ .

٤ — فصل في أسماء الأسد وكناه للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني وتبدأ بالصفحة ٧٨ ب وتنتهي في منتصف ص ٨٣ أ ، أما النصف الثاني من الصفحة ففيه مقطوعة شعرية لم يذكر اسم صاحبها .

٥ — فصل آخر في أسماء الذئب وكناه للصغاني أيضاً وتشمل الصفحتين ٨٣ب و٨٤أ .

٦ — أبيات ومقطوعات شعرية مقتبسة من ديوان الفقير الى الله تعالى ، محمد بن كُزَل يسوي نائب السلطنة المعظمة بثغر دمياط ـ كان ـ ، رحمة الله عليه . وتملأ هذه المقطوعات ثلاث صفحات الأخيرة من المخطوطة من ٨٤ ب الى ٨٥ ب .

ومسطرة المخطوطة ١٧ × ٢٥ سم ، والمكتوب منها ١٣ × ١٩ سم ، وعدد السطور في كل صفحة ١٥ سطراً . وعدد الكلمات في كل سطر ١٢ كلمة .

مخطوطة تاريخ دمياط :

هذا وصف موجز سريع للمخطوطة وحلتها ، وسنقف قليلا عند القطعتين المأخوذتين من تاريخ دمياط وتاريخ تنيس لتحقيق كل ما يتصل بهما . ولمحاولة التعرف على مؤلفيهما إن أمكن . ولبيان قيمة ما ورد بهما من معلومات تاريخية وأثرية .

ـ أما القطعة المأخوذة من « تاريخ دمياط » فتتكون من ثلاثة أبواب :

الباب الأول في « فتوح دمياط » ، والباب الثاني في « فضائل دمياط » ، والباب الثالث في « شطا ورملة » .

والباب الأول هو أهمها وأكبرها فهو يقع في ست عشرة صفحة ، أما البابان الثاني والثالث فيقعان في صفحتين اثنتين ، وهذا الباب الأول يتحدث عن فتح العرب لدمياط وشطا وتنيس والمناطق والجزائر المجاورة مثل : الفرما والبقارة والوراّدة .. الخ وعن الشخصيات التي شاركت في أحداث الفتح من الروم والعرب جميعاً مثل المقوقس والهاموك وشطا وأبو ثور (وهو عند المقريزي :أبو ثور) ، ويزيد بن عامر ، وهلال بن أوس ، والمقداد بن الأسود .

وكتاب « تاريخ دمياط » لم يذكره أحد من المؤرخين السابقين غير المقريزي في كتابه « الخطط » ، فقد نقل عنـــه ملخصاً في الفصلين اللذين تحدث فيهما عن مدينتي تنّيس والورّادة ، وقدّم لنقوله بقوله : « وقال جامع تاريخ دمياط » ولم يصرح باسمه ، ولم

أستطع أنا أيضاً ـ حتى الآن على الاقل وبعد تحقيقات كثيرة ـ أن أعثر على اسمه ، ولكني قارنت بين هذه القطعة المخطوطة الفصول التي كتبها المقريزي في خططه عن دمياط وتنيس والورادة والفرما فتأكد لدي أن هذه القطعة المخطوطة هي دون شك جزء من « تاريخ دمياط » الذي عرفه المقريزي ونقل عنه ، والمقريزي ينقل عن هذا التاريخ نقلا حرفياً في بعض الأحيان ونقلا موجزاً ملخصاً أحياناً أخرى .

واتضح لي من هذه المقارنة ومن دراسة المخطوطة حقائق أخرى ، منها :

أن مؤلف الكتاب دمياطي فهو يعنى بذكر فضائلها ومحاسنها ويمجد رجالها والأبطال الذين شاركوا في فتحها سواء أكانوا من المصريين مثل شطا بن الهاموك أم من العرب مثل هلال بن أوس والمقداد بن الأسود .

ـ أن الكتاب ألف قطعاً قبل القرن التاسع الهجري (١٥م) وهو القرن الذي عاش فيه المقريزي ، وأنه كان موجوداً بأكمله حتى هذا القرن بدليل إفادة المقريزي منه ونقله عنه .

قد يفسر سكوت المقريزي عن ذكر اسم المؤلف بأنه كان مجهولا لديه أو بأن النسخة التي استخدمها لم تكن تحمل اسم هذا المؤلف ، وإلا لذكره ونسب الكتاب اليه كما كان يفعل في أغلب الأحوال عند النقل عن المؤرخين السابقين .

ـ أن هذا الجزء الذي وصلنا من « تاريخ دمياط » ما هو الا قطعة صغيرة جداً منه وانه كان كتاباً كبيراً ، بدليل أن المؤلف يحيل القارىء في نهاية الباب الخاص بفتوح دمياط الى معلومات أخرى سيذكرها في « الجزء الثالث عشر إن شاء الله تعالى » .

ـ ان المعلومات الواردة في الفصل الأول الخاص بفتوح دمياط خليط من الأحداث التاريخية والقصص التاريخي ، وخاصة تلك الصورة التي رسمها للبطل المصري شطا بن الهاموك الذي أسلم وشارك العرب في فتوح دمياط وتنيس .

ـ ذكر المؤلف في هذه القطعة الباقية من « تاريخ دمياط » كثيراً من الأحاديث النبوية في فضل دمياط ، ونقل عن اثنين ممن سبقوه وهما :

ـ ابن اسحاق .

ـ وبكر بن سهل الدمياطي ، الحافظ .

ابن بسام مؤلف أنيس الجليس :

أما مدينة تنيس فهي إحدى المدن المصرية الكبرى في العصر الاسلامي كانت تقوم على جزيرة في الشمال الشرقي من البحيرة التي كانت تحمل اسمها في العصور الوسطى « بحيرة تِنّيس » وهي المعروفة الآن بحيرة المنزلة .

وكانت تنيس ثغراً من أهم ثغور مصر الشمالية ، ومركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج في العصور الإسلامية ، وقد أسهب المؤرخون والجغرافيون والبلدانيون والرحالة القول في وصفها والاشادة بموقعها البحري والحربي وبمكانتها الصناعية الاقتصادية ، وهذه القطعة التي وصلتنا هي جزء من كتاب هام وضع في تاريخها وعنوانه « أنيس الجليس في أخبار تنيس » وقد ذكر المقتبس صاحب كتاب « فوائد الموائد » اسم مؤلف تاريخ تنيس وهو : الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين احمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي .

ولهذا المؤلف كتاب آخر هام في الحسبة ، عنوانه : « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » وتوجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة التيمورية بالقاهرة

وقد كتب الأب لويس شيخو عن هذا الكتاب ونشر مقتطفات منه في : (مجلة المشرق) السنة العاشرة ، العدد ٢١ ، تشرين الثاني ١٩٠٧ ، ص ٩٦١ ـ ٩٦٨ ؛ العدد ٢٢٣، كانون الأول سنة ١٩٠٧ ، ص ١٠٧٩ ـ ١٠٨٦) .

وقد بذل الأب لويس شيخو جهوداً كبيرة ، وبذلت أنا بعده جهوداً أخرى للعثور على ترجمة مفصلة أو موجزة لهذا المؤلف ، ولكن دون جدوى ، وقد رجّح شيخو في مقاله أن ابن بسام عاش في القرن ٧ (١٣ م) أو القرن ٨ (١٤ م) لأنه أثبت أن ابن بسام نقل كتاب الشَّيْزَرى في الحسبة الذي يحمل نفس العنوان ، وأضاف اليه أبواباً جديدة ، والشيزري

عاش كما هو ثابت من ترجمته في أواخر القرن السادس الهجري (١٢ م) . وقد لاحظت أن هناك شبهاً كبيراً بين المعلومات التي أتى بها ياقوت عند حديثه عن تنيس في كتابه « معجم البلدان » وبين المعلومات الواردة في « أنيس الجليس » ، وخاصة تلك القائمتين المشتملتين على اسماء الطيور والاسماك الموجودة في تنيس فانهما تكادان تكونان شيئاً واحداً، ومما يلفت النظر أن ياقوت نص على أنه نقل القائمة المشتملة على اسماء الطيور من كتاب « تاريخ تنيس » وان كان لم يفصح عن اسم مؤلفه ، قال : « قال صاحب تاريخ تنيس : ولتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون في موضع آخر ، وهي مائة ونيف وثلاثون صنفاً ... الخ » .

وقد تساعدنا هذه الإشارة على تحديد الوقت الذي عاش فيه ابن بسام ، فاذا كان كتاب تاريخ تنيس الذي نص ياقوت على أنه نقل عنه هو « أنيس الجليس » لابن بسام ، فاننا نستطيع أن نقول إن ابن بسام عاش في أواخر القرن السادس الهجري أو أوائل القرن السابع وبمعنى آخر قبل سنة ٦٢٦ هـ وهي السنة التي توفي فيها ياقوت .

ونستطيع بعد دراسة مخطوطة « أنيس الجليس » ، وبعد استشارة المراجع التاريخية التي أرخت لمدينة تنيس أن نحدد التاريخ الذي عاش فيه المؤلف والتاريخ الذي ألف فيه الكتاب تحديداً أكثر دقة .

فابن بسام أشار في « أنيس الجليس » إلى أنه رجع الى كتاب « المسعودي » : « مروج الذهب » و « أخبار الزمان» ونقل عنهما ، والمسعودي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وهذا يعني أن ابن بسام عاش بعد القرن الرابع الهجري .

وآخر حاكم مصري أشار اليه ابن بسام في متنه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فقد قال عند ذكر ما كان في تنيس من كنائس : « وكان بها - يعني تنيس - من الكنائس أثنتان وسبعون كنيسة الى أن أمر بهدمها الحاكم بأمر الله - رحمه الله - في سنة ثلاث وأربعمائة ، وجعل عوضها مساجد » .

وآخر سنة أشار اليها هي سنة ٤٠٥ ، فقد قال : « وبها من الفنادق والقياسر خمسون سواء ، ثم بني في سنة خمس وأربعمائة ستة آدر للتجار كبار ، فصار الجميع ستة وخمسون موضعاً ... الخ » ، وهذا يعني أيضاً ان ابن بسام عاش بعد عصر الحاكم بأمر الله ، وبعد سنة ٤٠٥ بالذات .

وابن بسام يصف مدينة تنيس وأرباضها وخططها ومساجدها وفنادقها ومصانعها وأهليها وصفاً تفصيليا دقيقاً يعطي صورة حية واضحة للمدينة في أحسن حالة من حالات عمرانها عندما كانت عامرة عمائرها ودورها ومنشآتها آهلة بسكانها الذين يقدرهم ابن بسام بما لا يقل عن ٥٠،٠٠٠ نسمة . وهو وصف لا يستطيع أن يقدمه إلا من عاش في المدينة ردحاً من الزمن وابن بسام وصف في ديباجة « أنيس الجليس » بأنه الشيخ شمس الدين محمد بن احمد بن بسام التنيسي المحتسب بالعالم بتنيس ـ كان ـ ، فليس هناك شك في أنه من أبناء تنيس ، وأنه كان من علمائها ، وتولى الحسبة فيها . وفي المخطوطة إشارة صغيرة متوارية الى أن ابن بسام كان يعيش في تنيس وقت عمرانها أي قبل هدمها وتخريبها والى أنه كان يملك مصنعاً من أكبر مصانعها ـ أي مخزناً من أكبر مخازن الماء فيها ـ ، فقد وصف مصنعاً للماء كبيراً بناه بالمدينة عبد العزيز الجروي ، ثم أردف الوصف بقوله : « ولكاتب هذا مصنع آخر دون هذا » .

وقد ظلت تنيس عامرة آهلة حتى أوائل العصر الأيوبي ثم أخذت تهددها ـ كما تهدد جارتيها الفرما ودمياط ـ غارات الصليبيين من البحر بأساطيلهم ، وقد بذل صلاح الدين جهوداً كبيرة لتحصين تنيس حتى تستطيع أن تقاوم هذه الغارات .

يقول المقريزي : « وفي سنة ٥٧٧ هـ انتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عندما اشتد خوف أهل تنيس من الإقامة بها ، فقدّر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار غير أصناف وآجر (١) » .

ولكنه اضطر قبل موته بسنة أن يأمر باخلائها ، قال المقريزي : « وفي سنة ٥٨٨

(١) المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

كتب باخلاء تنيس ونقل أهلها الى دمياط ، فأخليت في صفر من الذراري والاثقال ، ولم يبق بها سوى المقاتلة في قلعتها [1] » .

وفي سنة ٦٢٤ أمر الملك الكامل محمد بهدم المدينة وتخريبها حتى لا ينزل بها الصليبيون، وبذلك زالت من الوجود مدينة كانت من أكبر المدن الصناعية في مصر الاسلامية كما كانت ثغراً من أقوى ثغورها ، قال نفس المؤلف : « وفي شوال من سنة ٦٢٤ أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بهدم مدينة تنيس، وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة [2] » .

نستطيع إذن أن نقول إن المؤلف كان يعيش في تنيس قبل سنة ٥٨٨ هـ أو على الأكثر قبل سنة ٦٢٤ هـ وأنه ألف كتابه قبل هذه السنة ، لأن مدينة تنيس العامرة الآهلة التي وصفها ابن بسام في كتابه هذا زالت من الوجود ولم يعد لها كيان في هذه السنة ، ولم يعرف أنه أعيد تخطيطها وتعميرها كما حدث لدمياط مثلا بعد أن هدمت في أعقاب حملة لويس التاسع عليها.

ونستطيع أخيراً أن نخرج من هذه الدراسة التحليلية المقارنة بهذه الحقيقة : وهي أن المؤلف عاش في الربع الأخير من القرن السادس والربع الأول من القرن السابع ، وأنه ألف كتابه خلال هذه المدة ، ونستطيع كذلك أن نستبعد أن ابن بسام كان من رجال القرن الثامن الهجري كما افترض الأب لويس شيخو ، وكما تبعه في فرضه الدكتور الباز العريني في مقدمته لكتاب « نهاية الرتبة » للشيزري .

دراسة تحليلية لمخطوط « أنيس الجليس في أخبار تنيس » :

ويبدو أن القطعة التي وصلتنا من تاريخ تنيس لا تشمل الكتاب كله ، بل هي مقتبسات منه ، فهي تقع في عشر صفحات فقط ، ومع هذا فانها تتضمن معلومات قيمة ونادرة لم تذكرها المراجع الأخرى التي كتبت عن تنيس ، ففيها وصف تفصيلي دقيق لخطط المدينة ومينائها وأسوارها وأبوابها ودار الحكومة بها وفنادقها ومساجدها وكنائسها ومصانعها .. الخ .

---

(١) و (٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

بدأ المؤلف بتحديد موقع الجزيرة فقال إنها تقع في الاقليم الرابع ، وأوضح ما لهذا لموقع من أثر في صحة هوائها ورقة طبائع أهلها وقلة وبائها ، وذكر أن الأهالي يدخرون ماء النيل عندهم عند صفائه في جباب أو صهاريج خاصة .

والمدينة كما وصفها المؤلف كانت شبه مستطيلة ، فطولها من الشمال الى الجنوب ٣٢٢٧ ذراعاً وعرضها من الشرق الى الغرب ٢٥٨٠ ذراعا وكان يحيط بها سور ذرعه ٣٢٨٥ ذراعاً(١) . ولهذا السور أبواب كانت عدتها ١٩ بابا ، وكان واحد منها مصفحا بالنحاس ، وما سواه مصفح بالحديد . وكان يتصل بالسور كذلك قنطرتان يسلك تحتهما الى ميناءين ، لكل منهما باب مصفح يمنع من يريد أن يدخله أو يخرج منه بغير إذن .

ثم قدّم ابن بسام إحصاء طريفاً نادراً لكل ما كان في المدينة من مساجد وكنائس وفنادق وقياسر وحوانيت ودكاكين ومعاصر وطواحين وحمامات ومناسج .

فالمدينة كان بها ١٦٠ مسجداً سوى المسجد الجامع ، ولكل مسجد منها منارة ، وقد وصف ابن بسام المسجد الجامع وصفاً تفصيلياً ، فقال :

إن طوله من جهة القبلة الى جهة البحر مائة وإثنا عشر ذراعاً وعرضه من المشرق إلى المغرب واحد وسبعون ذراعاً وكانت له زيادة ملاصقة له طولها سبعون ذراعاً وعرضها ٢٩ ذراعاً وكانت العناية بهذا المسجد الجامع كبيرة فقد كان يوقد فيه في شهر رمضان ثلاثة آلاف مصباح ومائة مصباح ومائتان وخمسون شمعة ، ويوقد فيه في كل ليلة ألفان وثمانمائة مصباح .

وذكر المؤلف أنه كان بتنيس اثنتان وسبعون كنيسة الى أن أمر بهدمها الحاكم بأمرالله في سنة ٤٠٣ هـ وجعل عوضها مساجد .

أما الفنادق والقياسر فكان عددها خمسين ثم بنى في سنة ٤٠٥ هـ ستة آدر كبيرة للتجار فصار الجميع ستة وخمسين .

وأما الحوانيت فكان عددها ألفين وخمسمائة .

(١) وقد قدر المؤلف طول هذا المحيط بالأميال فقال إنه يساوي ميلا ونصف ميل وثمن ميل ونصف عشر ميل .

وكان بها مائة معصرة ، تختلف كبراً وصغراً ، فأصغرها يعمل بها رجلان ، وأكبرها يعمل بها عشرون رجلا .

وكان بها من الدكاكين التى يباع بها البَزُّ وأنواع الثياب مائة وخمسون دكانا .

وكان بها من الأرحية أي الطواحين ، مائة وستون ، منها ما يشتمل على مدار واحد ، ومنها ما يشتمل على مدارين ، ومنها ما يشتمل على خمسة أحجار ، وبها مقشرة وممحنة .

وكان بها من الحمامات العامة ستة وثلاثون حماماً ، سوى الحمامات الخاصة التى يبنيها بعض الأهلين ملحقة بدورهم .

وكان بها من المناسج - أي دور الطراز أو مصانع النسيج - خمسة آلاف منسج وكان عدد العمال الذين يعملون فيها عشرة آلاف عامل سوى من يُطَيِّب أو يُرَقِّم من ذكر وأنثى ؛ وقد أشار صاحب تاريخ تنيس الى صخامة انتاج هذه المناسج وتنوعه واتقانه ، وأمدنا في هـذا الوصف بكثير من أسماء الأقمشة الفاخرة التى كانت تنتجها تنيس ، قال : « عـدد ما فيها (أي المناسج) من الأسفاط ألف وخمسمائة سَفَط ، ومن الرُّزَم ألفا رزمة ، وبرسم خزانة السلطان أربعمائة سفط ، فيها من الامتعة ما لا يرى مثله ، مذهبة على هيئة المخيطة مسوجة ، الثوب الواحد منها بألف دينار ، ومناديل ، المنديل بخمسمائة دينار ، ومراتب المرتبة بألف دينار ، ومطارد ، ومقاطع ، ومفارش ، وستور ، ومحل ، ومُعَيَّن ، وسقلاطون دَبيقي ، ومُصْمَت دَبيقي ، وعتابي ، وما لا يمكن وصفه » .

أرباض المدينة :

ولم يكن العمران مقصوراً على المدينة التي تحيط بها الأسوار ، بل كانت لها أرباض أربعة تحيط بها من كل جهاتها ، وفي كل ربض من هذه الأرباض تقوم الدور والمنشآت والمرافق العامة ، بعضها حكومي ، وبعضها مما يتصل بالصناعات القائمة في المدينة ، وقد حدد ابن بسام الدور والمنشآت والمرافق العامة القائمة في كل ربض على النحو الآتي :

١ — الربض الغربي ، وكانت تقوم فيه :

دار الصناعة ، أي دار صناعة السفن .

دار الإمارة .

حمامات للرجال .

عرصتان عظيمتان يرد اليهما ما يُحمل الى تنيس من البلدان القريبة والبعيدة .

٢ — الربض الشرقي ، وكانت تقوم فيه :

الديوان الكبير ، ويشتمل على عدة دواوين ، (ولعله يقصد ديوان الجمرك الذي يحصل الضرائب المفروضة على التجارة الواردة على المدينة ، أو لعله يقصد دواوين الحكم بوجه عام التي تشرف على شئون المدينة الإدارية والمالية وغيرها) .

دواليب تنقل الماء وقت غيوبه (؟) وزيدته الى مصانع المدينة وحماماتها .

مطاحن حمص ، ومواقد جير .

اصطبل السلطان .

الربض القبلي ، وكانت تقوم عليه :

دواليب أخرى لنقل الماء الى المصانع والحمامات .

أخصاص كثيرة لا تحصى (وأغلب الظن أنها الأخصاص التي كان يعيش فيها الصيادون)

ديوان السمك ومخازن الأصيار .

أرض تنبت الملح ، أي ملاحات لاستخراج الملح ، وقد وصف المؤلف الملح الناتج منها بالجودة فقال إنه كان يفوق نصاعته وعذوبته وكثرته كل ملح .

الربض البحري ، وكانت تقوم عليه :

مساجد وكنائس .

مفارش لتبييض الأمتعة ، وحجارة لضرب الثياب .

هدف للرماة .

مصليان ، أحدهما لجنائز الموتى ، والآخر لصلاة العيدين .

صناعة صيد الأسماك والطيور :

واذا كانت صناعة النسيج هي الصناعة الأولى بالمدينة ، فقد كانت الصناعة الثانية هي صناعة الصيد ، صيد السمك ، وصيد الطيور ، ولهذا فقد انتقل بعد وصفه لخطط المدينة وأرباضها الى الحديث عن هذه الصناعة ، وكل ما يتصل بها ، وبدأ بصيد الأسماك ، فذكر أن المدينة كان بها من المراكب الموسومة لصيد السمك في البحيرة ثلاثمائة واثنين وسبعين مركباً ، واكثر ما تحمل المركب منها ستين رجلا ، وأقله ثلاثة رجال ، وقد تصيد هذه المراكب في بعض الأوقات ما يباع بمائة دينار أو أكثر .

ثم أردف هذا الوصف بقائمة نادرة لأسماء هذه المراكب لا نجد لها شبيهاً في المراجع الأخرى ، فنها : الجرافات ، والانكبارات ، والعينات ، والسد ، والطراحين ، والجراجن ، والساريات ، ومراكب الترعة والفلاحين والطاخين ، ومراكب القَـوْد ، والدق ، ومراكب المضارب ، ومراكب القرندس ، ومراكب اللبابين ، ومراكب الدور .

وقدم بعد هذا قائمة كاملة بأسماء الأسماك التي كانت تصاد فى تنيس وعددها ٦٣ نوعا . وكان إيراد الحكومة من المكوس المفروضة على صيد هذه الأسماك كبيراً وقد قدره صاحب الكتاب بخمسين ألف دينار في السنة ، وكان يشرف على هذه الصناعة وعلى جمع هذه المكوس ديوان خاص يسمى ديوان الأسماك موقعه في الربض القبلي كما سبق أن ذكرنا .

وانتقل ابن بسام بعد هذا الى الحديث عن صيد الطيور ، فقال إن عدة المراكب التي تصاد بها الطيور في جزيرة تنيس ، وتعيش من كسبها مائة وثلاثة عشر مركباً ، ثم قدم قائمة أخرى بأسماء الطيور التي كانت تصاد هناك وهى نيف ومائة صنف .

وأشار المؤلف بعد هذا الى النشاط التجاري بين مدينة تنيس وموانى الشام ، وقال إن السفن التي كانت تنقل هذه التجارة مختلفة الأنواع ، فنها القوارب والكنائم ، والعشاريات ، وأن عدد السفن الواردة الى تنيس من الشام كانت تبلغ فى كل سنة خمسمائة مركب اكثرها ترد في الصليبية والربيعية ، هذا عدا المراكب الوافدة عليها من اقليم مصر

لصعيد والاسكندرية وأقصى الريف ، وهذه كما قال المؤلف مما لا يضبط عدده لكثرته، ترد بأنواع الخيرات من الفواكه وغيرها .

سكان المدينة :

وبين سطور هذا الوصف الطوغرافي العمراني يجد القارىء لفتات وإشارات حاول المؤلف أن يكوّن منها صورة حية لسكان مدينة تنّيس ، وهـذه اللفتات والاشارات - رغم أهميتها العظمى - لم يعن بتسجيلها مؤلفو كتب الخطط الآخرون ، فهم في العادة يعنون بوصف الجماد ولا يعنون بوصف الأحياء .

أما ابن بسام فقد ضمّن هذه القطعة الصغيرة من تاريخ تنيس فقرات متناثرة لوصف سكان تنيس ومزاجهم وطبائعهم ، فقال إن المدينة كانت تمتاز بصحة هوائها ورقة طبائع أهلها وصنائعهم حتى أن الميت لاتفسد جثته سريعاً ، ولا يتساقط شعره من جسمه ، ثم ضرب مثلا على صحة هواء المدينة وقلة الوباء بها فقال : « إن اكثر من يعمل بها الأمتعة يأكلون الأسماك والأطعمة الزفرة ولا يغسلون أيديهم ، ويعودون الى رقمهم ونسجهم ولا يشمّ من روائح تلك الزهومات شيء ، بل يطيب نسجه ، ويستلذ نشره » ، وساق المؤلف دليلا آخر على صحة هواء المدينة وخلوها من الحشرات فقال إنه لا يوجد في خبزها ولا برّها ولا في أرضها ولا في بنائها شيء من الحيوان المهلك والدبيب المؤذي .

أما سكان المدينة فهم أهل من ، يستحمهم الطرب ويحبون سماع الأغاني ، ويجيدون الرسم والتصوير والنقش والتلوين ، وهم كأرباب الفنون في كل زمان ومكان يقبلون على الحياة ويحسنون الاستمتاع بأطايبها ، ويأنفون الغريب ويقبلون عليه بكل قلوبهم ، ويحبون السفر ويكرمون الغريب والمسافر ، ولا يحملون في أنفسهم غِلّا ولا حقـداً ، هكذا وصفهم المؤلف ، وأنت تحس حين تقرأ وصفه أنه يفخر بمواطنيه ويعتز بما لهم من سجايا طيبة ، فهو يقول :

« ولذلك كثر طرب نفوس أهلها ومرحهم ورغبتهم في مداومة اللذات واستماع الأغاني

ومواصلة المسرات ، والرغبة في الراحة ، واطراح ما يوجب التعب والمشقة ، والحب للنقش والصورة والرّقم والتلوين بالأصباغ ، وعلى قلة الضجر في السفر ، وترك المخالفة لمن يصاحبون ، وكثرة المبالغة لمن يألفون ، وحسن المؤازرة لمن يستخدمهم ، ومحبتهم للغرباء والمسافرين ، والمواظبة على مسرتهم وسرورهم ومنفعتهم ، وتركهم للحسد لمن يحبونه ، والعتب على زلته ، ويمدحونه ويفضلونه ، ويلومون أنفسهم في التقصير عن إخائه وما يستحقه ، والقيام بذلك » .

وكان معظم اعتماد السكان في معاشهم ، وفي مأكلهم ومشربهم بوجه خاص على ما يأتيهم من خارج جزيرتهم ، اذ لم يكن لديهم من أنواع المأكل غير ما يصيدون من أسماك أو طيور ، أما بقية المأكولات وخاصة القمح والشعير والفواكه فقد كانت تحملها إليهم السفن الوافدة من الشام أو من إقليم مصر والصعيد والاسكندرية ، وكانت هذه السفن ترد ـ كما يقول المؤلف ـ بأنواع الخيرات من الفواكه وغيرها .

وأما الماء فكان يحمله إليهم الفرع التنيسي وكانوا يدخرونه في موسم الفيضان في جباب وصهاريج ومصانع معدة لذلك ، وكانت بالمدينة دواليب تنقل الماء وقت زيادته الى مصانع المدينة وحماماتها ، وقد أحصى المؤلف هذه المصانع ووصفها بقوله : « وبتنيس مصنعتان عظيمتان ، تنسبان الى عمر بن حمص ، مكشوفتي السقوف ، والغربي منها أحد وعشرون بيتاً ، والشرقي ثمانية عشر بيتا ، ومصنع مسقف وسط المدينة بناه عبدالعزيز الجَرَوي ، ينقل إليه الماء على دولاب يشتمل عليه ستون قادوساً مدة شهرين كاملين بلياليها يسع كل قادوس فى تمريغة في يوم وليلة ألف جرة ، يملء كل جرة أقساط من ماء ، فيكون هذا المصنع ثلاثة ألف ألف ألف جَرَّة وستمائة جَرَّة ... ولابن طولون ثلاث مصانع ، أحدها بالقرب من السوق ، والآخر فى زيادة الجامع » . ثم أردف المؤلف انه كان له مصنع خاص به في المدينة ، قال : « ولكاتب هذا مصنع آخر دون هذا » .

ولأول مرة نجد مؤلفاً عربيا يقدّم إحصاءً للسكان ، ويبني تقديره على أساس علمي ،

لقد أورد ابن بسام في مخطوطته هذه عدد أرادب القمح والشعير والقطاني التي يستهلكها سكان تنيس في اليوم وفي السنة ، وعلى أساس هذا التقدير استنتج أن السكان كانوا خمسين ألفا ، ولكنه شأن العالم المحقق استدرك فقال إن هذا الرقم قد لا يكون دقيقاً ، وأنه قابل للزيادة والنقصان لأن بعض الحاكة من سكان المدينة قد يدخرون الخبز المجفف لفصل الشتاء ، ولا يعتمدون على الدقيق الذي يطحن كل يوم ، قال : « وقد يزيد على ذلك زيادة تقل وتكثر ، مع اختلاف السنين ، لأن الحاكة يصلحون من الخبز الجريش المجفف في الشمس ما يدخرونه للشتاء وقصر النهار ، فيستغنون عن طحنه . »

مصير مدينة تنيس منذ خربت الى الآن :

هذه هي أهم محتويات القطعة المخطوطة التي وصلتنا من كتاب « أنيس الجليس في تاريخ مدينة تنيس » لابن بسام المحتسب التنيسي ، أما المدينة نفسها فقد رأينا كيف أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٨٨ (١١٩٢ م) باخلائها من السكان وألا يبقى فيها غير المقاتلة للدفاع عنها . وكيف أمر السلطان الملك الكامل محمد في سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦ م) بهدم المدينة وتخريبها حتى لا ينزل بها الصليبيون ، فقد كانوا حينذاك على أهبة الاستعداد للمجيء الى مصر بحملة جديدة وانتهى هذا الاستعداد بإرسال الحملة الصليبية الخامسة في سنة ٦٣٠ (١٢١٩م) بقيادة جان دي برين ، فنزلت على دمياط ثم منيت بالفشل . وهكذا تلاشت من الوجود مدينة من اكبر مدن مصر الصناعية والحربية فى العصور الوسطى ، وبقيت أنقاضها واطلالها تتحدث عن مجـدها الغابر وعزها الداثر ، وسكت المؤرخون والرحالة والجغرافيون والأثريون الذين كتبوا بعد النصف الأول من القرن الثالث عشر عن التحدث عنها أو الإشارة إليها ، ولا نكاد نجد لها ذكراً الا فى بعض كتب الرحالة الاوربيين الذين زاروا مصر أو مروا بها ، فمن هؤلاء فرانيكولو دا كوربتزو Franicolo da Corpizzo ـ ويفهم مما ذكره في رحلته أن المدينة أثناء زيارته لها في سنة ١٣٤٥ م (القرن الثامن الهجري) لم يكن بها غير القلعة تقيم بها حامية للدفاع ،

فقد ذكر أنه دفع لقائد هذه الحاميـــة ضريبة عن نفسه وعن أصحابه . وفي سنة ١٤٢١ (ق . ٩ هـ) زار المدينة الرحالة جلبرت دي لانوى Jillebert de Lannoy فلم يجد بها إلا أنقاضاً وصفها في رحلته .

ومن المؤسف حقاً أن أطلال هذه المدينة ظلت نهباً مشاعا للصيادين فى بحــيرة تنيس (المنزلة) من سكان القرى الأخرى المطلة على هذه البحيرة مثل المطرية والمـنزلة وغيرها ، يسطون عليها للبحث عما بين جدرانها من نفائس ، ولنقل أنقاضها مـن أحجار وطوب وأخشاب ورخام ليستعملوها في إقامة المباني الجديدة بهذه القرى .

ولقد التفتت مصلحة حفظ الآثار العربية في مطلع هذا القرن الى أهمية هذه الأطلال فأرسلت فى مارس سنة ١٩١٠ أحد مفتشيها من مهندسي المصلحة وهو المهندس الايطالي باتروكلوا Patricolo[١] لزيارتها وقد كتب تقريراً باللغة الفرنسية عن هذه الزيارة نشر في كراسات هذه اللجنة (مجموعة سنة ١٩١١) ، وذكر في هذا التقرير أنه لم يعد بين هـذه الأطلال ما يستحق الدراسة غير أنقاض قلعة المدينة ، وغير ما بها من صهاريج للماء ، وقد درس هو خلال هـــذه الرحلة بقايا أربعة من هذه الصهاريج ووصفها وصفاً معماريا أثريا وأرفق بتقريره عدداً من اللوحات لبيان قطاعات لهذه الصهاريج .

وقال محمد رمزي في القاموس الجغرافى للبلاد المصرية (ج ١ ص ١٩٨) : « وبالبحث تبين لي أن الجزيرة التى كانت بها مدينة تنيس لا تزال موجودة الى اليوم ببحيرة المنزلة ومعروفة بجزيرة تنيس ، وبها بعض بقايا من الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة »

وآخر من زار تنيس فيما نعلم هو الأستاذ نقولا يوسف ـ أحـد أبناء دمياط ـ فقد قام في سنة ١٩٥٣ بجولة فى بحيرة المنزلة وفى الجزر المتناثرة فيها والمدن المطلة عليها ، وكتب وصفاً لرحلته هذه في جريدة « أخبار دمياط » وأهم ما جاء في هذا الوصف قوله : « وماذا

(1) Patricolo (A) . = Rapport sur les Citernes de Tell Tinnis , dans le Lac Manzaleh , dans . (Comité de Conserva Tion des Monuments de l' Art Arabe . Exercice 1910 Fas - Xvii , re Caire 1911 .p 63 - 68) .

يلقى الجائل اليوم بتنيس غير كثبان الرمال وقد تشربت بمياه المطر فتركت طبقات هشة تكسو وجه الأرض وغير أكمات وتلال قاتمة اللون يعلو بعضها بضعة أقدام والبعض الآخر بضعة أمتار ، تطوى تحت ترابها بقايا المدينة العظمى وذكرياتها .. » الى أن يقول :

« ولن يعثر الباحث الا على قطع من الخزف هنا وحطام صهريج هناك »

ولكن الجدير فيما كتبه قوله إن حريقاً شب في مدينة المطرية في سنة ١٩٠٧ فقضى على معظم مبانيها ، فاضطر سكانها أن يلجأوا الى جزيرة تنيس ينقلون من أحجارها وانقاضها ليعيدوا بها بناء منازلهم . قال الاستاذ نقولا يوسف :

« وكان معنا في القارب شيخ من أهل المطرية سمعنا نتحدث عن تنيس فراح يقص علينا شيئاً من ذكرياته ، قال : كانت جزيرة تنيس إلى عهد قريب مليئة بالانقاض والحطام ، وكانت تلك البقايا والأنقاض مهملة لا رقيب عليها ولا حسيب ، يعبث بها ويحمل منها كل من يشاء خلسة بالليل أو جهاراً بالنهار . ثم وضعت الحكومة بعض الخفراء لحراسة تلك الأنقاض ، غير أن ذلك لم يحل بين سكان المدن المجاورة من أن يعبروا البحيرة إليها كل يوم ويحملوا في سفنهم الأنقاض والأحجار والآجر والرخام الى حيث تباع أو تستخدم في بناء البيوت ، وكان أن شب عام ١٩٠٧ حريق كبير أودى بمدينة المطرية ، فعمد سكانها الى نقل الأنقاض من تنيس للاستعانة بها في بناء بيوت جديدة في مدينتهم حتى خلت الجزيرة من كل أثر اللهم إلا من سرداب طويل كان فيما مضى صهريجاً من صهاريج تنيس الكثيرة لخزن الماء .. »

وبعد فما قصدت بهذا البحث إلا التنويه بهذه المخطوطة القديمة وأمثالها من كتب البلدان باعتبارها مصادر ذات قيمة كبرى لعلماء الآثار ، والا تنبيه الأذهان الى هذه المدينة المصرية المندثرة ، وحبذا لو عنى علماء الآثار العربية في ج . ع . م . بارسال بعثة للحفر في أطلال هذه المدينة ولدراسة ما بقى منها على ضوء هذا الوصف الجغرافي الذي أمدنا به صاحب « أنيس الجليس في أخبار تنيس » .

القسم الثاني

كتاب أنيس الجليس في أخبار تنيس

تأليف الإمام العالم العلامة الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن بِسَّام المحتسب التِنِّيسي، رحمه الله، آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ذكر الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن بِسَّام التِنِّيسي المحتسب العالم بتِنِّيس - كان - رحمه الله في كتابه المصنف في وصف تِنِّيس :

أنها من الإقليم الرابع ، لصحة هوائها ، ورقّة طبائع أهلها وصنائعهم .

وأن الميت بها لا تفسد جثته سريعا ، ولا يتساقط شعره عن جسمه .

وأن أكثر مَنْ يعمل بها الأمتعة يأكلون الأسماك والأطعمة الزفرة ولا يغسلون أيديهم ، ويعودون إلى رَقْمهم ونسجهم ولا يُشَمّ فيه من روائح تلك الزهومات شيء ، بل يطيب نسمه ، ويستلذ نشره ، وذلك الدليل على صحة الهواء ، وقلة الوباء .

وهم يدخرون ماء النيل عندهم عند صفائه في جباب لهم مستمدة .

وطول هذه المدينة من جهة الشمال - وهي البحرية - وإلى جهة الجنوب - وهي القبلية - من الباب المعروف بباب القُرْط ثلاثة آلاف ذراع ومائتا [١] ذراع وسبعة وعشرون ذراعاً بالذراع الكبير الذي طوله أربعة وعشرون إبهاما .

---

(١) الاصل : « مائتي »

وعَرْضها من الباب الصغير إلى الباب المعروف بديرنية ثلاثة آلاف وخمسة وثمانون ذراعاً بالذراع المقدَّم ذكره .

وذَرْعُ سورها ثلاثة آلاف ذراع ومائتان وخمسة وثمانون ذراعاً ، يكون ذلك من الأميال ميلا ونصف ميل وثُمْن ميل ونصف عُشر ثُمْن ميل .

وعدد أبواب هذه المدينة - أبواب السور التي يُدخل منها ويُخرج - تسعة عشر بابا ، واحدٌ منها مُصَفَّح بنحاس (٧١) وما سواه مُصَفَّحٌ بالحديد . وقنطرتان يسلك تحتهما إلى ميناءين . لكل ميناء منها باب مصفح بالحديد يمنع مَنْ يريد أن يدخله أو يخرج منه بغير إذن .

وجميع مساجدها ومحاريبها الداخلة فيها والخارجة منها سوى الجامع مائة وستون مسجداً .

وأما الجامع فطوله من جهة القبلة إلى جهة البحر مائة واثنا[1] عشر ذراعاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب إحدى وسبعون ذراعا . وطول زيادته الملاصقة له والمسافة إليه سبعون ذراعا ، عرضها تسعة وعشرون ذراعا . ويوقد فيه في شهر رمضان ثلاثة آلاف مصباح ومائة مصباح ، ومائتان وخمسون شمعة . وكان يوقد في كل ليلة فيه ألفان وثمانمائة مصباح .

وفي كل مسجد من مساجدها منارة .

وكان بها - يعني بتنيس - من الكنائس اثنتان وسبعون كنيسة إلى أن أمر بهدمها الحاكم بأمر الله - رحمه الله - في سنة ثلاث وأربعمائة ، وجعل عوضها مساجد .

وبها من الفنادق والقياسر خمسون سواء . ثم بنى في سنة خمسة وأربعمائة ستة آدر للتجار كبار فصار الجميع ستة وخمسين موضعاً .

وبها من الحوانيت ألفان وخمسمائة حانوت .

(١) الأصل : « اثنى »

وبها مائة معصرة ، أعداد رجالها مختلفة ، وأقلهم اثنان وأكثرهم عشرون .

وبها من الدكاكين التي يباع بها البَزُّ وأنواع الثياب مائة وخمسون دكاناً .

وبهـا من الأرْحِيَّة ـ يعني الطواحـين ـ مائة وستون ، فيها ما يشتمل على مدار ، ومنها على مدارين ، ومنها ما يشتمل على خمسة أحجار مقشرة ومعجنة .

وبها من الحمامات ستة وثلاثون سوى ما يتخصص بها أهلها في دورهم .

وبها من المناسج التي تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج : عدد عمالها عشرة آلاف نفس سوى من يُـطَيِّب أو يُرقِّم من ذكر أو أنثى ، عـــدد ما فيها من الأسْفاط ألف وخمسمائة سَفَـط ، ومن الرُّزم الف رزمة . وبرسم خزانة السلطان أربعمائة سفط فيها من الأمتعة ما لا يرى مثله : ثياب مذهبة على هيئة المخيطة منسوجة ، الثوب الواحـد بألف دينار ومناديل ، المنديل بخمسمائة دينار ،ومراتب: المرتبة بألف دينار ومطـــارد ومقاطع ومفارش وستور مُخَمَّل ومُمَيَّـن وسقلاطون كَديقي ومُصْمَت دبيقي وعتَّـابي وما لا يمكن وصفه

وبالرَّبض الدائم بسور المدينة مما يلي الغرب : الصناعة ، ودار الامارة ، وبينهما حمامات للرجال ، وعرصتان عظيمتان[1] يرد إليهما ما يحمل من البلدان القريبة والبعيدة .

وفي الرَّبض الآخر : الديوان الكبير ، ويشتمل على عدة دواوين وفيه دواليب تنقل الماء وقت غيوبه[2] وزيادته إلى مصانع هذه المدينة وحماماتها ، وفيها مطاحن جِبْس ، ومواقد جير ، واصطبل السلطان .

وفي الربض القبلي دواليب لنقل الماء الى المصانع والحمامات ، وفيـــه أخصاص كبيرة لا تُحصى ، وفيه ديوان السمك ومخازن الأصياد ، وبالقرب منه أراض تنبت الملح الذي يفوق بضيائه وعذوبته (٧٢) كل ملح وبكثرته .

---

(١) الاصل . « عرصتين عظيمتين »

(٢) كذا في الاصل . ولعل المقصود « عيونه » أي زيارته

وفي الربض الشرقي دواليب تنقل الماء إلى المصانع [1] والحمامات .

وفي الربض البحري مساجد ، وكنائس ، ومفارش لتبييض الأمتعة ، وحجارة منقوشة لضربها ـ يعني الثياب ـ ونقائها ، كثيرة ، وهدف للرماة ، ومصليان ، أحدهما لجنائز الموتى والآخر لصلاة العيدين .

وبها من المراكب الموسومة لصيد السمك في البحيرة المختلفة الأسماء ، مثل : الجرافات والانكارات والعينات والسد والطراحين والجراجن والباريات ومراكب الترعة والفلاحين والطباخين ومراكب القود والدق ومراكب المضارب ومراكب القريدس ومراكب الباباين ومراكب الدور وثلاثمائة مركب واثنان وسبعون [2] مركباً وأكثر ما يحمل المركب منها ستون رجلا ، وأقله ثلاثة رجال . وقد تصيد هذه المراكب في بعض الأوقات ما يباع بمائة دينار وأكثر .

أسماء الأسماك بها :

البوري ، البلبس ، البيت ، البرو ، الاراث ، القسا ، الشكين ، الطوبار ، القلادن ، الملل ، البلطي ، الإبليل ، القشار ، الرلنح ، الاكلت ، القونح ، القجــاج ، الدوبيس النقسط ، القرقراج ، اللاح ، الحيــار ، التون ، الأحناش ، الانكليس ، المقيثة ، الخف ، اللات ، الحــلا ، الماص ، المشط ، القسا ، حوت الحجر ، السنور ، الراى ، الابرميس ، اللبيس ، سيف الماء ، حدأة الماء ، اشطون ، اللحا ، القرش ، الحسة ، كلب الماء ، السرطان التمساح ، المرنوب ، العسح ، أم الأسنان ، الدلفين ، العميان ، النسانس ، الرعاد ، البلستين ، الاقوس ، القنديل ، الحرة ، الليف ، الحلوه ، القهاريس ، الآدنوس ، القرندس ، الديليس .

وظهر بتنيس في أيام ابن أبي الريش حوت طوله ثمان وعشرون ذراعا ونصف ، بلا قشر ولا صدف ، لونه أسود ، وبطنه أبيض ، طول رأسه ستة أذرع ونصف ، وعرض

(١) جمع مصنعة وهي الخزان أو الصهريج يتخذ لخزن المياه .

(٢) في الأصل : واثنين وسبعين .

طرف ذنبه خمسة أذرع ، وحُمِـــل إلى الحضرة ، وكان المَلّـح له يدخل في فيه قائما غير منحن .

والذي يجب عن مصايد هذه السموك في كل سنة خمسون ألف دينار .

وفي هذه البحيرة أطيار تأتيها في أوقات مختلفة حتى أن منها ما قد شوهد بالمشرق ، ومنها ما قد شوهد بالمغرب ، وفي بلاد الروم وغير ذلك . والدليل على ذلك أنها توجد عند صيدها هزلا ثم تسمن إذا أقامت في هذه البحيرة .

أسماء الطيور بها :

الجراد ، الصرد ، الحسيي ، الصدا ، اللسنة ، أبو الحنا ، برقع أم على ، برقع أم حبيب، القمري، دربدر مالي ، الراهب ، الشهاس ، الخضير ، الصقر ، الهدهد ، وارية الليل، وارية النهار ، البلسنير ، الضريس،الأطروش الشامي ، البصبص، الأخضر ، أم السمان ، أم المرتحة ، صدر النحاس ، أبو سار ، أبو كلب ، ديك الـكروم ، القرافير . القطاس ، الأوز ، البط ، البعصص ، الأزرق ، رقشة حمراء ، رقشة زرقاء ، الزرزور ، الخفاش ، الزاغ ، الغراب ، الأبقع ، كسر اللوز ، كسر الجوز ، الدبس ، الغابة ، الصقر ، الفحمي ، الحـدأة ، الحملة ، السلسلة ، البوم ، الواق ، الهام ، الباشق ، الشاهين، السمان ، المرعـــة ، السلوى، الملوح ، البرير ، الرخمة ، الليش ، البرندى ، الزجاجي ، أبو فيروز ، القرط ، البون ، الشراشـــير ، اللفات ، البشروش ، البط البري ، البلجون ، أبو قلمون ، الـكروان البحري ، الـكروان الجرفي ، القرلا ، الحروطة ، الحصفة ، الحمراء ، البوشة ، اورث ، المطون، السهكة البيضاء ، فارية ، جوحه ، بليقا ، اربوحية ، بطميس ، تيلاوه ، سكسة ، المجنونة ، الرقادة، السقس، قرد مصر ، الوطواط ، النحع ، الـكركي ، العريض ، الخطاف ، الخرطوم .

ومن العصافير التي تمير أهلها وتحمل عنهم ما يصيد بقضبان الدبق . وعدة المراكب التي تصاد بها الطيور وتعيش من كسبها مائة وثلاثة عشر مركبا. وعدة ما يرد من القوارب والـكائم والعشاريات الصادرة من تواصل الشام إليها في كل سنة خمسمائة تقارب أكثرها ترد في الصليبية والربيعية .

ويرد [1] من اقليم مصر والصعيد والاسكندرية وأقصى الريف ما لا يضبط عدده لكثرته ، ترد بأنواع الخيرات من الفواكه وغيرها .

وبتنيس مصنعتان عظيمتان [2] تنسبان إلى عمر بن حفص ، مكشوفتا [3] السقوف ، والغربي منها أحد وعشرون بيتا ، والشرقي ثمانية عشر بيتا . ومصنع مسقف وسط المدينة بناه عبدالعزيز الجروي ينقل إليه الماء على دولاب يشتمل عليه ستون قادوسا مدة شهرين كاملين بلياليهما ، يسع كل قادوس في تفريغه في يوم وليلة ألف جرة ، ملء كل جرة أقساط من ماء ، فيكون هذا المصنع ثلاثة آلاف ألف ألف جرة ، وستمائة جرة .

ولكاتب هذا [4] مصنع آخر دون هذا .

ولابن طولون ثلاثة مصانع ، أحدها بالقرب من السوق والآخر في زيادة الجامع .

والذي يحتاج اليه أهل تنيس من القوت في كل سنة من الحنطة والشعير والقطاني مائتا ألف أردب . ووجدنا البيدار الفارسي يطحن في كل يوم وليلة ستة أرادب وكل أردب ستة وتسعون قدحا وإذا ضربت هذه الأقداح في جميع ما يطحن من الأرادب والويبات ، وأعطى لكل إنسان قدح واحد [5] لقوت يومه كان شحنة البلد خمسين ألفا ، وقد يزيد على ذلك زيادة تقل وتكثر مع اختلاف السنين لأن الحاكة يصلحون من الخبز الجريش المجفف في الشمس مايدخرونه للشتاء وقصر النهار فيستغنون عن طحنه .

ولا يوجد في حيرها ولا برها ولا في أرضها ولا في بنائها شيء من الحيوان المهلك والدبيب المؤذي .

وطالع تأسيس هذه المدينة برج الحوت وصاحبه المشتري السعد الأعظم ، وصاحب الشرق الزهرة ، ولذلك كثر طرب نفوس أهلها وفرحهم ، ورغبتهم في مداومات اللذات ،

---

(١) الأصل : ومن يرد .
(٢) الاصل : « مصنعتين عظيمتين »
(٣) الأصل . مكشوفي .
(٤) هذه إشارة لها أهميتها لأنها تؤكد أن المؤلف من أبناء مدينة تنيس .
(٥) الاصل : قدحا واحدا .

واستماع الأغاني ومواصلة المسرات ، (ورقة ٧٤) والرغبـــة في الراحة، واطراح مايوجب التعب والمشقة ، والحب للنقش والصورة والرقم والتـلوين بالأصباغ ، وعلى قـلة الضجر في السفر ، وترك المخالفة لمن يصاحبون ، وكثرة المبالغة لمن يألفون ، وحسن المؤازرة لمن يستخـدمهم ، ومحبتهم للغرباء والمسافرين ، والمواظـبة على مسرتهم وسرورهم ومنفعتهم ، وتركهم للحسد لمن يحسونه والعتب على زلته ، ويمدحونه ويفضلونه ، ويلومون أنفسهم في التقصير عن اخائه وما يستحقه والقيام بذلك .

وطول البحيرة أربعون ميلا بما تدور ، مجاريها كلهـا قريبة إلا مجرى يُسْـتُمانَة فإنه غريق سحيق نحو الثلاثين باعا . وأكثر عمق البحيرة كلها قامة لا تجاوزها إلا هذا الموضع .

وبنت هذه المدينة تِنِّيس بنت صاين تدارس أحد ملوك القبط . وكانت البحيرة آجنة وخليج يخترقها من ماء النيل من ضياع عامرة وزروع متوافرة إلى أن غلب عليها البحر الملح وقد تزايد وهاج فهجم من فم الأشتوم على أراضيها وعمائرها فغرقت ، فما كان من أرضها مستغلا هلك وعلاه البحر ، وما كان على كوم مثل تنيس وتونة وغيرهما مما هو باق لم يعله الماء وبقي على حالته .

وكان ذلك الغرق قبل الإسلام بمائة سنة . وقد ذكر المسعودي في كتابه « مروج الذهب » بنمذ البحار الى القفار ، وقد شاهدنا في عصرنا من ذلك مادَلّ على صحة قوله ، وما استبحر في طريق الجفار من مواضع كانت قفرا فصارت بحراً ، وذلك تقدير العزيز العليم .

وزعم أهل الأثر أن بحيرة تنيس التي قال الله تعالى فيها : « فأصبَحَ يُقلِّب كفَّيه على ما أنفق فيها وهي خاوِيةٌ على عُروشِها » الآية . وذلك أنها كانت ساتين ومتنزهـات مقسومة بين اثـنين أخوين مؤمنٍ وكافر ، فأنفق المؤمنُ من مـاله في البرِّ والصدقات ، وبقي الـكافر مليّاً غنياً . فخاطبه المؤمنُ يوماً من الأيام ، فاستطال عليه وسطا ، وقال : « أنا أكْثَرُ منكَ مالاً وأعَزُّ نفَراً » . وكان مصب النيل إلى البحر بين ضياعها فارتجَّ البحرُ في الليل رَجَّـةً دخلت أمواجه من الأشتوم فغرق كل مستغلها وأرضها ، وما كان منها عاليا على ظهر كوم أو رحم من الأرض بقي ، وذلك قبل الإسلام بثلاثمائة وخمسين عاماً .

جمال الدين الشيال

التراث الجغرافي اللغوي عند العرب

الدكتور حسين نصار

كان الشاعر العربي القديم ابن بيئته البار، أقام فيها فأحبّها وأذابها في وجدانه. وانتقل عنها فلم ينسها، ودأب على ذكرها والوقوف والاستيقاف عليها كلما مرّ بها. واتخذ منها ملهماً لأفكاره، ومنبعاً لصوره، وموضوعاً لوصفه. وتغنى بها – على قسوتها عليه أحياناً – مردد أسماء البقاع التي شاهدت فترات من حياته، متتبعاً مستقصياً، كما فعل الحارث بن حلزة، حين قال في معلقته:

آذنتنا ببينها أسماء ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواء

بعد عهدٍ لنا ببرقة شمّا ... ء فأدنى ديارها الخلصاء

فالمحياة فالصِّفاح فأعلى ... ذي فتاقٍ فعاذبٌ فالوفاء

فرياض القطا فأودية الشُّر ... بُب فالشعبتان فالأبلاء

لا أرى من عهدت فيها فأبكي ... اليومَ دلها وما يردُّ البكاء!

وكان ذلك الشاعر مخلصاً لبيئته، يحب أن يعود إلى صورتها الكاملة بجميع أبعادها وأن ينقلها إلى من يتغنى لهم ومعهم بتلك الأبعاد، فلم يضن عليهم بشيء يزيد صورتها تحديداً وكمالا. فعمد زهير إلى رسم الطريق الذي سلكته محبوبته في رحلتها في وادي

السوبان ، والجانب الذي مالت إليه منه ، إذ قال في معلقته :

ظهرن من السُّوبان ثم جَزعْنه   على كل قَيْنيٍّ قشيب ومفأم

ووركن في السوبان يعلون متنه   عليهن دلُّ الناعم المتنعِّم

وعمد امرؤ القيس إلى الموضع الذي يريد التحدث عنه ، فشفى كل نفس من تحديده حين قال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة ، لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل

وعُرف امرؤ القيس خاصة بميله الى تحديد مواقع البقاع التي يتحدث عنها ، وقدرته على ذلك ، حتى رويت في ذلك القصص التي ـ صحت أو لم تصح ـ لا تفقد دلالتها على اشتهار ذلك الجانب عند الشاعر .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه أقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ فضلّوا الطريق . ومكثوا ثلاثة أيام لا يجدون الماء . وجعل الرجل منهم يستروي بفيء السَّمُر والطَّلح حتى أيسوا من الحياة ، إذ أقبل راكب على بعير له ، فأنشد بعضهم :

ولما رأت أن الشريعة همُّها   وأن البياض من فرائصها دامي

تيمَّمت العين التي عند ضارج   يفيء عليها الظل ، عرمضُها طامي

فقال لهم الراكب ـ وقد علم ما هم عليه من الجهد ـ : « من يقول هـذا ؟ » قالوا : « امرؤ القيس » . قال : « والله ، ما كذب ، هذا ضارج عندكم » . وأشار إليه . فاذا ماء عذب وعليه العرمض ـ الطحلب الذي على الماء ـ والظل يفيء عليه فشربوا منه ريهم ، وحملوا منه ما كفاهم [1] .

واتخذ لَيَل [2] Lyall من هـذه الظاهرة دليلا على صحة الشعر الجاهلي وصحة نسبته إلى قائليه .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٤٦٠ .

(٢) مقدمة طبعته لديوان عبيد بن الأبرص ١٣ .

وظهر اللغويون الذين عنوا بالشعر رواية ودراية ، وحاولوا تفسير جميع جوانب ذلك الشعر ليتضح أمام القراء الجدد الذين ماكانوا يعرفون مناسباته ، ولا كثيراً من ألفاظه وإشاراته ، لطول العهد بينهم وبين قائليه ، وللبعد بينهم وبين اللغة التي نظم بها .

فكان من الجوانب التي عنوا بها البقاع المذكورة في الشعر ، فعاملوا أسماءها معاملتهم لغيرها من الألفاظ ، وبالطريقة التي عاملوه بهـــا ، وفي ذلك الوقت المبكر الذي عنى اللغويون فيه بألفاظ الشعر .

وكان ذلك أمراً لغوياً ، يقوم به لغويون ، بهدف لغوي ، ومنهج لغوي . ولا يحس القائمون به أنهم يعالجون شيئاً بعيداً عن اللغة .

ولـكن ذلك الميدان لم يبق طويلا خالياً للغويين وحـــدهم ، بل ما أسرع ما وجدوا معهم جماعات تعالج تلك الأماكن ، وغيرها من البقاع التي لم يسمع عنها اللغويون ، معالجة مختلفة اختلافاً كبيراً في الهدف والمنهج فما كانوا يعنون بدراسة اللغة العربية ، بل كان بعضهم يعنى بدراسة الأخبار والأحداث العربية ويسمون أنفسهم الأخباريين والمؤرخين . وكان بعضهم الآخر يدرسون البقاع العربية وغيرها من البقاع من أجل التعريف بها ، ويسمون أنفسهم الجغرافيين . وأصحاب المسالك والممالك ، أو تقويم البلدان .

وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى المغايرة بين اللغويين والجماعة الأخيرة خاصة ، لأن المؤرخين عنوا بالمواضع كمقدمات لدراساتهم التاريخية . فلم تسلط الأضواء إلا على اللغويين والجغرافيين ، الذين اعتمد عليهم ياقوت في معجم بلدانه العظيم ، ونبّه في مقدمته إلى الفروق بين الفريقين حين قال[1] : « صنف المتقدمون في أسماء الأماكن كتباً وبهم اقتدينا وهي صنفان : منها ما قُصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونة المشهورة ، ومنها ما قُصد به ذكر البوادي والقفار ، واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار . فأما من قصد ذكر العمران فجماعة وافرة ، منهم من القدماء والفلاسفة والحكماء أفلاطن وفيثاغورس وبطليموس وغيرهم كثير من هـــذه الطبقة ، وسموا كتبهم في ذلك

(١) معجم البلدان ١/٦ .

جغرافيا ... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التي ذكرت فيها ، وأبهم علينا أمرها ، وعُدمت لتطاول الزمان فلا تعرف ، وطبقة أخرى إسلاميون سلكوا قريباً من طريقة أولئك من ذكر البلاد والممالك ، وعيّنوا مسافة الطرق والمسالك ، وهم ابن خرداذبه وأحمد بن واضح والجيهاني وابن الفقيه ... وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب ، وهم أبو سعيد الأصمعي ، وأبو عبيد السكوني ، والحسن بن أحمد الهمداني ... وأبو الأشعث الكندي... وأبو سعيد السيرافي.. وأبو محمد الأسود الغندجاني ... » .

وحديثي في هذا المقال قاصر على الذين سماهم ياقوت طبقة أهل الأدب ، أو الذين عالجوا أسماء الأماكن معالجة لغوية أدبية .

وأقدم من أعرف من هذه الطائفة خلف الأحمر ، المتوفى في حدود سنة ١٨٠ هـ . فقد قيل إنه ألف كتاباً بعنوان «جبال العرب وما قيل فيها من الشعر [١] » . وينافسه في القدم أبو الوزير عمر بن مطرف ، المتوفى في عهد الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣ [٢]. فقد نسب اليه كتاب « منازل العرب وحدودها ، وأين كانت محلة كل قوم ، والى أين انتقل منها [٣] » . والكتابان مفقودان ، ولم أعثر فيما رجعت إليه من كتب على نصوص يصرح أنها مقتبسة عنها .

وينسب إلى أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي ، المتوفى في سنة ٢٠٤ ، عدة كتب من هذا النوع . ذكر ابن النديم[٤] منها البلدان الكبير ، والبلدان الصغير ، وقسمة الأرضين ، والأنهار ، ومنازل اليمن ، وأسواق العرب ، والأقاليم ، والحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين ، وتسمية ما في شعر امرىء القيس من أسماء الرجال والنساء وأنسابهم وأسماء الأرضين والجبال والمياه .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٥٠ . القفطي . إنباه الرواة ١/ ٣٥٠ . السيوطي : بغية الوعاة ٢٤٢.
(٢) وقيل إنه مات في عهد المهدي ١٥٨ ـ ١٦٩ هـ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ١٢٧ . ياقوت : معجم الادباء ٧٢/١٦ .
(٤) الفهرست ٩٧ . وعنه ياقوت : معجم الأدباء ٢٩١/١٩ .

وذكر ياقوت [١] في قائمة المراجع التي اعتمد عليها في تأليف معجم البلدان ، أنه وقف لابن الكلبي على كتاب يدعى « اشتقاق البلدان » . وقد أكثر ياقوت في معجمه ، وفي كتابه المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بل أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم أيضاً ، من النقل الصريح عن ابن الكلبي . وأعلن الرجلان في بعض المواضع أسماء الكتب التي ينقلان عنها ، فلم يرد أي كتاب من الكتب السابقة من بينها . ولكن ورد اسم كتاب آخر لابن الكلبي ، يدعى « أنساب البلدان » ، في مواضع قليلة [٢] . وأظن أن هذا الكتاب هو الاشتقاق ، كما رجح كراتشكوفسكي [٣] .

وتدل النصوص التي اقتطفها ياقوت من الأنساب أن ابن الكلبي حاول فيه أن يعلل أسماء الأماكن ويفسرها ، بإيراد بعض القصص الحقيقية والخرافية التي تروى في صدد ذلك ، وأنه لم يقصر جهده على الأماكن العربية بل تعداها إلى الفارسية . وأمثال هذه النصوص التي تذهب هذا المذهب ، ورواها ياقوت عن ابن الكلبي ـ دون أن يبين عنوان الكتاب الذي استقاها منه ـ كثير ، وفي حلدي أنها جميعاً مأخوذة من أنساب البلدان .

وأمثل لهذه النصوص بقوله [٤] في تفسير اسم حُرَش : « قرأت بخط جُحْجَح النحوي ، في كتاب أنساب البلدان لابن الكلبي : أخبرنا أحمد بن أبي سهل الحلواني ، عن أبي أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي ، عن أبي السري ، عن أبي المنذر قال : حرش : قبائل من أفناء الناس تحرشوا . وكان الذي حرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم خرج بثور له عليه حملُ شعير ، في يوم شديد الحرّ . فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه . فحلف لئن ظفر به ليذبحنّه ثم ليجرشنّ الشعير وليدعونّ على لحمه . فأدركه بذات القصص عند قلعة حرش وكل من أعانه وأكل معه يومئذ كان جرشياً .. » .

(١) معجم البلدان ١/ ٧ .

(٢) معجم البلدان ٢/ ٦ ، ٨٧٦ ، ٤/ ٤٤١ وصرح باسم جحجح الذي كان ينقل من نسخته للكتاب في ٣/ ٩١٤ ، ٤/ ٥٧٢ .

(٣) ١٢٧ .

(٤) معجم البلدان ٢/ ٦٠ .

وألف أبو عبيدة، المتوفى في ٢٠٨ هـ، كتاب الحرّات [١] ولم يورد البكري ولا ياقوت شيئاً منه في حديثهما عن الحرات.

وألف أبو زيد الأنصاري، المتوفى في ٢١٥ هـ، كتاب المياه [٢]. ولم أجد نصوصاً يصرح أنها مقتبسة منه. وغير بعيد أن يكون النص التالي مأخوذاً منه. قال ياقوت [٣]: « قال أبو زيد: تخرج من الحمى - حمي ضرية - فتسير ثلاثة ليال مستقبلا مهب الجنوب من خارج الحمى، ثم ترد مياه الضباب، فمن مياههم الأرطاة ».

وألف الأصمعي، المتوفى في ٢١٦، كتب مياه العرب، وجزيرة العرب، والدارات [٤] ولم يصرح ياقوت باسم الأول منها في مقتبساته، غير أنه أكثر من النقل من الثاني. وتدل هذه المقتبسات على أن الأصمعي رتب الكتاب وفقاً للأقاليم والقبائل، فكان يذكر بقاع إقليم إقليم، أو قبيلة قبيلة، مثل مياه نجد، ونواحي الطائف، ومنازل قيس بنجد، وديار الحجار، وغيرها. وتدل أيضاً على أنه كان يحدد الأماكن بما جاورها، أو بإقليمها ومن يسكنها، وكان في بعضها يصل الى تحديد جد دقيق. وكان عماده في أقواله على الشعر.

نمثل لذلك بقوله [٥]: « لبني نصر بن معاوية بجانب ركبة بقعاء بين الحجاز وبين ركبة، وهي من أرض ركبة »، ولعنايته بالشعر بقول ياقوت [٦]: « أنشد الأصمعي في كتاب جزيرة العرب لرجل من طيء، يقال له الخليل بن قردة - وكان له ابن واسمه زافر، وكان قد مات بالشام في مدينة دمشق - فقال:

ولا آب ركبٌ من دمشق وأهله ... ولا حمص إذ لم يـأت في الركب زافر
ولا من شبيث والأحص ومنتهى الـ ... ـمطايا بقنّسرين أو بخناصر »

ويعد كتاب الدارات للأصمعي أقدم كتاب وصل الينا من هذه المجموعة. وقد

---

(١) ابن النديم: الفهرست ٥٤.
(٢) ابن النديم: الفهرست ٥٥.
(٣) معجم البلدان ٢٠٩/١.
(٤) » » » ٥٥.
(٥) » » ٢٠١/١.
(٦) معجم البلدان ١٥٢/١.

نشره الآباء اليسوعيون في كتاب « البلغة في أصول اللغة » . واستهل الأصمعي كتابه الصغير باحصاء الدارات في بلاد العرب ، فكانت عنده ٩٦ دارة . ثم عرّف الدارة ، وأورد صيغ جموعها . ثم أخذ يسرد أسماءها دون ترتيب ويتحدث عن كل منها . ودأب في حديثه هذا على أن يورد الاسم ثم بيتاً أو بيتين من الشعر شاهدين عليه . ولم يبذل أية محاولة لتحديد مواقعها . أما شواهده الشعرية فنسب بعضها إلى قائله ، وأهمل ذلك في غالبها .

قال في مفتتحه : « دارات العرب المعروفة في بلدانهم وأشعارهم ست عشرة دارة . والدارة : ما اتسع من الأرض وأحاطت بـه الجبال غلظ أو سـهل . يقال : دار ، ودارة وأدؤر ، ودارات . فمن ذلك دارة وشجى ، وأنشد :

ولستُ بناسٍ موقفاً إن وقفته　　　بدارة وشجى ما عَمِرتُ سليما

ودارة جُلْجُل ، قال امرؤ القيس :

ألا رُبَّ يومٍ لك منهن صالحٍ　　　ولا سيما يومٍ بدارة جلجلِ

ودارة رفرف ، وأنشد :

فقلت : عِدي . قالت: إذا الليل جَنَّا　　　فموعدنا أقوازُ دارة رفرف »

وألف محمد بن خالد البرقي - من أصحاب محمد بن علي الجواد المتوفى في ٢٢٠ هـ - كتاب البلدان [١] . ولم يشر اليه ياقوت ولا البكري .

وألف أبو عثمان سعدان بن المبارك (المتوفى في ٢٢٠ هـ) ، كتاب الأرضين والمياه والجبال والبحار [٢] . ورأى ابن النديم قطعة منه بخط ابن الكوفي [٣] . ولكن ياقوتاً والبكري لم يذكراه .

وألف الحسن بن محبوب السراد (المتوفى في ٢٢٤ هـ) كتابي الأرضين ، والبلدان [٤] . ولم يذكرهما ياقوت والبكري .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٢٢١ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ٧١ . ابن الانباري : نزهة الألباء ١٠٣ . السيوطي : البغية ٢٥٤ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ٧١ .　　(٤) ابن النديم : الفهرست ٢٢١ .

ونسب ابن النديم [1] إلى أبي الحسن علي بن محمد المدائني ، المؤرخ المشهور (المتوفى في ٢٢٥ هـ) كتاباً عن حمى المدينة وجبالها وأوديتها . ولكن كل ما نقله ياقوت عن المدائني مواد تاريخية ، ما عدا ثلاثة نصوص ، تحدث في أحدها عن حد تهامة [2] ، وفي ثانيها عن حدّ العراق [3] ، وفي ثالثها عن وادي قناة [4] . وربما أخذ هذه النصوص الثلاث من بعض كتبه التاريخية الكثيرة ، وربما أخذ النص الثالث وحده من الكتاب المذكور.

وألف الجاحظ (المتوفى في ٢٥٥ هـ) كتاباً اختلفت المراجع في عنوانه . فسماه ابن حوقل [5] وياقوت [6] « البلدان » ، والثعالبي [7] « خصائص البلدان » ، والمسعودي [8] « الأمصار وعجائب البلدان » وحاجي خليفة والثعالبي في موضع آخر من كتابه : [9] « الأمصار » . وتحمل قطعة منه ، محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ١١٢٩ ، عنوان « الأوطان والبلدان [10] » .

وذكر المسعودي [11] أن الجاحظ ادعى في هذا الكتاب أن منبع نهري مهران بالسند والنيل بمصر واحد ، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما ، وكون التماسيح فيهما ، وأن طرق الزراعة في البلدين واحدة ، ثم رد عليه .

ونقل ياقوت [12] منه نصاً يدل على أن الجاحظ تناول فيه بعض الآثار الجميلة ، ذات الشهرة الكبيرة ، بالوصف . قال ياقوت : « حكى الجاحظ في كتاب البلدان قال : قال بعض السلف : ما يجوز أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرونه من

(١) الفهرست ١٠٣ . (٢) ١/٩٠٢ . (٣) ٣/٦٣٠ .
(٤) ياقوت : معجم البلدان ٤/١٨٢ . السمهودي : وفاء الوفا ٢/٢١٥ .
(٥) صورة الأرض ٣٢٢ . (٦) معجم البلدان ٢/٥٩٣ .
(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٣٨ .
(٨) التنبيه والاشراف ٥٥ . ومروج الذهب ١/٩٩
(٩) كشف الظنون ٢/١٣٩٨ . ثمار القلوب ٤١١ .
(١٠) Rieu, Supplément, No 1129.
(١١) التنبيه ٥٥ ، ومروج الذهب ١/٩٩ (١٢) معجم البلدان ٢/٥٩٣ .

حسن مسجدهم . وهو مبني على الأعمدة الرخام طبقتين ، طبقة التحتانية أعمدة كبار ، والتي فوقها صغار ، في خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا بالفسيفساء الذهب والأخضر والأصفر . وفي قبليه القبة المعروفة بقبة النسر ، ليس في دمشق شيء أعلى ولا أبهى منظراً منها . ولها ثلاث منائر : إحداها ـ وهي الكبرى ـ كانت ديدبانا للروم ، وأقرّت على ما كانت عليه ، وصيرت منارة » .

وتبين النصوص المنسوبة إلى الجاحظ ـ وإن لم يصرح باسم الكتاب المأخوذة منه ـ أنه كان يرصد الظواهر الطبيعية والبشرية ، ويعدها من فضائل البلدان التي تقع بها أو من عيوبها ، أي من خصائصها . فقد نقل عنه ياقوت [1] ما يتعلق بالمد والجزر وتغير الطقس في البصرة ، وكراهية المطر في مصر ؛ والمقدسي [2] ما يتعلق بخصائص بغداد والكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها . وتبين أيضاً أنه لم يقتصر على الأقاليم العربية ، بل تناول غيرها أيضاً مثل الري ونيسابور ومرو وبلخ وسمرقند وغيرها [3] .

وأثنى كثيرون على كتاب الجاحظ ، قال ابن حوقل [4] : « كتاب نفيس » . واتهم المقدسي [5] ابن الفقيه بسرقة كتاب الجاحظ ، على الرغم من سوء رأيه فيه إذ قال [6] : « وأما الجاحظ وابن خرداذبه ، فإن كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة » . كذلك عابه البيروني ووسم صاحبه بالبساطة والسطحية .

وذكر ياقوت في معجم الأدباء أن شمر بن حمدويه الهروي (المتوفى ٢٥٥ هـ) ألف كتاب الجبال والأودية [7] ، ولكنه لم يذكره في مقدمة معجم البلدان . وبالرغم من ذلك عزا إليه ، هو وأبو عبيد البكري ، كثيراً من الأقوال . وكلها ـ على وجه التقريب ـ تفسيرات لغوية واشتقاقية . فلا أدري يقيناً : هل أخذاها من هذا الكتاب أو غيره ؟

---

(١) معجم البلدان ١/٦٤٧ ، ٦٥١ ، ٤/٥٥٢
(٢) أحسن التقاسيم ٣٣ .
(٣) نفس الموضع
(٤) صورة الأرض ٣٢٢ .
(٥) أحسن التقاسيم ٢٤١ .
(٦) أحسن التقاسيم ٤ .
(٧) ١١/٢٧٥

وربما كان الاستثناء الوحيد من الحكم السابق ما نقله ياقوت عنه [1] : « عُناب : جبل في طريق مكة . قال المرار :

جعلن يمينهن رعان حبسٍ   وأعرض عن شمائلها العُناب »

وبالرغم من ذلك لا أستطيع أن أؤكد أنه من كتابه المذكور .

ونسب ياقوت في معجم الأدباء إلى أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، نديم المتوكل ، المتوفى نحو ٢٥٥ هـ ، كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية [2] . ولا ذكر له في معجم البلدان ولا معجم البكري .

وفي عهد المتوكل أيضاً ، كان يعيش محمد بن إدريس بن أبي حفصة ، الذي وقف ياقوت [3] على كتاب له سماه « مناهل العرب » ، كما تدل المقتبسات على أنه عاد إلى كتابه الآخر اليمامة . ولا يفرق ياقوت بين ما يقتبسه من كل من الكتابين ، ولكننا قد نطمئن إلى أن كل ما يتصل باليمامة من الكتاب الثاني ، وما عداه يحتمل أن يكون من الكتاب الأول . فاذا كان الأمر كذلك ، نستطيع أن نقول إن المؤلف وصف في كتابه الأول المواقع على الطريق بين البصرة ومكة [4] ، وحجر والبصرة [5] ، وربما الطريق بين اليمامة ومكة [6] ، ووصف كثيراً من الأماكن بالبحرين ، ونجد ، وهجر [7] .

قال ياقوت [8] : « قال الحفصي . إذا خرجت من البصرة تريد مكة ، فتأخذ بطن فلج ، فأول ماء ترد الحفير . قال بعضهم :

ولقد ذهبت مراغماً   أرجو السلامة بالحُفيرِ
فرجعت منه سالماً   ومع السلامة كل خير »

وتحدث في كتاب اليمامة عن القرى ، والمياه ، والجبال ، والوديان ، والرياض ، والأماكن . بل عدّه ياقوت أحسن من كتب عن اليمامة ، فجعله مصدره الرئيس فيها .

---

(١) ٣/٧٢٢ .   (٢) ٢/٢٠٤ .   (٣) معجم البلدان ١/٧ .
(٤) ٢/٢٩٧ ، ٣٤٧ .   (٥) ٨٥٦ .   (٦) ٣/ ٣٥ .
(٧) ١/٩٤١ ، ٢/٣٥٤ ، ٣ ٨٨٦ ، ٤/٨٩٤ .   (٨) ٢/٢٩٧ .

ولعله نقل الكتاب برمته في معجمه . قال ياقوت [1] : « قال محمد بن إدريس بن أبي حفصة : أثيفية : قرية وأكيات ، وإنما شبهت بأثافي القدر ، لانها ثلاث أكيات . وبها كان جرير . وبها له مال . وبها منزل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ... » .

وقال ياقوت في حديثه عن الأجرعين [2] : « علم لموضع باليمامة ، عن محمد بن إدريس ابن أبي حفصة ، هكذا حكاه مبتدئاً به » . ولعل هذا القول يعني أن الحفصي بدأ كتابه بالأجرعين . وربما كان لنا الحق أن نستنبط أنه رتب مواضعه على الألفباء ، ولكنه في الحرف الأول وحده ، لأنه قدّم الأجرعين على أثيفية . ولكن بعض أقوال ياقوت الأخرى تجعلنا نعتقد أن الكتاب لم يكن مرتباً على الألفباء . قال [3] : « قال الحفصي : ذو سدير قرية لبني العنبر » . وقال في موضع آخر من كتابه : « بظاهر السّخال واد يقال له : « ذو سدير » . وربما لم يكن ذلك النص صريح الدلالة على عدم الترتيب ، لأنه من الجائز أن يكون أورد « ذو سدير » الثانية عرضاً ، في أثناء حديثه عن السخال . ولكن ياقوتاً قال أيضاً [4] : « ذكر الحفصي مسافة ما بين اليمامة والدهناء ثم قال : وأول جبل بالدهناء يقال له الوحيد ، وهو ماء من مياه بني عقيل يقارب بلاد بني الحارث بن كعب » ، مما قد نستنبط منه أنه راعى التسلسل الجغرافي .

وكان الحفصي يذكر إقليم المكان الذي يتحدث عنه أو يحدد أبعاده عما جاوره من بقاع مشهورة ، أو يصرح بالقبائل التي تسكنه ، أو أكثر من أمر من هذه الأمور . ولكنه في كتاب اليمامة اقتصر في كثير من البقاع على أنها من اليمامة ، ولم يحاول لها تحديداً.

ومن الطبيعي أن يضطر الزبير بن بكار المتوفى في ٢٥٦ هـ ، في كتبه التاريخية المتعددة الى التعرض للأماكن الواردة في تضاعيف أخباره . ولكن ابن الفقيه الهمداني قال [5] : « وفي العقيق وقصوره وأوديتـــه وحراره أخبار كثيرة ، وللزبير بن بكار فيه كتاب

(١) ١٠١/١ . (٢) ١٣٤/١ . (٣) ٦٩/٣ .

(٤) ٩٠٨/٤ . وانظر ٨٧٢/٣ . (٥) البلدان ٢٦ .

مفرد » . وأكد ذلك ياقوت في معجم البلدان [١] والسمهودي في وفاء الوفا [٢] .

وتدل النصوص التى نقلها ياقوت ، والبكري ، والسمهودي ، من هذا الكتاب ، أن المؤلف تناول فيه أودية العقيق ، وغدرانه ، وسيوله ، وما اليها ؛ وأكثر فيه من الأخبار والأشعار. قال ياقوت [٣] : « ذكر الزبير في كتاب العقيق بالمدينة : هو مَرَخ وذو مرخ وأنشد لأبي وجزة يقول :

واحتلّت الجوّ فالأجراع من مرخ فالها من مُلاحاة ولا طلب »

وراعى في الأماكن التى ذكرها تسلسلها الجغرافي . قال السمهودي [٤] : « قال [الزبير] : وأعلى غُدر مسيلات العقيق التى في درج الوادي مما يلي الحرة موكلان ، من أعلى ذي العش . ثم غدير سليم . ثم ذو التحاميم . ثم الأعوج . ثم غدير الجبال . ثم يماحم. ثم غدير الذباب . ثم غدير الحير ... » . ولكننا يجب ألا نستنتج من هذه النصوص وأمثالها عند السمهودي أن الزبير كان يدون قوائم مجردة بهذه البقاع ، فقد أثبت الدكتور صالح أحمد العلي [٥] أن السمهودي كان يلخص نقوله ، بحذف ما فيها من أشعار .

ونسب ابن النديم [٦] الى أحمد بن محمد البرقي ، المتوفى في ٢٧٤ هـ ، كتاب البلدان ، وصرّح أنه كان أكبر من كتاب أبيه السالف الذكر . وبالرغم أن ياقوتاً ترجم له في معجمي الأدباء [٧] والبلدان [٨] لم يذكر هذا الكتاب ، ولا رجع اليه هو أو البكري .

وألف أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، المتوفى في ٢٧٥ هـ ، كتاب المناهل والقرى [٩] ، الذي صرح ابن النديم أنه رآه بخطه [١٠] . والنقول التى يعزوها ياقوت الى السكرى كثيرة . ولكننا لا نستطيع أن ننسب شيئاً منها الى هذا الكتاب ، على وجه اليقين . بل صرح ياقوت نفسه بأسماء كتب أخرى للسكرى ، نقل منها ، مثل روايته

---

(١) ٢/٥٨٠ ، ٤/٤٩٢ ، ٦٧٣ ، ٧٨٠ . (٢) ٢/٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٩ .
(٣) ٤/٤٩٢ . (٤) ٢/٢١١ (٥) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ٢٠ .
(٦) ٢٢١ . (٧) ٤/١٣٢ . (٨) ١/٥٧٥ .
(٩) القفطي : انباه الرواة ١/٢٩٢ السيوطي : البغية ٢١٩ (١٠) ٧٨ .

شعر جرير [1] . أما كتاب المناهل والقرى فلم يذكره لا في الكتاب ولا في المقدمة . وأكثر ما نقله ياقوت أسماء أماكن أوردها في صدد شرحه للشعر ، وأكثرها من بقاع شبه الجزيرة العربية ، ولكن قليلا منها في مصر [2] .

وألف عرّام بن الأصبغ السُّلمي المتوفى نحو ٢٧٥ هـ كتاب « أسماء جبال تهامة ، وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه [3] » . ووصلت الينا نسخة منه ، من رواية أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، عن أبي محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري ، عن ابن أبي سعد الوراق ، عن أبي الأشعث عبدالرحمن ابن محمد ، عن المؤلف . وقام بتحقيقها وطبعها الأستاذ عبد السلام محمد هارون . وعليها أعتمد في الوصف . وكان بين يدي أبي عبيد البكري نسخة أخرى ، من رواية أبي عبيدالله عمرو بن بشر الكسوني ، عن أبي الأشعث ، عن عرام ، أتكلم عنها بعد .

ينقسم الكتاب الى قسمين ، يشغل أولهما نحو ثلثيه ، والثاني الثلث الباقي . ويعالج المؤلف في القسم الأول تهامة . ويبدؤها بتحديد ما رأى أنه الحد الشمالي لها ، وهو جبل رضوى . قال [4] : « أولها (رضوي) من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنةً طريق المدينة ، ومياسرةً طريق البرواء لمن كان مصعداً الى مكة ، وعلى ليلتين من البحر ... » . وعندما ينتهي المؤلف من وصف منطقة رضوى ، يبدأ بالمدينة ثم يقوم بما يشبه الرحلة الى مكة . فاذا ما بلغها قفز الى منطقة الطائف .

وكان هدفه من هذه الرحلة وصف ما يقابله من جبال . ويتضح من الكتاب وعنوانه أنه كان في كل جبل يعني بتحديد موقعه ، ووصف شكله ونباته ، وحيوانه ، ومياهه ، ووديانه ، وقراه ومدنه ، وإبانة سكانه .

فكان يحدد الموقع بإبانة أبعاده عما حوله ، وموضعه من الطرق المارة به ، كما يبين من

(١) ٨٤٦/١ . وانظر ١١٧/١ ، ٢٦٧ ، ٥٨٨ (٢) ٢٦٩/١ .

(٣) نوادر المخطوطات ـ الجزء ٨ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ م .

(٤) ص ٣٩٦ .

النص السابقة ، ومن تكملته الآتيـة : « وبحذائها (عَزْوَر) وبينه وبين رضوى طريق المعرقة تختصره العرب الى الشام ، والى مكة ، والى المدينة ، بين الجبلين قدر شوط فرس وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرومها أحـد . نباتها الشوحط والقرظ والرَّنف ـ وهو شجر يشبه الضَّهياء » .

وكان يذكر قائمة بالنباتات التى تظهر في البقعة التى يتحدث عنها ، ويخشى ألا تعرف بعضها ، فيحاول تعريفها بذكر مرادفها ، أو شبيهها من النباتات ، أو بوصف شكلها ، ومنفعتها ، وثمرتهـا ، وطعمها ، ورائحتها . قال عن جبلي ثافل الاكبر والأصغر [1] : « نباتها العَـرعَر ، والقرظ والظَّيان ، والأيدع ، والبشام . وللظيان ساق غليظة . وهو شاكٌ ـ أي غليظ الشوك ـ ويحتطب . وله سنفة كسنفة المشرق. والسنفة ما تدلى من الثمر وخرج عن أغصانه . والمشرق ورقٌ يشبه الحندقوقا منتنة الريح . والأيدع : شجر يشبه الدُّلب ، إلا أن أغصانه أشدُّ تقاربا من أغصان الدُّلب ، لها وردة حمراء ليست تجد طيب الريح ، وليس لها ثمر ... » .

وكان في وصفه للمياه يبين قدرها ، ومنبعها ، وطعمها ، وفي الأودية يبين مصابَّها . قال [2] : « وفي ثافل الأكبر عدَّة آبار في بطن واد يقال له (يَرْثَد) . يقال للآبار (الدباب) . وهو ماء عذب كثير غير منزوف ، أناشيط قدر قامة قامة . وفي ثافل الأصغر ماءٌ في دوَّار في جوفه يقال له (القاحة) وهما بئران عذبتان غزيرتان » .

وكان في حديثه عن القرى والمدن يبين قدرها ، وسكانها ، ومياهها . وفي حديثه عن السكان يذكر القبائل التي تحل بالموصع ، وحالتها المالية ، وما تقوم به من أعمال [3] . قال: « ثم أسفلَ منها (مَهايع) وهي قرية كبيرة غنَّاء ، بها ناس كثير ، وبها منبر ، ووالي ساية من قِبَل صاحب المدينة ، وفيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب . وأصلها لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيها من أفناء الناس ، وتجار من كل بلد ثم خَيْف يقال له (خيف

(1) ٢٩٩ .   (2) ٤٠١ .   (3) ٤١٤ .

سلام) ... وفيه منبر وناس كثير من خزاعة . ومياهها قُفُرٌ أيضاً ، وباديتها قليلة ، وهي جُشَمُ وخزاعة وهذيل » .

وعالج المؤلف في القسم الثاني الحجاز ، وأراد أن يسير فيه على النهج الذي سار عليه في القسم السابق . ولكن المادة العلمية التي كانت لديه عنه قليلة ، ولذلك اضطر الى الإجمال والإخلال في حديثه ، فظهر البون واضحاً بين القسمين . قال [1] : « ثم (الطَّرف) لمن أمَّ المدينة ، يكنفه ثلاثة حبال : أحدها (ظَلِم) وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شيئاً ، و (حزم بني عوال) وهما جميعاً لغطفان . وفي عوال آبار منها (بئر الْيِة)اسم ألية الشاة ، و (بئر هرمة) و (بئر عمير) و (بئر السُّدرة) وليس بهؤلاء ماء ينتفع به » .

ثم ألف أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، المتوفى في ٢٨٢ هـ ، كتاب البلدان ، الذي وصفه ابن النديم والقفطي بالكبر [2] . وكل النقول التي عثرت عليها من كتابه الآخر ، كتاب النبات ، الذي يعد أعظم ما خلفه القدماء من الكتب التي تصف نباتاتهم .

وتقتني مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كتاباً ، منسوباً إلى أبي علي الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة ، معاصر الدينوري ، عالج فيه الأماكن العربية . وتقتني عدة مكتبات عامة وخاصة في بغداد نسخاً منه ، نُقلت عن المخطوط المدني ، غير أنها جميعاً لا تذكر عنوان الكتاب . ولما كان من ترجم للغدة لا يذكر له كتاباً من هذا النوع ، بقي عنوان الكتاب مجهولاً منا ، وإن حاول بعضهم أن يضع له من عنده عنواناً اعتماداً على مادته ، فسماه « صفة جزيرة العرب » أو « قبائل العرب ومياهها وجبالها [3] » .

واتخذ المؤلف من القبائل أساساً لبحثه ، فكان يتناول المياه والجبال التي تحل بها

(١) ٤٢٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٧٨ . القفطي ١/٤١ . ابن الانباري : النزهة ١٦٥ .

(٣) مكتبة الاوقاف ٦٢١٦ . وعليها أعتمد في الوصف والاشارة . ومكتبة المتحف العراقي ١١٠٠ ، ٢٢٧ ، وانظر للمقال القيم الذي نشره الاستاذ محمد رضا الشبيبي بعنوان : أقدم مخطوط وصل الينا عن بلاد العرب ، ص ٣٩ ـ ٤٠ من مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الجزء الاول من السنة الاولى ـ ايلول ١٩٥٠ .

بطون قبيلة ما ، إلى أن يفرغ منها ، فينتقل الى غيرها . فهذه مواضع بني عقيل ، فمواضع بني فهم وعدوان ، فبني أسد ، فبني غني الخ . قال [1] : « ومنزل بني ربيعة الجزيرة . ولبني عامر بن عقيل بن ربيعة الجوفاء ، وهي لمعاوية وعوف ابني ربيعة . وغُضَي لعامر بن ربيعة جميعاً ، ما خلا بني البكاء . ولهم بريم ، وهم شركاء جُشَم فيه . قال الراجز :

تذكّرتْ مشربها من تُصلبا ومن بريم قَصَبا مثقّبا

وتصلب لبني إنسان من بني جشم ... فهذه مياههم الأعداد التي يجتمع عليها ، ولهم مياه سوى هذه ربما نزحت . ولهم من الجبال : حَضن لجشم خاصة . والسود لهم أيضاً . ولهم هَوْ كَى ، والقسامة . قال الأصمعي : بسّ وبسيان ورهوة في أرض بني جشم ونصر ابني معاوية بن بكر بن هوازن » .

وعند ما ينتهي المؤلف من هذا السرد يصف ثلاثة طرق تخرج من حجر اليمامة ، أولها الى البصرة ، وثانيها الى الكوفة ، وثالثها إلى مكة . قال [2] : واذا خرجت من حجر تريد الكوفة ، فأول ماء ترده يقال له الحبل – وهو في ناحية القُفّ ، وهو ماء لراعية اليمامة ، وبينه وبين حجر نحو من خمسة فراسخ . ثم تخرج منه فترد القف ، وهي أرض خشنة ظاهرة ، حتى تأخذ بين بنبان والعرض ، تدع بنبان يميناً والعرض يساراً . ثم تمضي حتى ترد البالدية ، بالدية بني غُبَر ، وهي قرية بها نخيل ومزارع ، وبين البالدية وحجر ليلتان...» .

وفي أواخر الكتاب حديث عن المعادن المطمورة في باطن شبه الجزيرة العربية : نجدها وحجازها ، حيث ذكر الذهب والفضة والنحاس ، وغيرها . قال مثلاً [3] : « الكوكبة من وراء الغيصان ، على مسيرة يوم وليلة ، وهي على رأس جبل ، كان منقوباً فيه باب ، وإنما سميت الكوكبة لأن رجلاً مرّ فاذا هو بفضة شبه الكوكب . فحفروها فانشعبوا فيها حتى كان يدخل فيها نحو من مئة رجل من مدخل واحد فيذهب كل واحد منهم في معمل لا يراه صاحبه ، وهو ليُمير » .

(1) ٢ . (2) ٤٢ . (3) ٤٩ .

واعتمد المؤلف في مادة كتابه على سكان البقاع التي يتحدث عنها ، وخاصـــة العامري الذي أخذ منه قسطاً كبيراً من كتابه . ولذلك جاء وصفه دقيقاً محكماً ، وخاصة لمنطقة اليمامة .

ونقل السمهودي كثيراً من نصوصه عن كتاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأسدي[1]، من أهل القرن الثالث ، غير أنه لم يذكر اسمـه . وتبين هذه النصوص أن الكتاب كان عن المدينة ومنطقتها ، اهتم بالمساجد التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطرق التي تتفرع من المدينة الى مكة . والكوفة ، والبصرة . فسجل أبعادها بالأميـال ، والبرد ، وعني بالمياه والآبار والسكان .

قال السمهودي[2] : « قال الأسـدي في وصف طريق العراق : إنه [أي الطرف] على خمسة وعشرين ميلاً من المدينة ، وعلى عشرين ميلاً من بطن نخل . وذكر فيه آباراً وبركاً » .

ونسب ابن النديم[3] الى أبي الأشعث عريز بن الفضل الهذلي كتاب « صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما والاها » . وقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء عزيزاً ، وقال عنه[4]: « محدث معتمدي » أي أنه من الشعراء الذين اتصلوا بالخليفة المعتمد(٢٥٦ـ٢٧٩). ولكني لم أعثر عند البكري أو ياقوت على نقول معزوة اليه .

ولما طبع كتاب عرام بن الأصبغ السالف الذكر ، أثار كثيراً من المشاكل . فقـد نقل البكري منه كثيراً من النصوص ، رواية عن أبي عبيد السكوني ، عن أبي الأشعث عنه . ونقل ياقوت كثيراً منه عن أبي الأشعث . وتبين من مقارنة النقول والكتاب المطبوع أن أبا الأشـــعث عبد الرحمن بن محمد الكندي كان مجرد راوية أمين لكتاب عرام . اما أبو عبيد الله عمرو بن بشر السكوني فلم يكتف بالرواية . فكثير من النصوص التي نقلها البكري عنه غير موجودة في كتاب عرام المطبوع ، بل تختلف عن منهجه أيضاً . اذ يقيم علاجه للأماكن على وصف رحلات يقوم بها الإنسان من مدينة معروفة الى المنطقة التي يريدها ، ويصف كل ما يقابله في هذه الرحلة وكثيراً ما كان هذا الإنسان هو المصدِّق ،

(١) ٢/١٦٤ . (٢) ٢/٢٢٩ . (٣) ١١٤ . (٤) ١٢٣ .

أي آخذ الصدقات والزكاة من القبائل . وقد ذكر البكري عدة رحلات من هذا النوع .

فاستنتج من ذلك الأستاذ عبد السلام هارون أن « كتاب السكوني في جبال تهامة هو رواية حرة لكتاب عرام اعتمدت على التعليقات الكثيرة والإضافات الاستطرادية [١] » أو « أن السكوني جعل الكتاب أساسه في الرواية ، ولكنه زاد عليه كثيراً من التعليقات والاضافات ، شأن كثير من رواة الكتب الأقدمين [٢] » . ولكن الدكتور صالح أحمد علي درس هذه النصوص ، فتبين له أن كثيراً منها موجود في وفاء الوفا للسمهودي ، مروية عن أبي علي الهجري ، الذي لا يمكن الا أن يكون غير السكوني [٣] . وصار الأمر مشكلة تحتاج الى مواد جديدة ليتيسر الاهتداء الى وجه الصواب فيها .

ونسب ياقوت في مقدمة معجم البلدان [٤] كتاباً لأبي عبيد السكوني لم يصرح باسمه ، ونقل عنه في المعجم ٦٠ نصاً ، درسها الدكتور صالح أحمد العلي [٥] ، ووجد أنها تتصل بطريق حاج واسط ، والكوفة ، والبصرة ، ومناطق من الشام وجبلي طيء . وتبين من هذا أن السكوني تناول في كتابه جغرافية الجزيرة كلها ، وأنه اهتم بطرق المواصلات ، والأبعاد بين الأماكن ، وحددها بالأميال ، وبالأماكن القريبة من محاط الطرق الرئيسة ، والآبار وأعماقها ، والسكان وعشائرهم ، وانه من أدق وأشمل من وصف جزيرة العرب عامة .

قال ياقوت [٦] : « قال أبو عبيد السكوني : خَفّان : من وراء النُّسوخ ، على ميلين أو ثلاثة ، عَيْن ، عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي ، تعرف بخفان . وهما قريتان من قرى السواد ، من طَفّ الحجاز . فمن خرج منها يريد واسطاً في الطف ، خرج الى نجران ثم إلى عبدينيا وجُنْبلاء ثم قناطر بني دارا وتل تخار ثم إلى واسط » .

ولكننا يجب أن نفرق بين هذا السكوني ، وأبي عبيد عمرو بن بشر السكوني الذي نقل عنه أبو عبيد البكري كتاب عرام . فإني أعتقد أن هذا السكوني هو أبو عبد الله

(١) ٢٧٣ . (٢) ٢٧٦ (٣) ٣٢-٣٦ .
(٤) ١/٧ . (٥) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ٢٨ — ٤٢ .
(٦) ٢/٤٥٦ .

[أو أبو عبيد الله] احمد بن الحسن السكوني ، الذي ترجم له ياقوت في معجم البلدان [1] ، وكان مختصاً بالمكتفي (٣٣٣ - ٣٣٤) والمقتدر (٣٣٤ -٣٦٣) ، وألف كتاباً في اسماء مياه العرب ، صرح ياقوت انه رأى نسخة غير تامة منه و نقلها .

وعدّ ياقوت [2] كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني ، المتوفى في ٣٣٤ هـ ، من هـذا النوع من الكتب . وبالرغم أني لا أوافقه كل الموافقـة ، أدون وصفاً سريعاً ومختصراً للكتاب ، ليتضح منهجه ، وما بينه وبين الكتب التي أتحدث عنها من مشابه وفروق .

صدر الهمداني كتابه بعدة فصول جغرافيـة خالصة أو تكاد . فتحـدث عن الجزيرة العربية ، باعتبارها أفضل البلاد المعمورة ، فأبان حدودها ومسافاتها ؛ ثم تحدث عن تقسيم بطلميوس الأرض الى اقاليم ، ودوائر ، وخطوط الطول والعرض ، وما ذكره بطلميوس عن طبائع أهل العمران . وختم بإبانة خطوط طول مدن العرب المشهورة وعرضها .

ثم بدأ الكتاب الحق بالأمور التي يعنى بالحديث عنها ، وهي [3] « مساكن هذه الجزيرة ومسالكها ومياهها وجبالها ومراعيها واوديتها ونسبة كل موضع منها الى سكانه ومالكه على حد الاختصار ، وعلى كم تجزأ هذه الجزيرة من جزء بلدي ، وفرق عملي ، وصقع سلطاني ، وجانب فلكي ، وحيّز بدوي » .

ثم استهل حديثه بأولاد نزار ، وتفرقهم ، وسبب تسميتها بالجزيرة ؛ وأقسامها . وبدأ باليمن موطنه ، فأفاض فيه ، وعالج منه كل شيء ؛ وما بقي من الكتاب — وهو قليل — وزّعه على بقية أنحاء الجزيرة . وكان يتحـدث عن الأماكن حسب تسلسلها الجغرافي ، ويفيض في الحـديث عن النواحي البشرية ، وأكثر من الشعر في آخر الكتاب خاصة . ويعد كتاب الهمداني اكبر الكتب التي تناولت الجزيرة العربية ، وأهم الكتب عن اليمن.

قال [4] : « ومن أخذ الجادة من مكة الى معدن النقرة ، فمن مكة الى البستان تسعة

---

(١) ٩/٣ (٢) ١/٧ . (٣) ٤٦ . (٤) ١٨٥ .

وعشرون ميلاً . وعرض البستان أحد وعشرون جزء اوربع . ومنه الى ذات عرق أربعة وعشرون ميلاً . وعرض ذات عرق أحد وعشـرون جزءاً وثلثا جزء . ومنهـا الى الغمرة عشرون ميلاً . وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءاً .. » .

ونسب ابن النديم [1] الى أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفي نحو ٣٦٠ هـ « كتاب المناهل والأعطان والحنين الى الأوطان » . ويبدو أنه لم يقع لياقوت ولا البكري .

وذكر ياقوت في مقدمة معجم البـلدان [2] عن أبي سعيد الحسن بن عبدالله السـيرافي المتوفى في ٣٦٨ هـ : « بلغني أن له كتاباً في جزيرة العرب » . ولـكنه نسبه اليه دون تحرز في المعجم ، ونقل نصاً عنه ، قال في صدد حديثه عن أجياد [3] : « قال أبو سعيد السيرافي في كتاب جزيرة العرب من تأليفه : هو موضع خروج دابة الأرض » . وما نسبه ياقوت الى السيرافي من النصوص قليل جداً ، لانستطيع أن نستخلص منه معالم لـكتابه .

وألف الحسين بن محمد الرافقي الخالع ، المتوفى في ٣٨٨ هـ ، كتاب « الأودية والجبال والرمال [4] » . ونسب اليه ياقوت [5] ثلاثة نصوص ، كلها تتحدث عن الرياض . مثال ذلك قوله : « روضة الحدّاد : كذا وجدتـه في كتاب الخالع : بالحاء ، وعندي أنه الجدّاد ، بالجيم والصم ، والجداد : صغار الطلح . قال : الحداد : واد عظيم . قال اياس بن الأرتّ :

حيٍّ الجميع بروضة الحـدّاد من كل ذي كرم يَزين النادي »

وألف أحمـد بن فارس الرازي ، المتوفى في ٣٩٥ هـ ، كتـاب « دارات العرب [6] » . وقد أشار اليه ياقوت في مطلع حديثه عن الدارات ، قال [7] : « وهي نيف على ستين دارة ، استخرجتها من كتب العلمـاء المتقنة ، وأشعار العرب المحكمة ، وأفواه المشـايخ الثقات .

(١) الفهرست ١٥٥ . (٢) ١/٧ . (٣) ١/١٣٨ .
(٤) ١٠/١٥٥ . السيوطي : البغيـة ٢٣٥ . وانظر التنوخي . مجـلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٠/١٥٨ .
(٥) معجم البلدان ٢/٨٤٧ ، ٨٥٦ ، ٤/ ٤٧٥ . (٦) ابن الأنباري : نزهة الألباء ٢٢٠ .
(٧) ٢ : ٥٢٦ .

واستدللت عليها بالأشعار حسب جهدي وطاقتي ، والله الموفق . ولم أر أحداً من الأئمة القدماء زاد على العشرين دارة الا ما كان من أبي الحسين بن فارس ، فإنه أفرد له (؟) كتاباً ، فذكر نحو الأربعين . فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها » . ونقل ياقوت عن ابن فارس في بعض المواضع ، ولكن أرجح أنها كلها مأخوذة من أماليه [1] .

ومن أهل القرن الخامس ، ألف ابو محمد الحسن بن أحمد الأسود الأعرابي الغندجاني ، الذي كان حياً في ٤٢٨ هـ ، كتابي « اسماء الأماكن [2] » و « مياه العرب » . واشار ياقوت الى ثانيهما بين الكتب التي رجع اليها عند تأليف معجم البلدان [3] . والنقول التي يعزوها اليه كثيرة ومتنوعة ، غير انه لم يصرح باسم الكتاب الذي ينقل عنه . فهو يتحدث عن المياه كثيراً [4] ، ولكنه يتحدث عن غير المياه ايضاً [5] ، بل ينقل عنه أشعاراً فقط [6] ، كما ينقل عنه اخباراً واساطير عربية [7] .

وفي القرن الخامس أيضاً ، ألف أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى في ٤٨٧ هـ ، كتاب « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع » . وحدد المؤلف موضوعه في صدر مقدمته ، حين قال [8] : « هذا كتاب ذكرت فيه — ان شاء الله — جملة ما ورد في الحديث والاخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والامصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار » . فالبكري اذن يعني بكل ما ورد اسمه في الحديث والاخبار والشعر من الاماكن .

ورمى بذلك الى هدف لغوي ، جلاه في قوله [9] : « فإني لما رأيت ذلك قد استعجم

(١) ١ : ٤٠٥ . (٢) السيوطي . البغية ٢١٧ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ١/ ٧

(٤) نفس المرجع ١/ ٣٦٤ ، ٧٩٥ ، ٣ . ٦٠٢ وغيرها

(٥) ١/ ٦٠ ، ٣/ ٣٩١ ، ٤١٤ ، ٦٧١ وغيرها

(٦) ١/ ٨٠٠ ، ٩٣٣ ، ٢/ ٢٦١ ، ٣/ ٢٧٣ ، ٧١٤ ، ٤/ ٦٩١ وغيرها .

(٧) ١/ ١٢٧ ، ١٣٠ ، ٤٠٦ ، ٢/ ٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣/ ٤١١ ، ٦٠٩ ، ٨٦٤ وغيرها .

(٨) ١ . (٩) ١ .

على الناس ، أردت أن أفصح عنه ، بأن أذكر كل موضع مبين البناء ، معجم الحروف،حتى لايدرك فيه لبس ولا تحريف » .

ورتب المؤلف كتابه وفقاً للحروف العربية ، ولـكن على نظامها عند المغاربة ، وهو يتفق مع ترتيبنا المشرقي الى الزاي ، ثم يختلف على النحو التالي : ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي . واعتمد في ترتيب المواضع على الحرفين الأولين ، وأهمل ما بعدهما من حروف . واذا كان الحرف الثاني ألفا زائدة أهملها واعتبر الحرف الذي بعدها . وقد طبع الـكتاب في جوتنجن ، على يد المستشرق فستنفلد ، على هـذا الترتيب . ثم أعاد طبعه الاستاذ مصطفى السقا في القاهرة ، بعد أن غير ترتيبه وفقاً للألفباء المشرقية ، التي أخضع لها حروف الـكلمة كلها ، غير مقتصر على حرفين فقط.

ونهج المؤلف في كتابته عن المواضع أن يضبط الحروف بالعبارة ، ثم يحددها ، مع نسبة كل قول الى قائله من اللغويين والاخباريين المشهورين [١] . وقد أوضح استاذي مصطفى السقا هذا النهج في قوله [٢] : « يعوّل المؤلف في الضبط على الشعر العربي أولا ، فيأتي بالشـعر الذي ورد فيه اسم المكان ، ويُسنده الى الراوي الذي نقله من العلماء ، ويوازن بين الروايات ، ويرجح رواية الثقات ، ويعتمد في ذلك على النسخ الفَذّة ، التى كتبها العلماء أنفسهم بأيديهم ، أو التى كتبها وراقوهم المعروفون ، أو تلاميذهم المبرزون ، وقرءوها عليهم ... وكان يعتمد فى الحديث على روايات الكتب الصحاح ، وخاصة الموطأ ، والبخاري ، وسنن أبى داود ، وينقل كثيراً من الاحاديث عن ابن وهب وابن القاسم من شيوخ المالـكية . وينقل عن ابن اسحاق صاحب السـيرة ، وعن أبي جعفر الطبري . ويصحح ما وقع فيكتب أولئك وهؤلاء من تحريف في اعلام البلدان » . واضيف الىذلك ما نقله من المعاجم اللغوية ، وخاصة من جمهرة ابن دريد .

وامثل لمنهجه بقوله [٣] : « البان — على وزن افعـال ، كأنه جمع لَبَن : موضع في ديار بني هُذَيل قال ابو حاتم : هو جبل اسود في ديار بني مُرّة بن عوف ، قال ابوقلابة :

(١) ١٠٠٤ . (٢) د . (٣) ١/١٨٦ .

يا دار أعرفها وَحشا منازلها بين القوائم من رَهط فألبانِ
فدمنةٍ فرُخَيّاتِ الأحتّ الى ضَوْجَيْ دفاقٍ كسحق الملبس الفاني

هذه كلها مواضع متقاربة . والقوائم : جبال منتصبة هنالك . قال تأبط شراً :

هلا سألت عُمَيراً عن مصاولتي قوماً منازلهم بالصيف ألبانُ »

وصدّر البكري كتابه بمقدمة طويلة ، في ٩٠ صفحة ، عالج فيها أقسام بلاد العرب المختلفة ، وتفرّق القبائل ورحلاتها فيها . وهي مقدمة عظيمة الأهمية من الناحية الجغرافية والتاريخية .

ويؤخذ عليه أنه لم يحدد كثيراً من مواضعه ، أو أعطاه تحديداً غير دقيق ، وأنه أحال في كثير منها الى مواضع أخرى ، بل مواضع جاءت عرضاً في بعض الرسوم الأخرى . ولكنه مرجع لاغناء عنه لكل من يشتغل بالتاريخ العربي القديم والجغرافيا والشعر الجاهلي [1] .

وفي القرن السادس ، ألف أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المتوفى في ٥٣٨ هـ ، كتاب « الجبال والأمكنة والمياه » . وحاول ان يرتب القسط الأكبر منه . فاعتمد في ذلك على الحرف الأصلي الأول وحده ، واهمل بقية الحروف . ولكنه اضطرب في الاسماء المكونة من مضاف ومضاف اليه ، فاعتبر الصدر أحياناً ، كما في أبي قبيس ، وأم خنور ، وأم خرمان ، وام موسل ، وام اوعال ، التي وضعها في باب ما أوله همزة ؛ وبرقة شماء ، وبستان ابن عامر ، وبطن مر ، وبطن اللوى ، وبقيع الفرقد ، وبقاع الكلب ، وبئر بضاعة ، وبيت جبريل ، وبرقة الروحان ، وبيت رأس ، وبئر أبي عنبة ، وبئر مصونة ، وبرك الغماد ، التي وضعها في باب ما أوله باء . واعتبر العجز أحياناً ، كما في معدن الأحسن ، وسوق حباشة ، وأبرق الحنان ، التي وضعها في باب ما أوله حاء ؛ ورمل مخفق ، وجبل خليج ، التي وضعها في باب ما أوله الخاء ؛ وجبل رنقاء ، ومرج راهط ، اللذين وضعهما في باب ما أوله راء .

---

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢٧٨ .

ثم ألحق به أربعة فصول تعالج الطريق بين ينبع ومكة . فجعل الفصل الأول منها لأسماء الجبال الكبيرة ، والثاني للجبال الصغيرة ، والثالث للأودية ، والرابع للمياه .

ولم يراع الزمخشري في هذه الفصول الأخيرة ترتيباً ما - فيما يبدو . ولم يتعمد منهجه فيها إعطاء قوائم بأسمائها ، ولم يعن بتحديدها أو وصفها أو إيراد شواهد شعرية عليها إلا نادراً كل الندرة . مثال ذلك قوله في الفصل الاول [1] : « شمران ، ويمنى ، وبضع ، والعناب ، وسيبان ... وسراوع . وأنشد الجحوش الخفاجي :

نظرت - ومن دوني تهامة كلها وحر الذرا معروف من سراوع »

أما الكتاب نفسه ، فقد ترك فيه كثيراً من البقاع دون تحديد ، ولجأ في بعضها إلى تحديدها بما يجاورها ، أو بأسماء من يسكنها من قبائل ، أو بالإقليم الذي تقع فيه ، أو بأكثر من واحد من الامور السابقة ، مع بيان المسافة بينها وبين بعض البقاع الاخرى المشهورة في احيان اخرى ، ووصفها في احايين بذكر سماتها ، أو ارتفاع جبالها وألوانها . وقد علل بعض الاسماء ، وأورد في ذلك بعض الخرافات ، وكان ذلك قليلاً جداً . واستشهد بأشعار نسب بعضها إلى قائليه ، واهمل بعضها الآخر . وتظهر على الكتاب خصائص المختصرات .

وأمثل له بقوله [2] : « الدثنية والدفينة : منزل لبني سليم . الدخول : موضع .وقيل: بئر غيرة كثيرة الماء . دارة الجثوم : لبني الأضبط بن كلاب - والجثوم : ماء لهم يصدر في دارة بيضاء . دارة غير : لبني الأضبط بها ماء يسمى الغبير . الدهناء : موضع في بلاد بني تميم . درنى : موضع . قال الأعشى :

حل أهلي ما بين درنى فبادو لي ، وحلت علوية بالسخال »

وصرح ياقوت [3] أنه رأى كتاباً لأبي الحسن علي بن محمد العمراني الخوارزمي ، المتوفى نحو ٥٦٠ هـ ، وان مؤلفه وقف على كتاب شيخه الزمخشري وزاد عليه . وعبارة

---

(١) ١٥٥ . (٢) ٥٤ . (٣) معجم البلدان ١/٧ .

ياقوت موهمة . فقد وسع العمراني مجال دراسته ، فشمل العالم الاسلامي كله ، من خوارزم شرقاً إلى المغرب غرباً ، بل تعرض لبعض البلدان غير الإسلامية مثل القدونين ، وقرار ، وقنسوة ، ومجذوبية ، من بلاد الروم ، وواضح ان اكثرها غير مشهور ، مما قد يدل على انه حاول ان يتحدث عن بلاد الروم كلها . وواضح من نقول ياقوت عنه كثرة المواضع غير العربية التي تعرض لها .

ورتب العمراني كتابه « المواضع والبلدان » على الألقاب ، ولكنه لم يقتصر على الحرف الأول كأستاذه . فقد ذكر ياقوت [1] : « قال ابو الحسن الخوارزمي : عيقة : موضع ذكره في هذا الباب من العين مع الياء » . فدل على انه راعى الحرفين الأولين على الأقل . وذكر ياقوت [2] ان العمراني وضع قلهات بالثاء بعد قلهات بالتاء ، مما قد نستنتج منه انه راعى حروف الكلمة كلها . ولكن ذلك غير ضروري ، لأنه — فيما يبدو — كان يضع المواضع المتشابهة في الخط ، فيخاف عليها اللبس والتحريف ، في موضع واحد ، مما يؤيد قول ابن خلكان ان عنوان الكتاب [3] « ما اتفق لفظه وافترق معناه في الاماكن والبلدان المشتبهة الخط » . ويبدو انه في داخل كل فصل لم يراع الترتيب فقد قدم قلهات بالتاء على الثائية مرة ، ولكنه قدم قراش بالشين على قراس ، في فصلها [4] .

واختلف العمراني مع استاذه في ضبط بعض الاماكن . فقد ضبط الزمخشري حقال [5] بكسر الحاء وتخفيف القاف ، وضبطه هو بفتح الحاء وتشديد القاف ؛ وقال ياقوت [6] : « قال العمراني : مَرْبَخ - بفتح الميم والباء : رمل من رمال زرود ، وعن جار الله بضم الميم وكسر الباء » .

وحاول العمراني أن يحدد مواقع المواضع التي تحدث عنها ، فأفلح في بعضها ، ولم يفلح في بعضها الآخر ، وخاصة البعيدة عن موطنه وعن الجزيرة العربية ، فاكتفى في كثير منها

(1) ٣/٧٥٣ . (2) ٤/١٦٨ . (3) ٣/٤٢١ .
(4) ٤/١٧ . (5) ٢/٢٩٨ (6) ٤ / ٤٨٣ .

أو أكثرها بأنها مواضع ، أو مواضع بمصر ، أو المغرب ، أو بلاد الروم ، أو ما شاكل ذلك .

قال : [1] « الأعيان ، بالنون : موضع ، في قول عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي:

تَروّحنا من الأعيانِ عصراً فأعجَلْنا الإلاهـةَ أن تؤوبا

هكذا رواه أبو الحسن العمراني . ورواه الأزهري : تروحنا من اللعباء » .

وقال [2] : «زَرْبِيط ... مدينة بالمغرب ، عن العمراني » .

ويبدو أن ياقوتاً كان سيّء الظن بالعمراني ، فشك في كثير من مواده [3] ، وعدل عن ضبطه [4] ، وحكم عليه بالتصحيف في الضبط والحروف [5] ، ولم يرض عن تحديده لبعض المواقع [6] ، ورماها بالخطأ [7] . ثم اتهم العمراني بسوء الفهم، حتى اعتقد أن مَنْهرة أرض وهي قبيلة [8] ، وأن حليمة المذكورة في المثل «ما يوم حليمة بسر» موضع وهي امرأة [9] ، وأن ريا التي ذكرها جرير موضع وهي امرأة [10] .

وألف أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن الفزاري الإسكندري [11] ، المتوفى في ٥٦٠ هـ ، كتاب « أسماء البلدان والأمكنة والجبال والمياه » الذي أعجب به ياقوت كثيراً واتخذ منه أحد العمد الرئيسة التي رفع عليها معجمه ، بحيث رأى محققه أن من العبث فهرسة المواضع التي ذكر فيها نصر .

ومن العسير – في مثل هذه الحالة التي التحمت فيها مادة نصر بمادة ياقوت – أن نتبين

(١) ١ / ٣١٧ . (٢) ٢ / ٧٢٥

(٣) ٣ / ١٠٨ ، ٣٤٤ ، ٤٥١ ، ٧٧٤ وغيرها .

(٤) ٢ / ٧٣٩ ، ٧٧١ ، ٩٢٠ وغيرها .

(٥) ٢ / ٤٦٩ ، ٩٥١ ، ٣/ ١٠٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٥ ، ٦١٣ وغيرها .

(٦) ٢ / ٤٤١ . (٧) ٢/ ٥٧١ (٨) ٤ / ٧٠٠ .

(٩) ٢ / ٣٢٥ ، وانظر ٣ : ١٢٥ . (١٠) ٢ / ٨٨١ .

(١١) ياقوت . معجم البلدان ١ / ٨ . وانظر حديث كراتشكوفسكي عن المخطوطة المحفوظة بالمتحف البريطاني منه ، ٣٢٢ – ٣٢٣ .

خصائص منهجية لنصر. ولكن الواضح أن نصراً كان ميالا إلى الدقة في تحديد للمواضع التي يذكرها، وكان يحددها بذكر ما يجاورها أو إقليمها أو قطرها، أو ساكنيها من القبائل، أو أكثر من واحد من الأمور السابقة. وحاول أن يصف ما يحتاج إلى وصف من الأماكن، واعتمد على الشعر والحديث في استخلاص مادته. ولا نعدو الحق حين نظن أنه كان مرتبا على الألفباء، لأن الكتب التي اختصرته أو اعتمدت عليه كانت كذلك.

قال نصر: الأُدَواء - بضم الهمزة وفتح الدال: موضع في ديار تميم بنجد[1] ...أديم - أيضا: عند وادي القرى من ديار عذرة، كانت لهم بها وقعة مع بني مرة؛ عن نصر[2]... تَنْهَد: جبل أحمر فارد، من أخيلة الحمى، حوله أبارق كثيرة في ديار غنيّ[3].

وألف محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي، المتوفى في ٥٦٢ هـ، كتاب « منازل العرب ومياهها[4] » ولكنني لم أعثر على مقتبسات منه تهديني إلى حقيقته، ومنهجه، وقيمته.

ولم يكن ياقوت وحده المعجب بكتاب أبي الفتح الإسكندري، بل أعجب به أكثر من جاء بعده من المؤلفين. فاختصره أبو موسى محمد بن عمر المديني الأصفهاني، المتوفى في ٥٨١ هـ، في كتابه « ما اختلف وائتلف من أسماء البقاع[5] ».

وقد وقف ياقوت على الكتاب ومدحه، قال[6]: « تأليف رجل ضابط، قد أنفد في تحصيله عمراً، وأحسن فيه عيناً وأثراً ». وقد تعرض فيه للأماكن العربية، وغير العربية، واتسم تحديده مواقعه بالدقة. قال[7]: « المضيّح: جبل بنجد على شط وادي الجريب من ديار ربيعة بن الأضبط بن كلاب، كان معقلا في الجاهلية، في رأسه متحصّن وماء ».

وذكر في المواضع التي تحدث عنها من ينتسب إليها من العلماء. ويبدو أن هذا من

---

(١) ١ / ١٧٠. (٢) ١ / ١٧١. (٣) ١ / ٩٤٢.

(٤) السيوطي: البغية ٩٣. (٥) ياقوت: معجم البلدان ١ / ٨.

(٦) ١ / ٨. (٧) ٤ / ٥٦٠.

زياداته على أبي الفتح الإسكندري ، لأن أكثرها منسوب اليه في معجم ياقوت . فإن كان الأمر كذلك ، كانت تلك الظاهرة تتجلى في هذا الكتاب للمرة الأولى ، وإن كانت غير فذة لأنها كانت منتشرة في كتب الأنساب والأعلام ، لمعرفة الألقاب .

كذلك اتخذ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي ، المتوفى ٥٨٤ هـ ، كتاب أبي الفتح الإسكندري أساساً لكتابه المسمى « ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع التي ذكرت في مغازي رسول الله » أو « المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان » ، حتى قال عنه ياقوت [١] : « وجدت الحازمي ـ رحمه الله ـ قد اختلسه وادعاه واستجهل الرواة فرواه » . ويبدو أن ياقوتا كان حاقداً على الرجل ، قال : « ولقد كنت عند وقوفي على كتابه أرفع قدره عن علمه ، وأرى أن مرماه يقصد عن سهمه ، إلى أن كشف الله حسيئته ، وتمحّض المحض عن زبدته » . ولذلك لم يرجع إليه إلا مرات قلائل تبين منها أن الرجل كان يرد على المديني أحياناً [٢] ، وكان يذكر المنسوبين إلى المواضع التي يتحدث عنها [٣] .

ثم بلغ هذا الفرع اللغوي الجغرافي القمة ، حين ألف أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (٥٧٤ ـ ٦٢٦) كتابه « معجم البلدان » ، الذي قام بطبعه المستشرق فردننند فستنفلد في ليبسك عام ١٨٦٦م في أربعة أجزاء كبار ، وآخرين للفهارس والتعليقات ثم طبع في القاهرة في ٨ أجزاء ، بدون فهارس ولا تعليقات في سنة ١٩٠٦ م ، ثم في بيروت حديثاً .

وكان المؤلف يرمي فيه إلى ما رمى إليه البكري قبله ، أعني تخليص أسماء الأماكن من التصحيف ، لأهميتها عند أهل العلوم المختلفة .

أما مادة الكتاب ، فهي ـ تبعاً لقول المؤلف في مقدمته ـ : « أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان ، والقرى والمحالّ والأوطان ، والبحار والأنهار والغدران ، والأصنام والأبداد والأوثان » .

---

(١) ١ / ٨ . (٢) ٢ : ٥٧٦ . (٣) ١ : ٢٥٦ ، ٢ : ٤٩٤ .

ولم يقصر بحثه على بلاد العرب أو الخلافة الاسلامية ، بل تعداها إلى العالم القديم الذي عرفه المسلمون . واستمد هذه المادة من كتب للمؤلفين السابقين في البقاع ، ومن كتب الأدب والحديث ، أو كما قال في مقدمته بعد أن ذكر بعض كتب البقاع : « وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلت منها . ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين ، وتواريخ أهل الأدب والمحدّثين ، ومن أفواه الرواة وتعاريق الكتب . وما شاهدته في أسفاري وحصّلته في تطوافي أضعاف ذلك » .

ورتب الأسماء وفقا لحروفها كلها : أصلية ومزيدة ، للمرة الأولى في هذا النوع . قال : « فأقسمه ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم . ثم أقسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرين باباً للحرف التالي للأول . وألتزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف وثانيه وثالثه ورابعه وإلى أي غاية بلغ . فأقدم ما يجب تقديمه بحكم ترتيب ا ب ت ث على صورته الموضوعة له ، من غير نظر إلى أصول الكلمة وزوائدها ، لأن جميع ما يرد إنما هي أعلام لمسميات مفردة ، وأكثرها عجمية ومرتجلة لا مساغ للاشتقاق فيها » .

ووصف ياقوت منهجه في الحديث عن الأماكن التي تكلم عنها ، فقال : « فاستخرت الله تعالى وجمعت ما شتتوه ، وأضفت إليه ما أهملوه ... ووضعته وضع أهل اللغة المحكم ، وأبنت عن كل حرف من الاسم : هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور ، وأزلت عنه عوارض الشُّبَه ... ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربياً ، ومعناه إن أحطت به علماً إن كان عجمياً ، وفي أي إقليم هو ، وأي شيء طالعه ، وما المستولي عليه من الكواكب ، ومن بناه ، وأي بلد من المشهورات يجاوره ، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه ، وبماذا اختص من الخصائص ، وما ذكر فيه من العجائب ، وبعض من دُفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابة والتابعين [والمنسوبين إليه] ، ونبذا مما قيل فيه من الأشعار في الحنين إلى الأوطان ، والشاهدة على صحة ضبطه والإتقان ، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك ، ومن كان أميره وهل فتحه صلحاً أو عنوة ، لتعرف حكمه في الفيء

والجزية ، ومن ملكه في أيامنا هذه . على أنه ليس هذا الاشتراط بطاوع لنا في جميع ما نورده ، ولا ممكن في قدرة أحد غيرنا ، وإنما يجيء على هذا البلدان المشهورة والأمهات المعمورة ، وربما ذُكر بعض هذه الشروط دون بعض على حسب ما أدانا إليه الاجتهاد .. واستقصيت تلك الفوائد جلها أو كلها ... حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول ... لبعدها عن العادات المألوفة ، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة » .

وإذن فالكتاب يتأثر باللغويين في ترتيب الأسماء ، وضبطها ، وإبانة اشتقاق العربي منها ، ومعنى الأعجمي ، وفي تحديد أبعـاد الأماكن بما جاورها من البقاع المشهورة ، والاستشهاد بالشعر على الضبط والتحديد . ويتأثر بالجغرافيين في إبانة أقاليم المواضع ، وخطوط طولها وعرضها ، وبالفلكيين في الكشف عن طالع كل منها تبعاً للكوكب المستولي عليه . ويأخذ من التاريخ تاريخ المـدن ، والمنسوبين اليها ، وفتح المسلمين لها ، وأميرها في عصر ياقوت . ويستمد من المأثورات الشعبية كثيراً من القصص والأخبار ، المتعلقة ببناء هذه المدن ، وخصائصها وعجائبها .

وصدر ياقوت كتابه بمقدمة جغرافية طويلة ، اشتملت على خمسة أبواب ، عالج فيها صورة الأرض ، وتقسيمها إلى أقاليم ، ومعاني المصطلحات الكثيرة الدوران في الكتاب وحكم البلاد التي فتحها الإسلام في الفيء والخراج ، وجملا من أخبار بعض البلدان . وكلها أمور لا تدخل في نطاق بحثنا هذا .

وقد وصف كراتشكوفسكي أهمية معجم ياقوت ، فقال [1] : « هو أوسع وأهم ، بل أكاد أقول أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي للعصور الوسطى . ولتكوين فكرة عن حجمه يكفي أن نذكر أن المتن المطبوع يضم ٣٨٩٤ صفحة . وهو جامع للجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات أيضاً ، كما تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية وجانب الدين والحضارة والاثنولوجيا (علم الأجناس والفصائل البشرية) والأدب الشعبي

---

(١) ٣٣٥ .

وذلك في القرون الستة الأولى للهجرة . ويقرب عدد الشواهد الشعرية وحدها فيه - وذلك بين صغيرها وكبيرها - من الخمسة الآلاف » .

واستخرج ياقوت من معجمه كتاباً مختصراً باسم « المشترك وضعا والمفترق صقعا » حذف منه كثيراً من الإطالات الجغرافية والأخبارية ، فاقترب به من كتب اللغة ، وجعله في مجلد واحد .

ووصل إلينا مصنف آخر يختصر معجم ياقوت تحت اسم « مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع » واختُلف في صاحبه ، فنسبه بعضهم إلى ياقوت ، ويبدو أنه خدعهم ما أعلنه ياقوت في مقدمة المعجم عمن طلبوا إليه اختصاره . ونسبه بعضهم الى صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحكم (المتوفى في ٧٣٩) وبعضهم الآخر إلى السيوطي (المتوفى في ٩١١)

ونختم بالاشارة إلى كتاب المتفق وضعا والمختلف صقعا لأبي طاهر مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المحيط [1] (٧٢٩ - ٨١٧) ، ولم يصل الينا .

وصفوة القول أن هذه الكتب جميعاً كانت تهتم بالاسم أكثر من المسمى ، باعتبار الاسم من المادة اللغوية التي تعالجها في الشئون الأخرى ؛ واعتمدت على الشعر والأخبار العربية في استخلاص هذه الأماكن وتحديد مواقعها ، كما يعتمد عليه اللغويون في تفسير ما يريدون تفسيره من ألفاظ ؛ وأقامت تحديدها للمواقع على ذكر الأماكن المجاورة وأبعادها عنها بالمراحل والأيام ثم الأميال والبرد .

واختلفت بعد ذلك . فكان الأصمعي (في جزيرة العرب) والبكري والإسكندري وعرام والسكوني وياقوت أقرب من غيرهم إلى الدقة في تحديد المواضع التي يتحدثون عنها ، وكان أكثرهم دقة عرام والإسكندري وياقوت . وأتت الدقة إلى عرام والسكوني من وصفهم رحلات يقوم بها المسافر ، وما يمر به من مواضع على التوالي . أما الدقة فتعتمد

(١) السخاوي : الضوء اللامع ١٠ / ٨٢ . الشوكاني : البدر الطالع ٢ / ٢٨٢ . السيوطي : البغية ١١٨ .

عند ياقوت على معلوماته الجغرافية البحتة ، حتى كان يحدد المواقع بخطوط الطول والعرض.

وتوسع البكري وياقوت في الشواهد التي استخلصوا منها أماكنهم . فاعتمد البكري على الأحاديث النبوية والأخبار العربية إلى جانب الشعر . واعتمد ياقوت على ذلك كله ؛ وأضاف إليه كثيراً من الكتب التاريخية والجغرافية وغيرها .

وكانت الجزيرة العربية وما تاخمها من أقطار عربية هي موضع دراسة المؤلفين الأولين . ولم يشذ عنهم غير الجاحظ الذي تناول بلادا غير عربية . وبقي الأمر كذلك حتى القرن السادس ، فوسع المؤلفون مجالهم وتناولوا المدن الإسلامية الأخرى ، ثم توسع ياقوت إلى بقية أنحاء العالم القديم .

واختلفوا في ترتيب الكتب . فسار الأولون كما كانوا يسيرون في الرسائل اللغوية الصغيرة ذات الموضوعات الواحدة ، مثل كتب الإبل ، والخيل ، وغيرها . فلم يرتب بعضهم كتابه ، مثل الأصمعي في داراته . ولكنه رتب جزيرة العرب وفقاً للأقاليم والقبائل التي تحلها ، وقسم عرام كتابه قسمين : واحداً لتهامة ، والآخر للحجاز ، واتبع في الوصف مايمر به المسافر بين المدينة ومكة من أماكن على التوالي . ثم ابتدأ الترتيب الألفبائي قاصراً على حرفين في المغرب العربي عند أبي عبيد البكري ، وعلى حرف واحد في المشرق عند الزمخشري ، ثم على حرفين عند العمراني ، إلى أن بلغ كماله عند ياقوت الذي راعى حروف الكلمة كلها : أصلية كانت أو مزيدة .

واتفق البكري وياقوت على ضبط الأسماء بالعبارة ، وإبانة حقيقة حروفها والحركات عليها ، والإشارة إلى اشتقاقها ، خشية أن يلحقها التحريف ، الذى كان السبب الذي دفعهما إلى تأليف معجميهما .

ثم اتجه كل منهم اتجاهاً خاصاً في المواد التي عنى بها في كتابه . فاهتم ابن الكلبي بتفسير أسماء البلاد وتعليلها ، وإيراد الخرافات المتصلة بذلك . وعنى أبو نصر الإسكندري ، وأبو موسى الأصفهاني ، وأبو بكر الحازمي بذكر العلماء المنسوبين إلى المواضع التي يعالجونها.

أما ياقوت فضم كل هذه الألوان ـ إذ أدخل هذه الكتب في معجمه ـ وأضاف إليها الأخبار التاريخية الكثيرة .

كل هذا جعل من معجم البلدان لياقوت القمة التي وصل إليها هذا اللون من التأليف والكتاب الذي يجمع كل اتجاهاته ، ويمثل كل الألوان ، ويضيف إليها ما أدخله من اتجاهات تاريخية وجغرافية . فقد مزج صاحبه فيه جميع ألوان الثقافة الإسلامية المتصلة به .

وقد تنبه أصحاب المعاجم اللغوية إلى هذا النهر منذ المعجم الأول . فأخذ الخليل بن أحمد في عينه منه بحظ يسير ، تعدى به شبه الجزيرة العربية إلى غيرها . ثم عبّ منه ابن دريد في جمهرته ووسّع الصغاني في عبابه مجاله . ثم حوّله الفيروزآبادي وضمه إلى الأنهار الأخرى التي صبها في قاموسه المحيط ، ثم شارحه السيد مرتضى الزبيدي . وتقوم الدعوة الآن إلى نفي هذا النهر عن محيط المعاجم ، إذ نعتبره دخيلا على المجال اللغوي البحت .

وأفاد أصحاب هذه الكتب بدورهم من المعاجم . فاستقى أبو عبيد البكري كثيراً من رسومه من جمهرة ابن دريد . وأكثر ياقوت من الرجوع إليه وإلى الأزهري والجوهري وغيرهم . فتبادل كل من الفريقين التأثر والتأثير .

المراجع

الأصمعي: الدارات ،المطبعة الكاثوليكية في بيروت،(في كتاب البلغة في أصول اللغة).

ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، مطبعة المعارف في بغداد ١٩٥٩ .

البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر بالقاهرة ١٩٠٨ .

حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طبع تركيا ١٩٤٣ .

ابن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٣٩ .

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مطبعة السعادة بمصر .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مكتبة النهضة المصرية .

السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٢٥٥ هـ .

السمهودي : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣٢٩ هـ .

السيوطي : بغية الوعاة ، مطبعة السعادة بالقاهرة .

الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٨هـ

صالح أحمد العلي : المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ـ مستل من المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤ .

عرام : أسماء جبال تهامة ، نوادر المخطوطات ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٥ .

القفطي : إنباه الرواة ، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة .

كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٣ .

ليل : ديوان عبيد بن الأبرص ، طبع أوربا .

مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

المرزباني : معجم الشعراء ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠ .

المسعودي : التنبيه والإشراف ، تحقيق روزن ، طبع أوربا .

: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨ .

المعلقات .

المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ١٩٠٦ .

ابن النديم : الفهرست ، طبع ليدن .

الهمداني : صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ .

ياقوت : معجم الأدباء ـ طبعة أحمد فريد رفاعي .

: معجم البلدان ، طبع ليبسك ١٨٦٩ .

مصطلحات عمال الغزل والنسيج

أحال المجمع على لجنة فرعية مؤلفة من اعضائه السادة الدكاترة مصطفى جواد وابراهيم شوكة وجميل الملائكة وصالح أحمد العلي الطلب المقدم من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لوضع مصطلحات لتسمية زهاء سبعين عاملا يؤدون وظائف واعمالاً مختلفة في الغزل والنسيج . وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات لهذا الغرض قدمت بعدها الى المجمع مجموعة المصطلحات التي اوصت بها والتي اقرها المجمع بعد مناقشتها في جلسته المنعقدة في ١٤/٣/١٩٦٦ وفيما يلي قائمة بهذه المصطلحات :

غزّال	Spinner
نسّاج	Weaver
سرّاد	Knitter
صبّاغ	Dyer
اليافيّ (اليافيّون)	Fibre Preparer
نضائدي	Bale Transferer and Opener
فرّاز	Fibre Softer, Grader and Classer
خلاّط	Fibre Mixer and Blender
خرقي (بكسر ففتح)	Rag Machine Man (Wool)
مصوّل	Wool Fibre Scourer
نسّاق	Sketcherman

Lap Carrier	لفائفي
Fibre Picker	لقّاط
Fibre Carder (Wool and Jute)	مسرّح (صوف)
Fibre Carder (cotton)	مسرّح (قطن)
Gill Box Operator	منفاري
Fibre Comber	مشّط
Wool Silvers Dryer and Washer	راحض
Fibre Lapper	ملفاف
Fibre Drawer	جرّار
Fibre Slubber and Rover	فتّال
Jute Softener	مرقّق
Thread and Yarn Winder ,	مدوّر
Thread and Yarn Doubler	متائم
Thread and Yarn Twister	برّام
Thread and Yarn Conditioner	مسقّط
Reeler	مسلّل
Pressman	رصّاص
Beam Warper (Beamer)	مُسدّي
Hand Loom Threader	مُسلّك
Warp Tier	عقّاد
Loom Geater	معدّل
Hand Loom Weaver (Cloth)	نسّاج
Machine Loom Weaver (Cloth)	حائك

Jacquard Loom Weaver	رامل
Lace Machine Weaver	شرائطي
Hand Loom Weaver (Carpet)	سجادي
Machine Loom Weaver (Carpet)	طنافسي
Machine Loom Weaver (net)	شبكي
Loom Fixer	منوّل
Power-Driven Machine Knitter	حباك
Hand-Operated Machine Knitter	حابك
Knitting Machine Setter	مُحكِم
Pattern-Card Preparer	مقوّياتي
Card Cutter Jacquard	مخرّم
Textile Bleachor	قصّار
Dying Solution Preparer (Yarn anb Fabric)	أصباغيّ
Dyer (Yarn)	صبّاغ (غزول)
Dyer (Fabric)	صبّاغ (نُسج)
Dyer (Garment)	صباغ (اردية)
Textile Washer	غسال (نسيج)
Gummer	مصمّغ
Textile Carbonizer	مشذّب
Textile Shrinker	مقلّص
Yarn Textile Fuller	مُمتّن
Cropper or Shearing Machine Man	جزّاز

Hydro Extracting Machine Man	عصّار
Drying Macnine Man	مجفّف
Textile Waterproofer	كتّام
Fabric Calender	كوّاء
Fabric Decatizer	مُبخّر
Fabric Folder	لفّاف
Raising Machine Man	نفّاش
Silk Weighter	مثقّل
Fabrics Examiner	فاحص
Fabrics Cleaner	نتّاش
Fabrics Repairer	رفّاء
Braid Maker (Hand)	جدّال
Braid Maker (Machine)	ضفّار
Crocheting-Machine Operator	وشّاء

باب الكتب

تاريخ علماء المستنصرية

تأليف الأستاذ ناجي معروف

نقد الدكتور مصطفى جواد

الطبعة الثانية منه ، طبعت في مطبعة العاني سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م في مجلدين ، أولهما في ثمانين وأربعمائة صفحة ، والثاني في خمس وعشرين وثلاثمائة صفحة ، سوى الفهارس وما أشبهها فهي من الصفحة ٣٢٦ الى الصفحة ٥١٦ ، وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً على ورق أبيض جيّد .

قد كان الأستاذ ناجي معروف نشر هذا الكتاب الجامع النافع في مجلد واحد سنة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م في مطبعة العاني المشار اليها آنفاً ، ثم أعاد طبعه وقال في تقديمه للطبعة الثانية ـ ج ١ ص ١٠ ـ « وأزيد اليوم على ذلك أني استطعت أن أعثر على معلومات أخرى تتعلق بالمدارس المشتركة بين ثلاثة مذاهب ، ووجدت مدرستين أنشئتا على المذاهب الأربعة الأولى بحلب من الديار الشامية والأخرى بمكة المكرمة ، وبذلك أمكن القول بأن المدارس التي بنيت على غرار المستنصرية ، من حيث المذاهب الأربعة كانت في العراق ومصر والشام والحجاز ، كما عثرت على عدد آخر من علماء المستنصرية وفقهائها ، أضفتهم الى ذلك

الثبت الطويل الذي سجلته في الطبعة الأولى ، وقد صححت في هـــذه بعض التراجم التي نقلتها من تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي ... » . ثم قال الأستاذ المؤلف في أبواب الكتاب : « أما تاريخ علماء المستنصرية هذا فقد جعلته في جزئين وقسمته الى اثني عشر باباً وبدأت الباب الأول بنظرة تحليلية في تاريخ هذه الجامعة وعلمائها وأثبت بالأدلة القطعية أنها أول جامعة إسلامية في العالم الاسلامي بل في العالم كله ثم بحثت في المدارس التي بنيت على صفتها ، وبحثت استمرار الدراسة فيها على عهد المغول وذكرت مستواها العلمي والمعاشي وتقدت المصادر التي استندت اليها في تأليفه ، وخصصتُ الباب الثاني لرجال الادارة فيها وتكلمت فيه على من تولّوا النظر في مصالحها وفي إدارة أوقافها وعلى من كان معهم من المشرفين والخزان والكتاب والمستخدمين في شتى أمور هذه الجامعة ... وقد أفردتُ باباً خاصاً بجامع المستنصرية [1] تكلمت فيه على موقعه وخطبائه وأئمته ، كما أشرت الى الساعة والساعاتيين فيها في فصل خاص ، وذكرت في باب آخر دار الكتب المستنصرية وخزانتها وهي من دور العلم المهمة فيها ولذلك أسهبت في الكلام على خُزانها المشهورين والمشرفين عليهم والمناولين للكتب عندهم . ولئن اشتمل هذا الكتاب على عدد كبير من التراجم فالحق أني استنفدت الجهد وأفرغت الوسع في جعل اكثر هذه التراجم بحوثاً قائمة على التحري والبحث ، توخيت فيها الحقائق العلمية الصحيحة ولذلك فهي تختلف عن غيرها من التراجم البسيطة التي لا تعتمد على التتبع والتقصي ، وشرحت في الباب الثاني عشر أثر علماء المستنصرية في الفكر الاسلامي والثقافة العربية بوجه عام ... ورأيت بعد ذلك كله أن أختم الكتاب بذيول وملاحق بمادة الكتاب العلمية بصورة غير مباشرة ... وقد ضبطت بالشكل كثيراً من الأعلام مخافة الخطأ فيها والتباسها على القارىء لاسيما إذا كانت متشابهة في الرسم كابن الحُصين وابن الحَصين وابن جُزيرة وابن بوش[2]

(١) هـــذه التسمية ــ أعني جامع المســـتنصرية ــ لم يرد ذكرها في العصر العباسي بل في العهد الايلخاني . « م . ج » .

(٢) ذكره المؤلف في الصفحة « ١٠٥ » من الجزء الأول « أبي القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن =

ومصدّق وابن المؤرّخ والدهلي والذهلي . أو إذا كان مما يخشى تصحيفه أو يقرأ بأشكال شتى كالنجاري والبخاري والابزاري والاثواري وابن الفويره[1] والبَرزَبي وابن وَرَّيده وابن الابري والخويّ والأبرقوهي ... » . كذا قال « الخويّ » وكذلك قاله في الصفحة « ٢٥٣ » من هذا الجزء وفي الصفحة ٢٩٦ وكذلك ذكره في الفهرست « ج ٢ ص ٤٣٦ »

والصواب « الخويّيّ » بأربع ياءات ، قال الذهبي في المشتبه ـ ص ١٣٠ ـ : « والخوييّ قاضي خويّ أبو نعيم محمد بن عبيد الله ... وشمس الدين أحمد بن الخليل الخوييّ قاضي دمشق ... وأبو معاذ عبدان الخوييّ الطبيب ... والقاضي شهاب الدين محمد بن محمود الخوييّ الشافعي ... » . ولوورد « خويّ » الأستاذ الفاضل بوجهين على الصحة وعلى الغلط ، لحملنا الغلط على غلط الطبع بدا .

وقد ذكر المؤلف قصة تأليفه هذه الكتاب الجليل وولعه بموضوعه ، قال في الجزء الثاني منه ـ ص ٢٣٩ ـ « لقد كتب عن المستنصرية وعلمائها قديماً وحديثاً عدد من الكتاب والمؤلفين والرحالين والمستشرقين منذ سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٦ م) حتى اليوم ، وقد كنت أول من نشر عنها رسالة على هيئة كتاب صغير قبل ثلاثين سنة أي في عام ١٩٣٥ م ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتحرّى المخطوطات العربية في بلاد الغرب وفي البلادالعربية والاسلامية حتى ظفرت بمعلومات قيمة عنها وعن علمائها فأذعت عنها من دار الاذاعة العراقية أحاديث مختلفة ونشرت عنها بحوثاً ورسائل منها : مقدمة في المستنصرية وعلمائها سنة ١٩٥٨ م وعلماء المستنصرية سنة ١٩٥٩ م وتاريخ علماء المستنصرية في مجلد ضخم سنة

= بوش » وفي الصفحة ٣٣٤ « يحيى بن بونس » وفي الصفحة « ٢١٠ » من الطبعة الأولى « يحيى ابن أسعد بن كوشي » ، وفي الصفحتين ٧٦ و ٢٢٤ منه « يحيى بن بوش » وهو الصحيح . وقال في الفهرست في يحيى بن بونس « ولعله يحيى بن بونس » مع أنه يحيى بن بوش نفسه وغير محتاج الى « لعله » وقد ذكره بضبطه الفيروزأبادي في القاموس

(١) نص الذهبي في كتابه في طبقات القراء على أن الفويره من الفروهة ـ يعني الفراهية ـ وكذلك قال التقي الفاسي في منتخب المختار « ص ٨٣ » وقال شمس الدين ابن الجزري في غاية النهاية ١ : ٣٧٢ « الفويره من الفروهية تصغير فاره لحسن فهمه » . وهذا من الوضوح بأعلى مكان ؟!

١٩٥٩ م وأول جامعة ببغداد سنة ١٩٦٥ م وخزانة المستنصرية سنة ١٩٦٥ م ثم تاريخ علماء المستنصرية في مجلدين ضخمين سنة ١٩٦٥ م وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ ، وهذا عدا ما نشرته عنها في موجز تاريخ الحضارة العربية سنة ١٩٤٩ م وفي تاريخ العرب سنة ١٩٤٩ م والمدخل في تاريخ الحضارة العربية سنة ١٩٦٠ م » .

فهذا الكتاب نتيجة بحث وتحقيق وتقص وتدقيق دامت مدة ثلاثين سنة ، وهو عمل تاريخي جليل يستحق الثناء الأوفى ، ويبعث على الاعجاب والاكبار له ، وقد مرّ في كلامنا ذكر الباب الأول وهو نظرة تحليلية في تاريخ المستنصرية وعلمائها وفيها كلام على أنواع المدارس الفقهية والمدارس التي بنيت على المذاهب الأربعة أو بناء المدارس على صفة المستنصرية والمدرسة المستنصرية والدراسة فيها على عهد المغول وفيما بعد الغزو التنكي والمستوى العلمي فيها ، ومستوى المعيشة لطلابها ومصادر البحث عنها وعن علمائها .

والباب الثاني اشتمل على رجال الادارة في المستنصرية والباب الثالث على مدرسة [1] الفقه المستنصرية، والباب الرابع في مدرسة القرآن أو دار القرآن والباب الخامس في مدرسة الحديث أو دار السنة المستنصرية والباب السادس في مدرسة الطب المستنصرية والباب السابع في مشيخة الأدب العربي بالمستنصرية والباب الثامن في مشيخة العلوم فيها والباب التاسع في الأئمة والخطباء في جامعها والباب العاشر في الساعاتيين فيها والباب الحادي عشر في مكتبة المستنصرية والباب الثاني عشر في أثر علماء المستنصرية في الثقافة الاسلامية .

وألحق بالكتاب ملحقات وذيولا ، فالملحق الأول في سيرة المستنصر بالله منشيء هذه المدرسة الفخمة ، والملحق الثاني في أوقاف المستنصرية ، والملحق الثالث في العلماء الذين امتنعوا عن التدريس بالمدرسة والملحق الرابع في العلماء الذين تطاولوا للتدريس فيها

(١) هذا اسم جديد اختاره للمؤلف ، وعليه ينبغي أن يقال مثلا « درس فنون الفقه الحنبلي في مدرسة الفقه بالمدرسة المستنصرية وقرأ القرآن في مدرسة القرآن » وهو غير موائم للتاريخ ، فأقسام المستنصرية المذهبية لم تكن تسمى مدارس ، بل طوائف . وفيها دار القرآن كما ذكر للمؤلف الفاضل بعد « مدرسة القرآن » والالتزام بمصطلحات القوم من اللوازم .

والملحق الخامس في زوار المدرسة المذكورة ومكتبتها والملحق السادس في الدعوات والولائم فيها والملحق السابع في المآتم المقامة بها والملحق الثامن في نزلاء المستنصرية والمقيمين والملحق التاسع في مجالس المظالم بها ، وفض الخصومات فيها ، والملحق العاشر في المجالس العلميـة بها والملحق الحادي عشر في المستنصرية عبر العصور والملحق الثاني عشر في قاموس المستنصرية .

وقد زوّد الكتاب خوارط وصوراً عدّة ، فأصبح الكتاب بجميع ما قدمنا ذكره شبه دائرة معارف للمستنصرية ، وقد تعرض المؤلف الفاضل لذكري في كتابه هـذا غير مرة أكثرها على سبيل الاستدراك ، حتى في غلط الطبع ، واني لجـدّ شاكر له ما دامت نيّته خالصة لوجه التاريخ الصحيح ولعله أجاب رجائي الذي ضمنته الصفحة ٧٨ من تقدمتي للتلخيص ، وأحسبه أرحب مني صدراً للاستدراك الذي أستدركه عليه ، فأقول :

١ ـ قال في الصفحة الثلاثين من الجزء الأول : « وأما دور الحديث فقد كانت من مبتكرات الشهيد نور الدين زنكي » ثم قال في الفهرست ـ ج ٢ ص ٤٨٧ ـ « نور الدين زنكي » ونقل في حاشية الصفحة ٣٣ أنه نور الدين محمود بن زنـكي فأيتهما يتبع قارىء كتابه ؟ أيتبع ما في الفهرست وهو خطأ ، والصواب ماورد في الصفحة الثالثة والثلاثين .

٢ ـ وذكر في الصفحة الثانية والثلاثين أنّ من المدارس الحنفية « المدرسة البهائية » وأعاد ذكرها في الصفحة ٥١ من غير تخصيص ، ولم يذكر مرجعاً تاريخياً يثبت كون المدرسة البهائية للحنفية ، والذي أعلمه أنّها كانت للشافعية ثم أخـذها بعض الحنفية ثم أعيدت الى الشافعية سنة ٥٦٦ قال ابن الجوزي في حوادث هذه السنة [1] : « وقبض في يوم الجمعة خامس عشري [2] جمادى الآخرة على أحمـد القوي (!) وابنه وسعد الشرابيّ وأخذت مدرسة كانت للحنفية ، وقد كانت قديماً للشافعية وهي بالموضع المسمّى بباب

(١) المنتظم « ج١٠ ص ٢٣٤ ».

(٢) في المطبوع المشار اليه « عشرين » مع أن المؤرخين المتأخرين عمراً أضافوه وحذفوا النون .

المدرسة على الشط وقد حضرتُ فيها مناظرة يوسف الدمشقي وبيده كانت ، وآل أمرها إلى أن سُلّمت الى محمد البروي فدرّس فيها وحضر قاضي القضاة وشيخ الشيوخ وحاجب الباب ومدرس النظامية وابن سديد الدولة [محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأنباري] كاتب الانشاء » .

والبروي هو أبو المظفر محمد بن محمد بن محمد الفقيه الشافعيّ المتوفى سنة ٥٦٧[1] وقال الذهبي في مختصره لتاريخ ابن الدبيثي في سيرته : « ثم قدم بغداد فرزق قبولاً وبها درس الأصول والجدل بالمدرسة البهائية وكان يحضر دروسه خلق وجلس للوعظ بالمدرسة النظامية وأعجب الناس كلامه ...[2] » وعلقت على المدرسة البهائية ما هذا نصه « في الأصل بالمدرسة البهائية قريبة من النظامية . وأكد ذلك مؤلف الأصل ـ أعني به ابن الدبيثي ـ في ترجمته داود بن بندار الجيلي وكانت بالموضع المسمى باب المدرسة على الشط (المنتظم ج١ ص ٢٣٤) فكأنها كانت في محل القهوة المقابلة من الشمال لقهوة الشط الحالية ولما نعلم إلى من نسبت ؟ أإلى بهاء الدين أم الى بها الدولة أو [الملك][3] كما نسبت النظامية الى نظام الملك[4] والثقتية الى ثقة الدولة » .

٣ ـ وقال في الصفحة الثانية والثلاثين : المدارس الشافعية كالنظامية ومدرسة زمرد خاتون وهي مدرسة الأصحاب بالجانب الغربي قرب الشيخ معروف ... » وقد أعلم القارىء بهذا القول أنّ مدرسة السيدة زمرد خاتون كانت تعرف أيضاً بمدرسة الأصحاب ، ولم يذكر مرجعاً تاريخياً لقوله هذا ، ثم قال في الفهرست ـ ف ج٢ ص ٣٥٢ ـ : « مدرسة الأصحاب (أصحاب الشافعي : راجع مدرسة زمرد خاتون » .

ورجعت الى مدرسة زمرد خاتون في الفهرست فوجدت فيه إحالة على الصفحات «٣٢، ٥١ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ » فابتدأت بالصفحة الحادية والخمسين فاذا هو يقول فيها :

(١) المنتظم « ج١ ص ٢٣٩ » والمختصر المحتاج اليه « ج١ ص١١٦ » .
(٢) المختصر « ص ١١٦ ـ ١١٧ » .
(٣) سقطت في التصحيح .
(٤) وردت « الدولة » مكان الملك من خطأ الطبع .

« والثقتية على شاطىء دجلة تحت دار الخلافة بباب الأزج لأصحاب الامام الشافعي »ويقول في التعليق عليها : « الثقتية بناها ثقة الدولة علي بن محمد وكيل الخليفة المقتفي لأمر الله ، بناها للشافعية بباب الأزج على دجلة وكانت تعرف بمدرسة الأصحاب أي أصحاب الشافعي وبنى الى جانب المدرسة رباطاً للصوفية يعرف برباط الابرى ورباط شهدة .. » ثم قال في ص ٢٠٥ : « ولما تولى تدريس مدرسة الأصحاب أي أصحاب الشافعي وهي المدرسة المعروفة بالثقتية » . واحال استناده الأول على ابن النجار في الورقة ٢٩ والمسمى بالحوادث الجامعة في ص ٦٤ والكامل لعزالدين بن الأثير في ١١ : ٨١ وابن العماد الاصفهاني (كذا) في الخريدة وابن خلكان في ترجمة شهدة وابن الجوزي في المنتظم » . فان كانت مدرسة الأصحاب مدرسة زمرد خاتون بالجانب الغربي قرب معروف الكرخي فكيف تكون مدرسة ثقة الدولة علي بن محمد بالجانب الشرقي بباب الأزج على دجلة ؟ ! ومن المستغرب أنه ذكر في صفحة قوله الأخير ما هذا نصه « ومدرسة زمرد خاتون والدة الناصر بالجانب الغربي لأصحاب الإمام الشافعي أيضاً » . فحدث في قوله تناقض بيّن سببه أنّه ينقل أحياناً أقوال غيره ويتبناها فيتحمل ما يمكن وجوده فيها من الخطأ ، وهو لم يذكر هذا التعليق في طبعته الأولى لكتابه الجليل هذا ، ولكنه رجع الى تعليق لي علقته على الصفحة ٢٧٣ من القسم الأول من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي وهذا نصها « الثقتية من الثقة وياء النسبة منسوبة الى ثقة الدولة علي بن محمد ابن الابري[1] الشافعي وزوج شهدة بنت الابريّ التي قدمنا ذكرها في تعاليقنا ، بناها للشافعيّة بباب الأزج على دجلة أي محلة المربعة ورأس الساقية وتعرف أيضاً بمدرسة الأصحاب وتوفي سنة ٥٤٩ . ترجمة ابن النجار في تاريخه ، وذكره العماد[2] الاصفهاني في الخريدة وابن خلكان في ترجمة زوجه شهدة وابن الجوزي في المنتظم وبنى الى جانب المدرسة رباطاً للصوفية ،

(١) في المطبوع الأنباري نقلا من ترجمة « شهدة » في وفيات الأعيان . وهو تصحيف والصواب « الابري » كما في خريدة القصر « قسم العراق ج ١ ص ١٤٤ » والمنتظم « ١٠ : ١٦٠ » .

(٢) ورد في المطبوع « ابن العماد » سهواً . فنقل الأستاذ ناجي السهو أيضاً واصطلع به راضيا .

عرف برباط الابري » فهو قد نقل هذه الحاشية وحذف منها تعيين محلة باب الأزج عصرياً وزاد على جملة « يعرف برباط الابريّ » قوله « ورباط شهدة » والزيادة خطأ ، وقد تحمّل خطئي في اعتدادي مدرسة ابن الابري (مدرسة الأصحاب) . والذي زاده من الاحالة على كامل ابن الأثير انتزعه مني في حاشية علقتها على الصفحة ٦٤ من المسمى بالحوادث الجامعة قديماً فقد ورد في ترجمة أبي عبدالله محمد بن فضلان الفقيه الشافعي أنه درس بمدرسة الأصحاب ، وقلت أنا في الحاشية ما هذا نصه « بناها ثقة الدولة بن الأنباري (كذا) كما في الكامل ١١ : ٨١ والوفيات ١ : ٢٤٠ » . ونقل الاحالة على الكامل مني ولعله لا يملك الطبعة التي اقتنيتُها ، وإنه ـ أعزّه الله ـ في علمه وفضله لفي غنى عن الاحتواء حتى على الخطأ. والصحيح أن مدرسة السيدة زمرخاتون هي المعروفة حقاً بمدرسة الأصحاب ، كما ذكر الأستاذ الفاضل في أحد قوليه المتناقضين ، وإن لم يذكر مرجعاً تاريخياً للتصحيح ، فان كان اعتمد عليّ على سبيل التوثيق فلماذا لم يذكر اسمي لتكون عهدة الخطأ عليّ ؟ والنص التاريخي الذي يثبت ما قلت هو قول ابن الفوطيّ في ترجمة كمال الدين أبي القاسم عبدالرحمن ابن محمد البرجوني : « ودرس بمدرسة الأصحاب المجاورة لتربة أم الناصر [زمرد خاتون] في المحرم سنة أربع وستمائة ... (١) » .

٤ ـ وقوله : « وبنى الى جانب المدرسة رباطاً للصوفية يعرف برباط الابري ورباط شهدة » ذكرت في الاستدراكة الثالثة أن زيادته فيه « ورباط شهدة » خطأ ، لأن رباط زوجها غير رباطها ، وقد تقدّم أن رباط الزوج كان بباب الأزج على شاطىء دجلة ، مع أن رباط السيدة شهدة زوجه كان برحبة جامع القصر الذي بقيته الحالية « جامع سوق الغزل » وأين محلة المربعة ومحلة رأس الساقية من محلة الشورجة ومحلة جامع سوق الغزل ؟ ولا أدلّ على وهم الأستاذ الفاضل من قوله هو نفسه في الصفحة ٢٣٣ من هذا الجزء تعليقاً على اسم شهدة الوارد فيها : «فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر البغدادية الشافعية وزوجها ثقة الدولة علي بن محمد مؤسس المدرسة الثقتية بباب الأزج شرقي بغداد

(١) تلخيص معجم الألقاب ، ج ٥ في الترجمة ٣٩٧/ من باب الكاف » .

وكان له أيضاً رباط يعرف باسم كما كان يعرف برباط شهدة يقع في رحبة جامع القصر الذي بقيت منه المنارة المعروفة بمنارة سوق الغزل » وسبب نسيانه لما ذكر في الصفحة ٥١ من كون رباط ابن الابري بجانب مدرسته بباب الأزج على شاطيء دجلة هو اطلاعه على تعليق لي ذكرته في الصفحة ١٢٦ من القسم الأول من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب لورود ذكر « رباط الكاتبة » فيها ، قلت : « عنى بالكاتبة هنا المحدثة الأديبة المشهورة شهدة بنت الابري المتوفاة سنة ٥٧٤ وسيرتها مشهورة ولعلنا نعود الى ذكرها وترجمتها في المنتظم ووفيات الأعيان وغيرهما من كتب التاريخ والتراجم المستوعبة لعصرها ، وكان رباطها في رحبة جامع القصر المعروف أيضاً بجامع الخليفة وكان من بقـــاياه أرض جامع سوق الغزل ، الذي دخل في شارع وسط بغداد الحديد . مجلة سومر ج ٢ ص ١٩٠ مج ١١ سنة ١٩٥٥ » . فالصحيح أن رباط شهدة كان في رحبة جامع القصر وأن رباط زوجها ثقة الدولة كان بباب الأزج على شاطىء دجلة .

٥ — وقال في الصفحة ٤٢ و ذكر المدرسة المستنصرية : « وكان مكانها اصطبـــلات ومشرعة للرملات كما ذكر الصديقي » وقال التعليق ٣٤ : « الصديقي ، الورقة ٢٣٧ وهو ينفرد بهذه الرواية ... » ثم لم يلبث أن ذكر في حاشية الصفحة ١١٠ جامع الحظائر المعروف بجامع الخفافين وجامع الصاغة وذكر المستنصرية ودار الزعيم سقرجه وقال: « وقد بنيت هذه المباني في أرض كانت تعرف بمشرعة الرملات كما يقول ابن النجار وكان مكان المستنصرية بوجه خاص اصطبلات كما يذكر ابن أبي السرور الصديقي » إذن لم يذكر الصديقي أن المستنصرية كان مكانها مشرعة للرملات كما جاء في قوله الأول ، فان النقل الأول يشعر بجمعه بين القولين والنقل الثاني يشعر بتفرده بذكر الاصطبلات ، ثم إن الاستاذ الفاضل لم يذكر لقول ابن النجار مرجعاً تاريخياً ، كما ذكر لقول الصديقي .

٦ — وتطرق في الصفحة ٤٧ من هـــذا الجزء إلى ذكر نجم الدين البادرائي القاضي وإنشائه مدرسة للشافعية ، فقال : « وقد ذكر اليونيني في ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٧١ أن نجم الدين البادرائي ولد ســنة ٥٩٤ وأن الطلاب في النظامية كانوا يلقبونه بالدعشوش

وأنه أنشأ مدرسة للشافعية بدمشق في مكان دار أسامة بن منقذ عرفت بالبادرائية » . ولما قرأت قوله « دار أسامة بن منقذ » استغربت اسم الأب ، فرجعت الى ذيل المرآة فإذا نصه « فابتاع من ذلك دار أسامة بدمشق وعمّرها مدرسة للشافعية » . فعلمت أنه أضاف من عنده « ابن أسامة » . وهذه الزيادة خطأ منه فلم تكن الدار المذكورة دار أسامة بن منقذ الكناني الشيرزي بل دار أسامة الجبلي ، هذا الذي حفظناه في أثناء مطالعتنا التواريخ ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في ذكر بناء الدور بالقهر والاغتصاب والانتهاب : « وكذا جرى في زماننا فان أسامة الجبلي بنى داره بدمشق على هذا الوجه فأخربها الله على يد أيوب ابن الكامل محمد في سنة ٦٤٧ وكان أسامة قد غرم عليها أموالاً عظيمة وأخذ أراضي الناس والآلات بدون الطفيف وصح فيه قول القائل: الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب ، لت الحلال سلم فكيف الحرام ، وكانت هذه الدار سبب هلاك أسامة فان المعظم عيسى - ر ح - اعتقل أسامة وأخذ قلاعه وأمواله وضياعه وأنسابها ومن جملتها قلعتان : كوكب وعجلون ومات في حبسه بالكرك [1] وما هي من الظالمين ببعيد ، إن أخذه أليم شديد [2] » . ثم ذكر السبط خبراً لهذه الدار في حوادث سنة ٦٢٩ - ص ٧٠٧ - من هذا الجزء .

٧ - ومثل للتصحيف الواقع في الأعلام قائلاً في الصفحة ٦٤ « وابن العويرة ، شيخ دار الحديث بالمستنصرية يذكر في صورة القويرة والعويدة تارة والقُويرة والقويزة تارة أخرى » ، وأحال بالتصحيف على الشذرات « ٥ : ٤٣٨ » وتاريخ العراق بين احتلالين « ١ : ٣٨١ » والدرر الكامنة « ١ : ١٠٦ » وابن رجب « ٢ : ٤٦٤ » . ثم قال في حاشية الصفحة ٢٤٣ من هذا الجزء في ترجمة هذا الشيخ : « جاء في طبقات الحنابلة (كذا يعني ذيلها) ٢ : ٤٦٤ القويزة وفي تاريخ العراق بين احتلالين ١ : ٣٨١ القويرة وفي الدرر

(١) راجع تفصيل ذلك في النجوم الزاهرة « ٧ : ٢٠٥ : ٢٠٦ » وأخبار دار أسامة الجبلي في ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٦٢ منه .

(٢) مرآة الزمن « ٨ : ١٩ » طبعة حيدر أباد الدكن

٩ : ١٠٦ القويزة والعويدة وقال الدكتور مصطفى جواد في الحاشية ١ من ص ٣٩٧ من تلخيص مجمع الآداب ج ٤ (ولقب بالفويرة تصغير الفارة) وكلها تصحيف لكلمة الفويره. فهو قد أعاد ماذكره في متن الصفحة ٦٤ وزاد عليه دعواه أني وهمت في الاسم كما وهموا[١]، مع أني ذكرت في الحاشية التي أشار اليها من تلخيص مجمع الآداب أنه ابن الفُويره وقد ترجمه الذهبي في عدة كتب من كتبه والصفدي في تاريخه وابن رافع (في ذيل تاريخ بغداد الباقي منه المنتخب للتقي الفاسي) وغيرهم كمؤلف الشذرات ٥ : ٤٣٨. وفي هؤلاء من صرحوا بأن الفويره من الفروهة أو الفروهية، فكيف يعقل أن أصرف الفروهية الى الفأرة المعروفة ؟! ثم إنه ادعى أن الاسم صحف في الشذرات والحقيقة أنه ورد فيه صحيحاً. نعم لو كان الاستاذ الفاضل وحد هذا التصحيح فيما لانعرفه من الكتب لشكرناه على تصحيحه ولكنه يحاسبنا على غلط الطبع. قد أشرت الى الاسم في حاشية ص ٢٣١.

٨ — واستمر في الصفحة ٦٦ على تمثيله للتصحيف الوارد في غير الأعلام قائلاً: « ثم دقق العبارة التالية في منتخب المختار عن ابن الفصيح الكوفي الحنفي مدرس العربية بالمستنصرية: وله مصنفات في المذاهب ونظم النافع في العقد، كيف تحرفت من العبارة الصحيحة، وهي: وله النظم النافع في الفقـه ». وقد أحسن الأستاذ الفاضل في اعادة « العقد » المصحف الى « الفقه » الصحيح ولكنه أخطأ باضافة « أل » التعريف الى « نظم » فأصل الجملة مضاف ومضاف اليه، و « النافع » من كتب الفقه الحنفي المشهورة وهو في الفروع تأليف الشيخ الامام ناصرالدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسيني[٢]. وقد اعترف المؤلف الفاضل في كتابه هذا « ج ٢ ص ٢٢ » أنه الكتاب الموسوم بالنافع، ونسي قوله الأول « النظم النافع » !

(١) لعل السبب في غلط المؤرخين غير العراقيين في الفويره وجود رجل من رجال العلم اسمه « بدرالدين محمد بن عبد الرحمن ابن الفويرة توفي سنة ٦/٥ « السلوك ١ : ٦٣٤ » ودرة الاسلاك لابن حبيب « الورقة ٤٠ » والشذرات « ٥ : ٣٤٧ ».

(٢) كشف الظنون في باب النون.

٩ ـ وقال في الصفحة ٨٠ من الجزء الأول أيضاً معلقاً : « ابن الناقد نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد عربي هاشمي ولد في ربيع الأول سنة ٥٧١ ... » ولم أقرأ في تاريخ من التواريخ أن نصير الدين ابن الناقد كان هاشمياً . وقد رجعت إلى مراجعه ، فقد ذكر فيها ما سميناه بالحوادث الجامعة فوجدت مؤلفه يقول ـ ص٢٩٠ـ : « ذكر وفاة نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد . كان من أولاد التجار المعروفين حفظ القرآن المجيد ... » ومنها المسجد المسبوك للخزرجي قال مؤلفه في حوادث سنة ٦٤٢ ووفياتها : «وفيها توفي الوزير الكبير ملك العراقين أبو الأزهر نصير الدين أحمد بن محمد بن علي ابن الناقد البغدادي وكان مولده [١] ... » وبحثت في غير ما ذكر من المراجع كنزهة الأنام في تاريخ الاسلام لابن دقماق فاذا هو يقول في حوادث السنة المذكورة ووفياتهـا : « وفيها توفي الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد أحد أولاد التجار المشاهير وذوي الثروة واليسار [٢] ... » وقال ابن كثير في البداية والنهاية : « الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي ابن الناقد وزير المستعصم وأبيه المستنصر ، كان من أبناء التجار ... » وقال العيني في عقد الجمان : « الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد ابن علي بن أحمد ابن الناقد البغدادي [٣] ... » والحقيقة أن كونه من أبناء التجار لاينفي أن يكون ذا نسب من الأنساب المشهورة إلا أني كما قلت آنفاً لم أجد أحداً نسب إليـه الهاشمية ، وليس في المرجعين اللذين ذكرهما المؤلف الفاضل ما يؤيد قوله بهاشميته فضلاً عن غيرها من أنساب الاتخاذ والعمارات والقبائل والأمم والأجيال .

١٠ ـ وذكر في الصفحة ٩٥ صدر الدين علي بن نصير الدين الطوسي الحكيم ، قال : « ذكر ابن شاكر الكتبي وابن تغري بردي والصفدي أنه ولي بعد أبيه غالب مناصبه ، فلما مات ولي بعده أخوه أصيل الدين . ورحل إلى الشام مع السلطان غازان وحكم في أوقاف

(١) نسخة المجمع العلمي للمصورة « و ١٦٥ »

(٢) أصول التاريخ والأدب من مجموعتنا الخطية « ٩٠ : ٩٦ » .

(٣) المرجع المذكور « ١٣ : ٨٦ » .

الشام ... وذكره صاحب الحوادث الجامعة فقال : وفي سنة ٦٨٧ كفت يد صدر الدين وإخوته أولا نصير الدين الطوسيّ عن النظر في وقوف العراق وأعيد الأمر فيها الى حكام بغـــداد ثم عاد الأمر اليهم في سنة ٦٨٨ » . وقوله « ورحل » يلتبس على القارئ فلا يدري أصدر الدين الراحل أم أصيل الدين ؟ فان يُقَل إن الفعل « رحل » ينصرف الى أصيل الدين ، يقل : وماذا نفعل بقوله بعد ذلك « وذكره صاحب الحوادث الجـــامعة ... » ؟ وليس هذا استدراكاً على المؤلف الفاضل بل هو استفهام واستعلام .

١١ — ونقل في الصفحة ١٠٢ موجز سيرة علاء الدين محمد بن سعد الدين الجاجرمي وفيها « قدم بغداد حاكماً على السيد الأعظم عزالدين القنديّ وهو شـــحنة الوقوف ببغداد ... » وجاء في الفهرست — ص ٤٥٩ — « عزالدين القنـــدي » مع أن الوارد في التلخيص هناك أي في الصفحة ١٠٨٤ ناقص والصواب « الدلقندي » وقد أحلت عليه في الحاشية ، وهو عزالدين الدلقندي الوارد في الصفحـــة « ١٧٠ » . وأنا معذور فالمصحح دمشقي وأنا المحقق عراقي ببغداد ، ومن عادة الأستاذ الفاضل أن يتتبع حتى الغلطات المطبعية ، ففاتته هذه وترك الغلط في كتابه فوجب عليّ التصحيـــح .

١٢ — وجاء في حاشـــية الصفحة ١٢٤ السلطان ملكشاه بن محمد بن أرســــلان السلجوقي ... » وفي اسم الأب سهو لأنه « ملكشاه بن ألب أرسلان » لا أرسلان وحده .

١٣ — وورد في ترجمة ظهير الدين البخاري ـ ص ١٢٨ ـ ما هذا نصه « واشتغل عليه أبو العباس أحمد بن الساعاتي ، سمع منه أبو العلاء الفرضي شيخنا قطب الدين » وأحال بذلك على الجواهر المضيـــة في طبقات الحنفية لمحيي الدين القرشي ، وقال في الفهرست — ج ٢ ص ٦٤٩ — : « قطب الدين أبو العلاء ، راجع العلاء الفرضي » . فأقول في ذلك : إن الذي ورد في الجواهر هذا نصه « واشتغل عليه أبو العباس أحمد بن الساعاتي . سمع منه أبو العلاء محمود الفرضي ـ شيخنا قطب الدين » وهذا الخلط بين كلمة « الفرضي » وكلمة « شـــيخنا » يمثل سقطاً لعله كلمة « أجاز » ولكن الأستاذ المؤلف الفاضل أدمج الاسمين وجعلهما « أبو

العلاء الفرضي شيخنا قطب الدين » ظاناً أن أبا العلاء الفرضي هو الملقب بقطب الدين، مع أن أبا العلاء محموداً الفرضيّ كان يلقب « شمس الدين » فهو نفسه يقول في الفهرست — ج ٢ ص ٤٤٧ — : « شمس الدين الفرضي : راجع أبو العلاء شمس الدين الفرضي » ، ومع أن قطب الدين إنما هو « عبد الكريم بن عبد النور الحلبي الأصل والمولد ، المصريّ » ترجمه صاحب الجواهر في موضعه قال : « عبد الكريم الامام ، كتب بخطه وسمع الكثير وحدّث وأفاد وأحسن ودرس لطائفة المحدثين بالجامع الحاكميّ وأعاد بالقبة المنصورية لطائفة المحدثين وصنف وجمع ... ومات في سلخ رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بمنزله خارج باب النصر، جوار خاله شيخنا نصر المنبجي ودفن بها [1]... » والرجل فقيه ومحدث ومؤرخ مشهور ولو لا ذلك ما عرفناه .

١٤ — وأورد في الصفحة ١٥٦ من هذا الجزء قول شاعر يهجو محيي الدين يوسف بن الجوزي الفقيه الحنبلي وأستاذ دار الخلافة على عهد المستعصم بالله :

سمّوه باسمين كانا صدّيق فيما يقول

وشدّد الدال المكسورة واثقاً بأن الكلمة « صديق » مع أنها تصحيف « ضدّين » مثنى الضد ، فلو كان الاسمان « صِديقاً » ما كان قول الشاعر هجواً بل كان مدحاً ، ويؤيد ما قلت أنا البيت الأخير الموضح للضدّين وهو :

محي تصدى مميتاً ويوسفاً وهو غول

١٥ — وترجم في الصفحة ١٦٢ لكمال الدين أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن وضاح الشهرابانيّ المتوفى سنة ٦٧٢ على أحد الأقوال وقيل سنة ٦٧١ أو سنة ٦٧٣ أو سنة ٦٧٤ ، ولم يدفع مؤرخ وفاته الى سنة ٦٧٥ ، وقد ذكر المؤلف الفاضل في ترجمته — ص ٢٨٤ — أن ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي الفقيه المحدث المؤرخ المولود سنة ٧٣٦ هـ المتوفى سنة ٧٩٥ ، سمع من ابن وضاح الشهرابانيّ المقدم ذكره كتاب النكاح

(١) الجواهر المضية « ٢ : ٣٢٥ » .

بكماله ، وهذا نص قوله « وسمع منه ابن رجب كتاب النكاح بكماله » . فكيف يسمع الشيخ المولود سنة ٧٣٦ من الشيخ المتوفى سنة ٦٧٤ على أكثر تقدير وبين وفاة الشيخ ومولد التلميذ « ٥٢ » سنة ؟! إن المؤلف أحال بهذا الخبر وأمثاله على كتاب « ذيل طبقات الحنابلة » وليس فيه ما يفيد ذلك ودونك نصه المهم « وحدث الشيخ بالكثير وسمع منه خلق وروى عنه ابن حصين الفخري ... وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن المؤذن الوراق وروى عنه صحيح البخاري وسمعت عليه حضوراً في الرابعة كتاب النكاح بكماله » .

وهذا يعني أنه سمع كتاب النكاح من صحيح البخاري على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن المؤذن الوراق لا على ابن وضاح ، فان من المستحيل أن يكون سامعاً من ميت مات قبل ولادته بنصف قرن وأكثر منه .

١٦ — وورد في الصفحة ١٦٨ أيضاً « وكان يجلس للوعظ بمجلس القاعوس بدرب الحب » ولم يذكر للقاعوس هذا تعليقاً ولا لدرب الحب أو الجبّ ولا ذكر القاعوس في الفهرست ، والظاهر انه مصحف ولكنه لم يستطع إصلاحه والقاعوس الحية وغيرها .

١٧ — ويتعمد المؤلف الفاضل كسر السين من « السماع » الخاص بالحديث ، كما جاء في الصفحة ١٧١ ، والصفحة ١٩٩ والمعروف « السّماع » بفتح السين ، لأنه في الأصل أحد مصادر الفعل « سمِع » ثم نقل الى الاسمية واتخذ اصطلاحاً ، وفي المصباح المنير أن السَّماع اسم مصدر ، فان كان عند المؤلف الفاضل مرجع لكسر السين فليفدناه فنحن من طلاب الفوائد .

١٨ — وذكر في الصفحة ١٧٢ منه « الكافي في شرح الخُرُقي » وكرر الخرقي مرتين بضم الخاء والراء ومرة ثالثة بلا شكل ، وأعاد الشكل بضمتين في الصفحة « ١٨٠ » وتأكيد الضم يدل على تأكده عند المؤلف ، مع أن المعروف المحفوظ هو « الخِرَقيّ » جمع الخرقة ، قال السمعاني في الانساب وابن الأثير في اللباب : « الخِرَقيّ بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وفي آخرها القاف ، هذه النسبة الى بيع الخرق والثياب ، منهم جماعة ببغداد واصبهان فمن بغداد أبو علي الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي الحنبلي ... وابنه

أبو القاسم عمر بن الحسين الفقيه الحنبلي صاحب المختصر ... » . فالشرح المذكور آنفاً هو شرح مختصره . فهو الخِرَقيّ لا الخُرُقي كما ظن المؤلف الفاضل .

١٩ — وقال في حاشية الصفحة ١٩٨ « نسبته الى فاروث من قرى واسط على شاطيء دجلة بين واسط والمذار » وهو كلام معقول مقبول ، ثم قال في الصفحة ٢١٨ : « نصير الدين أبو بكر عبد الله بن عمر بن أبي الرضا الفارسي الفاروثي الشافعي ، ولد بفاروث وهي قرية من عمل شيراز وسكن بغداد ... » ثم قال في حاشية ٣٣١ : « نسبته الى فاروث إحدى قرى واسط ، راجع لحظ الألحاظ ص ٨٦ » ، ومعلوم أن « فاروث » لا صلة لها بشيراز فهي من قرى أواسط العراق .

٢٠ — وقال في حاشية الصفحة ٢٠٦ تعليقاً على اسم سيف الدين الآمدي المتكلم : « ولد بآمد سنة ٥٥١ وانحدر الى بغداد ودرس بها على يحيى بن فضلان مدرس المستنصرية وعلى غيره وتوفي بدمشق سنة ٦٣١ ، الوافي ٢ : الورقة ١٢٦ » . وفي هذا القول خطأ هو أن يحيى بن فضلان لم يكن مدرس المستنصرية ولا عاش الى زمان إنشائها وافتتاحها ، لأنه ولد سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٥٩٥ وقد درس بالمدرسة الفخرية المعروفة بدار الذهب [1] ، وقد التبس عليه بابنه محيي الدين أبي عبد الله محمد بن يحيى المتوفى سنة ٦٣١ فقد كان أول مدرس للشافعية بالمستنصرية كما هو مستفيض في التواريخ المستوعبة لعصره .

٢١ — وقال في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي « ص ٢١١ » ناقلاً : « قال ابن النجار : وبرع في المذهب والخلاف وسمع الحديث من ابن كليب وحدث عنه . وسمع منه ابن الجوزي وغيرهما وأعاد وأفتى ودرّس ، ولم يذكر ابن النجار المدرسة التي أعاد فيها » . قلت : في قوله « وسمع منه ابن الجوزي » خطأ لا أحسب ابن النجار قاله ، والصواب « وسمع الحديث من ابن كليب وحدث عنه وسمع من ابن الجوزي

(١) مختصر تاريخ ابن الدبيثي للذهبي « الورقة ١٢٨ من النسخة المصورة بالمجمع ، وطبقات السبكي الكبرى « ٤ : ٣٢٠ » وتاريخ الاسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس . الورقة ٨٤ » والشذرات « ٤ : ٣٢١ » وتكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني « ص ٥٤ » .

وغيرها ... » فان أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي توفي سنة ٥٩٧ كما هو مشـــهور ، وإطلاق « ابن الجوزي » لا يعني غيره من ابنائه ولا سبطه ، فـكيف يسمع الحديث من ابن مقبل المتوفى سنة ٦٣٩ كما هو معلوم ؟!

٢٢ — وترجم في الصفحـة ٢١٥ لعماد الدين أبي ذي الفقـار محمد الحسيني المرنديّ الشافعي الفقيه المدرس وقال : « ولد بمرند سنة ست وتسعين وخمسمائة وتوفي في شعبان في سنة ثمانين وستمائة وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي ومنتخب المختار أنه توفي سـنة ٦٨٥ » وقال في الحاشية تعليقاً على مولده مَرَنْد : « من مدن أذربيجان وجاء في منتخب المختار أنه وُلدبخويّ وليس بمرنـد » . وقد خلط الاســـتاذ المؤلف ها هنا بين المترجم وابنه ذي الفقار بن محمد الحسني ، فهو الذي ولد بمرند سنة ٦٢٣ هـ [1] وخلط أيضاً بين تواريخ وفاتيهما ، فالابن ذوالفقار هو الذي توفي سنة « ٦٨٥ » أي بعد وفاة والده بخمس سنين ، ولم يخصّ مؤلف منتخب المختار الوالد عماد الدين بترجمـة حتى يقـول المؤلف « وجاء ... ومنتخب المختار أنه توفي سنة ٦٨٥ » بل ذكره استطراداً ، ولم يذكر الذهبي أنه توفي سنة ٦٨٥ حتى يقول المؤلف : « وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي ... أنه توفي سنة ٦٨٥ » ، وإنما قال الذهبي في وفيـات ٦٨٥ : « ذو الفقار بن محمد بن الشرف (كذا) [2] ابن محمد أبو جعفر العلوي الحسني مدرس المستنصرية . ولد سنة ثلاث وعشرين وسـتمائة ، بخوي وسمع ببغداد من الكاشغريّ وابن الخازن مات في شعبان . ومات أبوه في سنة ثمانين ببغداد في شعبان وله ثمانون وثلاث سنين ... » فهذا تصريح بأن وفاة الوالد كانت سنة (٦٨٠) فلا يجوز أن ينسب الى الذهبي ما لم يقله وما لم يقل به .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٢٢٠ من الجزء الأول أيضاً ترجمة جمال الدين عبد الله بن محمد ابن الماقولي ، وذكر في ص ٢٢١ أن وفاته كانت سنة ٧٢٨ هـ وقال في الحاشية : « ذكـر

(١) منتخب المختار « ٥٥ » .

(٢) في نسخة المتحفة البريطانية « ١٥٤٠ و ٤٦ » وفيها تصاحيف .

السبكي أنه ولد في سنة ٦٢٨ ومات سنة ٧١٨ وليس بصحيح ، والصواب ما ذكرناه وجاء في الدرر (٢ : ٢٩٩) أنه مات في ذي القعدة . وجاء في أعيان العصر ، الورقة ٤٧ أنه توفي في سنة ٨٥٧ وهو خطأ فاحش » .

قلت : ليس في طبقات السبكي الكبرى المطبوعة أنه ولد سنة ٦٢٨ بل فيه من خطأ الناسخ أنه ولد سنة ٦٨٣ ، وليس فيه أنه توفي سنة ٧١٨ بل فيه أنه توفي سنة ٧٢٨ [1] هـ ، وهذا نص المطبوع « عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي ، مفتي العراق جمال الدين ابن العاقولي البغدادي مدرس المستنصرية ببغداد . مولده سنة ثلاث وثمانين (كذا) وستمائة . ومات في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ببغداد » .

أما ما ذكره من أن وفاته في أعيان العصر للصفدي ـ و ٤٧ ـ في سنة ٨٥٧ وأنه خطأ فاحش ، فلا وجود له . قال الصفدي : « عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي الشافعي الامام المفتي بالعراق جمال الدين ابن العاقولي البغدادي مدرس المستنصرية ، كان يقول إنه سمع من محيي الدين بن الجوزي وسمع من الكمال المكبّر وروى عن ابن الساعي شيئاً من تآليفه . كان إماماً عالماً ... حميد الطريقة ، مفتي العراق على الحقيقة ، أفتى نحواً من سبعين سنة ... وتوفي رحمه الله في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وعدّل سنة سبع وخمسين وستمائة ورزق الحظ في فتاويه ودفن بداره التي وقفها على ملقّن وعشرة أيتام وكانت جنازته عظيمة الى الغاية ماروئي مثلها[2] .. »

فقول المؤلف الفاضل يبعث على الاستغراب .

٢٤ — وورد في ترجمة علي بن أبي الفرج البابَصري ـ ص ٢٣٤ ـ ما هـــذا نصه : « قال ابن رجب : ذكره الشريف عز الدين الحافظ وأظنه البَزْدَوي الواعظ [3] » . والذي

(١) طبقات الشافعية الكبرى « ٦ : ١٠٧ » من الطبعة الأولى .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٩ ور ٤٧ » .

(٣) واحال بذلك على ذيل طبقات الحنابلة « ٢ . ٢٤٩ » والشذرات « ٥ : ٢٠٤ » .

في ذيل طبقات الحنابلة هو « ذكره الشريف عز الدين الحسيني الحافظ . وأظنه البردوي [1] الواعظ المتقدم ذكره » . وقد أصلح البردوي بالبزدوي وهو إصلاح غير صالح والصحيح « البزوري » فهو الواعظ المعروف بهذا النسب وسيرته مشهورة جاء في منتخب المختار ترجمة ابنه وحفيده ، قال في ترجمة ابنه محفوظ بن معتوق بن أبي بكر : « وكان يحضر مجلس أبيه الشيخ العلامة الواعظ معتوق بجامع دمشق وكان قد غاب سنين كثيرة في التجارة ودخل الى الهند والصين فاتفق أنه حج سنة بضع وثمانين وحج ابنه فالتقيا بالموقف فلم يكد يعرف أحدهما الآخر من طول الغيبة [2] ... » . فلا صلة لابن البزوري بالبزدوي . بله أن الوارد في ذيل طبقات الحنابلة هو « ابن فلان الواعظ » والبزدوي لم يعرف « بابن فلان الواعظ » بل هو « البزدوي » حسب ، كما ورد في هذا الكتاب « ١ : ٦٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ » وابن فلان إما كناية وإما كنية .

٢٥ — وجاء في الصفحة ٢٣٥ ، أن ابن الصياد ابن رجب قال في سيرته : « روى عن ابن حنبل وابن طبرزد والكندي والطبقة » . كذا جاء « ابن حنبل » وأشار الى صفحته المؤلف الفاضل في الفهرست « ج ٢ ص ٤٢١ » وقد استغربت أن يكون « ابن حنبل » الامام المشهور شيخاً محدثاً لرجل من أهل القرن السابع للهجرة ، فرجعت الى ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٣١٨ » فاذا هو يقول : « روى عن حنبل وابن طبرزد والكندي والطبقة ... » فلا ذكر لكلمة « ابن » ، وهو حنبل بن عبد الله الرصافي المحدث المتوفى سنة ٦٠٤ وقد استطرد المؤلف الى ذكره في موضع آخر من كتابه هذا « ١ : ٣٤١ » .

٢٦ — وجاء في ترجمة شافع بن عمر الجيلي - ص ٢٣٨ - قول المؤلف الفاضل : « وقال ابن رجب أيضاً : ودرّس بالمدرسة الجاهدية بدمشق وأقرأ الفقه مدة ، قرأ عليه جماعة منهم والدي» ، وقد دعاني تصرُّف المؤلف بالنصوص أحياناً الى التحقيق فلم أجد ابن رجب يصرّح

(١) كان للمؤلف الفاضل في قال صفحة من صفحات اختياره باصلاح التصحيف - ص ٦٦ - : « والبزدوي الى البردوي » أراد به هذا الموضع ، فقد ورد البردوي وأصلحه بالبزدوي إصلاح من لا يشك في قول نفسه : ،

(٢) منتخب المختار « ص ١٦٢ »

بموضع المدرسة الجاهدية وهذا نص قوله – ج ٢ ص ٤٣٥ – « ودرّس بالمدرسة الجاهدية وأقرأ الفقه مدة ، قرأ عليه جماعة ، منهم والدي ... » . وأعاد ابن حجر العسقلاني بعض ذلك قائلا : « وأعاد بالمستنصرية ودرّس بالجاهدية وكان ماهراً في الطب والفقه (١) » .

والظاهر أن المؤلف الفاضل اغتر بقول ابن العماد الحنبلي : « ودرّس بالجاهدية بدمشق» وقوله بعيد ذلك : « ومدرسة الجاهدية تعرف الآن بالحجازية ثم صارت اصطبلا خيل الطانشمندية (كذا) . لا حول ولا قوة إلا بالله ... » . فابن العماد لم يتعد نص ابن رجب في ذيل الطبقات وليس في الطبقات ذكر لدمشق فكيف علم أنها كانت بدمشق وانها انقلبت الى الحجازية ثم صارت اصطبلا لخيل الطانشمندية ؟! وكيف جاز للأستاذ المؤلف أن يعزو قول ابن العماد الى ابن رجب ؟! ولنحسب أنه كانت بدمشق مدرسة تعرف بالجاهدية أفلم تكن ببغداد مدرسة تعرف بالمدرسة الجاهدية (٢) ؟ فهو أولى بأن يكون مدرساً فيها لأنه – أعني شافع بن عمر الجنبلي – سمع الحديث ببغداد ودرس الفقه بها وتزوج فيها ، وليس في سيرته اشارة الى أنه رأى دمشق فضلا عن أن يدرس في مدرسة بها ، وقد وصف بالجيلي ومعنى ذلك أنه جاء بغداد من البلاد الفارسية ، ولذلك قال مؤرخوه : « ... لكنه قاصر العبارة في لسانه عجمة » .

والصحيح أن الجاهدية المذكورة في سيرة الشيخ شافع الجيلي كانت مجاهدية بغداد قال ابن قاضي شهبة في ذيل تاريخ الذهبي في وفيات سنة ٧٤١ هـ : « شافع بن عمر بن اسماعيل الامام ركن الدين أبو محمد الجيلي الحنبلي مدرس الجاهدية ببغداد ، تفقه على القاضي تقي الدين الزريراني وغيره وسمع من ابن الطبال والدواليبي وغيرهما وأعاد بالمستنصرية ، ذكره المقرئ شهاب الدين ابن رجب في مشيخته وقال فيه : الفقيه الأصولي الطبيب اشتغل وصنف ، قرأت عليه غالب مختصر الخِرَقيّ بحثاً ، وصنف كتاب زبدة الأخبار في

(١) الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنة « ٢ . ١٨٦ » .

(٢) ورد ذكر الجاهدية هذه في هذا الكتاب الجامع في عدة مواضع منها في ج ١ ص ٥١ ولكن المؤلف جعل هذه الصفحة في الفهرست – ص ٣٥٥ – لمدرسة الجاهدية للظنون وجودها بدمشق .

مناقب الأئمة الأربعة الأبرار . توفي في هذه السنة ببغداد ودفن في دهليز تربة الأمام أحمد بالقرب منه [1] » .

٢٧ — ووردت في الصحفة ٢٥١ ترجمة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الواحد المقدسي المعروف الجوراني [2] في باب « المعيدون بالشافعية » وقد جاء في تاريخه الأرقامي الذي وضعـــه المؤلف ما هذه صورته « المتوفي ؟ /٧/ ٧٥٥ هـ » وفي أوصافه « الشافعي نقلا من منتخب المختار ـ ص ٣٣ » مع أنه ورد في آخر الترجمة أنه توفي بالمدينة في شهر رجب سنة ٦٧٦ هـ وأن الصيرفي ذكر أن والده الحسن بن علي الصيرفي « قال عنه إنه كان حنبلياً صالحاً عالماً ... » ولم يقل إنه انتقل من الشافعية الى الحنبلية ، فكيف نوفق بين قولي مؤلف منتخب المختار ؟ وقد نقلهما المؤلف وتركهما على حاليهما من التناقض من حيث مذهب الشيخ ـ رح ـ . فأقول : ورد ذكره في لسان الميزان ـ ١ : ٢١٥ ـ خلواً من نعته « الشافعي » ومحتوياً على قول القائل : « وكان حنبلياً صالحاً عاقلا كثير التفكر » . وجاء ذكر أبيات له : في آخر الترجمة : « قلت : وهذا نفس صوفي فلسفي وهو عجيب من حنبلي » . فالشيخ أعاد للحنابلة لا للشافعية . وسنة وفاته في لسان الميزان تختلف عن سنة وفاته في منتخب المختار ، فهي في اللسان (٦٦٧) نقلا عن البرزالي وغيره ، بقي لنا أن نسأل المؤلف الفاضل ما معنى رسمه « المتوفى في ؟/٧/٧٥٥ » الذي ذكرناه آنفاً ؟

٢٨ — وذكر المؤلف في الصفحة « ٦٠ » معيداً لقبه ونسبه « شمس الدين الاصفهاني » قال : « يظهر أنه كان معيداً بالمستنصرية إذ نقل في الحرم من تلك السنة الى تدريس المستنصرية ... » . ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب التاريخ عن شمس الدين الاصفهاني المعيد والمدرس غير هـــذا الخبر الحادث سنة ٦٨٧ ، ولكن المؤلف الفاضل لرغبته في الاستقصاء ذكر شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني المؤلف المشهور وأحال بترجمته على

---

(١) نسخة دار الكتب الوطنية المرقة ١٥٩٨و٥ والنسخة المرقة ١٦٠٠و١٥ » .

(٢) قال المؤلف في الحوراني : « قرية على باب همدان » مع أن المترجم مقدسي ومن حوران فهو « حوراني » لا جوراني .

* *

فوات الوفيات ١ : ٧٢ (كذا) وقال : « ولعلّ هــذه الترجمة لشمس الدين المذكور » وهذا من المحال فالرجل الأول نقل الى التدريس ببغداد من مدرسة الى مدرسة سنة ٦٨٧ والثاني محمد بن محمود كان قد قدم الشام بعد الخمسين وستمائة وعاش بالشام ومصر ثم توفي سنة ٦٨٨ هناك ولم تكن له صلة بمدارس العراق بعد دخوله الشام وتدريسه بها وبمصر ، فترجمة شمس الدين الاصفهاني المعيد المدرس ببغداد لا تزال مجهولة ، والألقاب والأنساب تتشابه حتى بين المتعاصرين ، ومن شموس الدين الاصبهانيين « محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الاصبهاني أبو الثناء الشافعي الأصولي شمس الدين المولود سنة ٦٧٤ هـ »[١] وشمس الدين محمد بن محمود الاصبهاني شيخ خانكاه الأمير قوصون سنة ٧٣٦ « السلوك ج ٢ ص ٣٩٠ » فمن الواضح جداً أنهما لا صلة لهما بذاتية شمس الدين الاصبهاني المدرس المعيد المقدم ذكره آنفاً ، وشمس الدين الاصفهاني الذي أحال بترجمتــه المؤلف الفاضل على فوات الوفيات مشهور جداً فترجمته في تاريخ الاسلام للذهبي، وشذرات الذهب لابن العماد كما ذكر المؤلف نفسه ، وفي البداية والنهاية وبغية الوعاة وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي وحسن المحاضرة .

٢٩ — وقال في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف الأرموي – ص ٢٧٤ – : « وقد رحل الى تبريز واجتمع فيها بالمؤرخ عز الدين حسن الاربليّ سنة ٦٨٩ وقص عليه حياته التي ذكرنا جانباً منها » .

قلت ذكر ابن فضل الله العمري ما هذا نصه : « وذكر العز حسن الاربلي في تاريخه قال : جالست مع عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فأخبرني أن هولاكو[٢] ... الخ » وذكر ذلك مؤلف الكتاب نفسه في الصفحة « ٢٧٠ » فجائز أنه قص عليه سيرة نفسه ببغداد أيضاً ولا إلزام بأن يكون الاقتصاص بتبريز وخصوصاً هذه الحكاية التي ورد التصريح بأنها حكيت بالمستنصرية .

٣٠ — وذكر في الصفحة ٢٧٧ ترجمــــة قوام الدين أبي الفضل علي بن قتلغ التركي

(١) منتخب المختار « ص ٢١٨ » .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ و ١٥٢ » وثمرات الأوراق « ج ٢ ص ٣٤ » .

البغدادي وقال نقلا من معجم الألقاب لابن الفوطي : « من فقهاء الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية ، فقيه فاضل ، كاتب ناسخ ، كتب لنفسه ولغيره ... وجمع أشعار الأديب تقي الدين [1] بن علي المغربي ... » وقد استغربت قول ابن الفوطي في اعتداد له مالكياً مع أن الغالب على الاتراك وسكان ما وراء النهر وتركستان المذهب الحنفي . ثم قرأت في وفيات سنة ٦٨٤ من تاريخ الاسلام للذهبي فوجدت فيه ما يأتي « علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر الفقيه الأديب البارع تقي الدين القرشي البغدادي الشاعر المعروف بابن المغربي صاحب تيك القصيدة السائرة التي أولها :

يا دبدبه تدبدبي أنا علي ابن المغربي

مات ببغداد فيما ورّخه ابن الفوطي في ثامن ربيع الآخر سنة أربع وثمانين ، وقد اعتنى الفقيه قوام الدين الحنفي بجمع ديوانه [2] » . فتحقق عندي أن قوام الدين حنفي لا مالكي . وهذا اعتراض على ابن الفوطي لا على المؤلف .

٢٩ — وترجم في الصفحة « ٢٨٠ » عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري ثم المدني المولود سنة ٦٢٥ المتوفى سنة ٦٩٦ ، وقال فيما قال من سيرته ـ ص ٢٨١ ـ : « وسمع من أبي الحسن المبارك بن محمد بن مزيد بن الهلال الخواص الأنصاري ، الأول والثاني من حديث ابن نجيح بالمستنصرية ... » وعلق المؤلف الفاضل على « ابن نجيح » بقوله : « ابن نجيح هو القاضي الفقيه المرضي المحدث زين الدين أبو حفص عمر بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القادر الشهير بابن نجيح الحراني الأصل ، الدمشقي الحنبلي . ولد سنة ٦٨٥ هـ وتوفي سنة ٧٤٩ وولي المشيخة الضيائية ، راجع التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ للطهطاوي الحنفي ص ٢٤ ـ ٢٥ » . وهذا غير معقول البتة ولا صحيح ، لأن حديث ابن نجيح كان موجوداً قبل سماع المبارك بن الخواص له ، بزمن طويل فكيف يسمع الشيخ المتوفى سنة ٦٩٦ وهو ابن مزروع ، من شيخ آخر هو المبارك بن الخلاص ، كتاب شيخ

(١) كلمة « ابن » زائدة لا وجود لها في معجم الألقاب .

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة المتحفة البريطانية ١٥٤٠ و ٣٨ » .

ولد سنة ٦٨٥ وتوفي سنة ٧٤٩ ؟! والصحيح أن ابن نجيح صاحب الأحاديث المروية هو «أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح البزاز ، قال الخطيب البغدادي : «كان ينزل بالجانب الشرقي من مربعة الخرسي وحدث عن يحيى بن أبي طالب و ... حدثنا عنه أبو الحسن ابن زرقويه ـ وذكر لنا أنه كان حافظاً ـ وأبو الحسن بن الفضل وأبو علي بن شاذان » ثم ذكر أنه كان ثقة وتوفي سنة ٣٤٥ هـ [1] . فقول المؤلف الفاضل يدل على الاستعجال ، ولو قال إنه جدّ الشيخ الذي ذكره ـ أي عبد الأحد بن سعد الله بن نجيح الحراني [2] ـ لم يصح أيضاً ، لأن ذلك يعني أنه روى عن شيخ توفي سنة (٦٩٠ هـ) وعن آخر توفي سنة ٦٩١ وعن ثالث توفي سنة (٧١٠) .

٣٠ — وورد في الصفحة ٢٨١ « ووالد منتخب المختار رافع السّلامي » والمعروف أن مؤلف منتخب المختار هو تقي الدين الفاسي لا رافع ، أما تأليف ابن رافع السلامي فهو المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار [3] » .

٣١ — وقال في الصفحة ٢٢٣ مستدركا على تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٣٨٥ : « جرنداب مقبرة بتبريز دفن فيها شمس الدين الجويني ، راجع التلخيص ٤ : ٣٨٥ فقد وردت خرنداب بدلا من جرنداب وليست بذاك » والذي وقع في التلخيص إنما هو من غلط الطبع ، ولكنه حين أصلحه لم يسند تصحيحه الى مرجع تاريخي ، لأنه اخذه من المنتخب وتاريخ العراق بين احتلالين « ١ : ٣٢٥ » ، وهو يفعل مثل ذلك ولعله يستنكف أن يشير الى من استعان بمعارفهم ، كما قدمنا أمثلة له من قبل .

٣٢ — وورد في الصفحة ٣٢٨ ما هذا نصه : « وذكر الذهبي أن عز الدين الفاروثي المصطفوي المتوفى سنة ٦٦٤ قدم بغداد سنة ٦٢٩ ... » والصحيح أنه توفي سنة ٦٩٤ كما هو مستفيض في التواريخ المستوعبة لسنة وفاته ولعل ذلك من غلط الطبع .

---

(١) تاريخ بغداد « ٣ : ١١٩ » .

(٢) راجع منتخب المختار « ٨٨ ، ١١٧ ، ٢٤٢ » . (٣) مقدمة المنتخب « ص ٥ » .

٢٣ — وقال في ترجمة محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار المؤرخ المحدث المشهور : « حفظ القرآن الكريم وقرأ علم النحو والأدب وبرع في التاريخ وسمع الكثير وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينة المعيد بدار القرآن المستنصرية » . وعلق على « ابن سكينة » بقوله : « ورد أبو محمد ، راجع ترجمة ابن سكينة في المعيدين بدار القرآن » . وقـــد اعترف المؤلف الفاضل أن الكنية الواردة في الأصل « أبو محمد » فغيّرها إلى أبي أحمـــد » ولكنه كان قال في الصفحة ٣١٣ « ابن سكينة ذكره ابن الفوطي فقال : علم الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الغني بن عبد السلام بن سكينة الصوفي المقرىء [1] » . فان كان قرأ على أبي أحمد بن سكينة فمن أين أتى المؤلف الفاضل بأنه قرأ على « أبي أحمد بن سكينة المعيد بدار القرآن المستنصرية ؟ لأن أبا أحمد بن سكينة توفي سنة ٦٠٧ [2] قبل الشروع في إنشاء المدرسة المستنصرية بعشرين سنة أو أقل منها ، فقول ابن قاضي شهبة الذي أورده المؤلف الفاضل في حاشية الصفحة ٣١٣ من أن ابن النجار « قرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينة » هو المعتمد عليه لأنه نص ، وأقوى منه ما ذكره ابن النجار نفسه قال : « صحبته قريباً من عشرين سنة ليلا ونهاراً وتأدبت به وخدمته وقرأت عليه القرآن بجميع رواياته وسمعت منه اكثر مروياته وكان ثقة حجة نبيلا علماً من أعلام الدين [3] . »

فقول المؤلف « وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينة المعيد بدار القرآن المستنصرية» فيه خطأ هو إضافته من عنده الى النص قوله « المعيد بدار القرآن المستنصرية » مع أن أبا أحمد ابن سكينة توفي سنة ٦٠٧ هـ كما ذكرنا آنفاً .

٢٤ — وجاء في الصفحة ٣٢٧ ما نصه : « وجاء في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٢٤ أن ابن النجار ... » وهو سهو والصواب « ٦٤٣ » ، ومثله ما حـدث في الصفحة ٣٤١ فقد ورد ٦٨٨ بدلا من « ٦٠٥ » .

(١) أحال على التلخيص « ج ٤ و ٣٠ » وقال . « وقد ورد أبو أحمد ، قال ابن شهبة : وقرأ ابن النجار بالسبع على أبي أحمد بن سكينة ، راجع الورقة ١٠٤ من مخطوطة لندن » .

(٢) ذيل الروضتين « ص ٧٠ » . وتاريخ الاسلام للذهبي

(٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ و ١٦٠ » .

٣٥ — وجاء في ترجمة أبي اسحاق ابراهيم بن عثمان الكاشغري المحدث المعمّر ص ٣٣٩ ـ « وقال الذهبي : حدثونا عنه وانفرد في زمانه بالغلو فيه تشيع وفي دينه ثقة » . والغلوّ في النص هو تصحيف « العلوّ » أي علوّ الاسناد ، ألا ترى ما ورد في ترجمة مما يؤيد علو إسناده وهو قول القائل : « ورحل اليه الطلبة وكان آخر من بقي بينه وبين مالك خمسة أنفس ثقات [1] » وهو مالك المحدث لا الامام الفقيه ، ولما قلت شباه في الكتاب كالذي في الصفحة ٣٤٩ وهو « وانتهى اليه علو الاسـناد » ، ثم إنه لا يمكن أحداً أن يقول : انفرد فلان بالغلوّ . فالغلوّ كثير على اختلاف العصور .

٣٦ — وجاء في ترجمة أبي الحسن المبارك الانصاري المولود سنة ٥٧٧ المتوفى بعد سنة ٦٥٠ قول المؤلف : « وأجاز له قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة » . وتقي الدين سليمان [2] بن حمزة القاضي ولد سنة ٦٢٨ وتوفي سنة ٧١٥ فكيف يجيز للمولود سنة ٥٧٧ المتوفى بعد سنة (٦٥٠) ؟! فالصواب « وأجاز لقاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة » . وكذلك القول فيما جاء من الأسماء بعد تقي الدين سليمان القاضي في كتاب المؤلف ، فهو أجاز لزينب بنت الكمال المقدسية المتوفاة سنة (٧٤٠ هـ [3]) ولم تجز له هي كما ورد فيه ، ومثل ذلك يقال في الشيخ أحمد بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ [4] الوارد اسمه في تلك الصفحة ، وعلى ذلك تكون (ببغداد) في الكتاب « من بغداد » .

٣٧ — وزعم في حاشية الصفحة ٣٤٣ أن مصحفت «الفويره» تصغير الفاره» إلى «الفويرة» من الفأرة ، وهذا من غلط الطبع كما ذكرت لأن تلخيص معجم الألقاب طبع بدمشق وأشرف عليه فضلاء من وزارة الارشاد ، فظنوا أن الفويره تصغير الفأرة فزادوا تاء التأنيث ، وغلط الطبع مألوف في الكتب العربية السهلة فما ظنك بمثل تلخيص معجم الألقاب ، وقد قدمت القول في هذا الغلط المطبعي قبلاً ، وسأذكر غلطات الطبع الواقعة

(١) تاريخ علماء المستنصرية « ١ : ٣٣٨ » .
(٢) الدرر الكامنة « ٢ : ١٤٦ » والشذرات « ٦ : ٣٥ » .
(٣) الشذرات « ٦ : ١٢٦ » . (٤) الشذرات « ٦ : ٧١ »

في كتاب المؤلف بعد اتمام ذكر الاستدراكات .

٣٨ — وجاء في الصفحة ٣٥٩ ذكر « كتاب نقض عثمان الدارمي على الجهمي المريسي : العنيد فيما افترى على الله — عز وجل — في التوحيد » ، هكذا سمى الكتاب « العنيد فيما ... » وعلى هذا النحو ورد في الفهرست — ٢ : ٣٨٢ — « العنيد فيما افترى على الله عز وجل في التوحيد » . والصحيح أنَّ « العنيد » صفة للمريسي الجهمي وأصل التسمية « كتاب نقض عثمان الدارمي على الجهمي المريسي العنيد فيما افترى على الله عز وجل — في التوحيد » فليس العنيد اسماً للكتاب ، وقد طبع هذا الكتاب سنة « ١٩٦٠ » نشره المستشرق ك . فيتسمان باسم « كتاب الرد على الجهمية » .

٣٩ — وورد في الصفحة ٣٦٩ في ترجمة أحمد بن محمد ابن السابق وشيخه ابن الزجاج ما هذا نصه : « قال الذهبي : حدثنا عنه ببغداد العفيف محمد بن السابق ، شيخ المستنصرية » . وأحال المؤلف الفاضل هذا الخبر على ذيل طبقات الحنابلة « ٢ ، ٣٩٦ » ومعلوم حقاً أن الذهبي لم يقدم بغداد فكيف يحدث ابن السابق بها ؟ ' وقد رجعت الى ذيل الطبقات المقدم ذكره فاذا القائل هو ابن رجب و نص قوله « حدثنا عنه ببغداد العفيف محمد بن السابق شيخ المستنصرية ... » .

٤٠ — وورد في الصفحة ٣٨٠ ما هذا نصه : « صفي الدين البابصري ٩/١٢/ ٧١٢ المقتول في ١٧/٩/٧٤٩ » ثم قال : « وتوفي مطعونا شهيداً ببغداد يوم الجمعة ١٧ شهر رمضان سنة ٧٤٩ هـ ودفن بمقبرة باب حرب » وقد ظنّ قولهم « توفي مطعونا » يعني أنه طعن برمح وما أشبهه ، ولذلك عنون له بقوله « صفي الدين البابصري المقتول » وذلك خطأ والصواب أنه توفي بالطاعون والمتوفى بالطاعون يسمى « مطعونا » أيضاً ، قال الفيومي في المصباح : « والطاعون الموت من الوباء والجمع الطواعين ، وطعن الانسان بالبناء للمفعول : أصابه الطاعون فهو مطعون » .

والطاعون الذي طعن به مشهور في التواريخ المستوعبة لسنة ٧٤٩ قال المقريزي في

حوادث سنة ٧٤٩ : « فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام ... ومع ذلك فكان فيها الوباء الذي لم يعهد في الاسلام مثله ... ووقع الوباء ببغداد أيضاً وكان الانسان يصيح وقد وجد بوجهه طلوعاً فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة [1] ... » .

٤١ — وقال في شرح خارطة المستنصرية التي جعلها مع الكتاب ، « ١٥ ـ باب صغير كان فيما يظهر يفضي الى المدرسة من بستان الخليفة الذي ربما كان في خان الملح أو بالقرب منه حتى دجلة » ، ولكنه لم يستقر على هذا الرأي فقال في ج ٢ ص ٣٨ : « وإذا لم تكن المكتبة ـ يعني خزائن الكتب وموضعها ـ ودار السُّنّة في هذه القاعات الكبيرة فمن المحتمل أن تكون وراء هذه القاعات على جزء من الساحة الكائنة بين المستنصرية وبين مسجد الحظائر أو في محل آخر ... » . وكان قال في ج ١ص ١١٠ في الكلام على مسجد الحظائر « وهو منسوب الى محلة الحظائر القديمة التي كانت تجاوره ، وبينه وبين المستنصرية دار الزعيم سنقرجة » فكون الموضع دار سنقرجة ينفي سائر الاحتمالات ، وقد جاء في حوادث سنة ٦٩٦ خبر دخول السلطان غازان الايلخاني المستنصرية على هذا النحو « ثم إنه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها ، وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ [2] » . ومن الواضح ان الدار المذكورة غير دار القرآن المستنصرية الملاصقة لها ، من أعلاها أي أعلى المستنصرية . أما حديث البستان فناقله ابن العبري ولا يعتمد عليه في مثل هذه الأمور .ولعل حديقة كانت في الدار .

٤٢ — ويستعمل المؤلف الفاضل أحياناً ألفاظاً لمعان لم تعرفها العرب كالدهليز للممر في ج ١ ص ٤٤٠ » والغرفة للحجرة ، فقد قال في الصفحة المذكورة « دهليز المستنصرية الذي يفصل بين مدرسة الفقه والقاعات الكبرى التي كانت تتخذ فيما يظهر للادارةوالتدريس وربما اتخذت لتدريس الحديث وخزن الكتب [3] » . أراد بالدهليز الممر ، جاء في لسان

(١) السلوك « ج ٢ ص ٧٢٢ ، ٧٢٤ . (٢) كتاب الحوادث « ٤٩٢ » .

(٣) وكرر هذا الاصطلاح في ٤٤٢:١ ، ثم قال في ج ٢ ص ٢٦١ : « الغرفات تكون من الدار في الطابق الأعلى » .

العرب « الدهليز : الدليج ، فارسي معرّب والدهليز بالكسر ما بين الباب والدار » . والغرفة أعلى من الحجرة ، جاء في مختار الصحاح « والغرفة: العِلّية والجمع غرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وغرف » . وهو نفسه ميز بين الحجرة والغرفة قال في ١ : ٤٢٤ « وجود عدد من الحجر والغرف والممرات والسلالم ... » . ومن هـذا الضرب قوله في ٢ : ٩ من الكتاب : « إعاكات تعقـد في رواقها أي في صحنها وأواوينها » فتى سمي الصحن والأواوين رواقاً ؟ وقوله في الصفحة ٣٢ : « غير أنه فيما يظهر لم يكن في المستنصرية جناح خاص أو ساتات معروفة لأكثر هذه العلوم » مع أن « الجناح » اصطلاح حضاري خاص بجزء معلوم من البنيان فلا صلة له بما اصطلح عليه الانكليز وترجمه التراجمة المحدثون بالجناح [١] .

٤٣ — وتكلم في الصفحة ٣٧ من الجزء الثاني على ما سماه « جامع المستنصرية » الى أن قال في ص ٢٩ : « إننا لا نشك في أن جامع المستنصرية كان في داخل المستنصرية وهو جامع لرجال المستنصرية ... » .

وقال في الصفحة ٣٨ : « وهذا الجامع قد ذكرته المصادر على اختلافها غير أنه لم تعين مكانه ، وكأنها لم تر حاجة إلى ذكر موقعه لأنه كان يقع في داخل المستنصرية ، ولو كان يقع خارج المدرسة لأشارت بذلك » . ولم يشر الأستاذ المؤلف الى المصادر التي ذكرت جامع المستنصرية على اختلافها ، ولا متى سمي جامع المستنصرية ؟ وهل عنـده مرجع تاريخي غير الذي نشرته أنا نفسي وهو يعود الى عهـد الملك أباقا بن هولاكو في سنة ٦٧٢ هـ ونصه : « ثم عاد ـ يعني أباقا ـ الى بغداد ونزل بالمحول وأمر بالأحسان الى الرعايا وتخفيف التمغات وحذف الاثقال عنهم وكتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية [٢] » . إنه لم يذكر بهذا الاسم إلا في عهد المغول ، فلماذا لم يرد ذكره منذ أنشئت المستنصرية

(١) وكرر ذلك في ٢ . ٣٧ بقوله : « وكانت دار السـنة فيما نرجحه في جناحها الشرقي الذي فيه المكتبة » .

(٢) الحوادث « ٣٧٥ » .

الى تلك السنة ؟ إنه كان جامعاً وله باب يمر به الناس ليروا إعلان حذف الاتقال عنهم وتخفيف التمات ، فكيف يرونه إذا كان داخل المدرسة وهي مقصورة على التلامذة ؟ ولماذا لا يكون المسجد المجاور لدار القرآن المستنصرية الذي ذكره المؤلف الفاضل وقال : « وهو غير الجامع الذي نبحث عنه » ؟ واستدل المؤلف على وجوده في المستنصرية بخبر جاء في حوادث سنة ٦٥٤ في وصف الغرق الذي أصاب بغداد فيها مفاده : « أن الناس صلوا عدة جمع في المدرسة المستنصرية وكان الناس يحضرون بالسفن فامتلأت المدرسة وأغلق بابها واتصلت الصفوف في السفن من باب المستنصرية الى سوق المدرسة والى آخره » .

أجل صلى الناس عدة جمع بالمستنصرية مضطرين ولكن الخبر لم يذكر فيه « جامع المستنصرية » فلو كان معروفاً إذ ذاك لذكره المؤلف ، وكيف يكون للمدرسة جامع يجتمع الناس فيه وجامع القصر موجود وصلاة الجمعة فيه واجبة بأمر الشريعة المانعة من تعدّد الجامع ما لم يكن في الأمر مانع يمنع التجميع في الجامع الخاص بذلك ؟ وكيفما كان الأمر فالأستاذ يريد وجود جامع بالمستنصرية ، فلنسلّم له ذلك ؟

٤٤ — وقال في الصفحة ٣٨ في الكلام على المسجد المجاور لدار القرآن المستنصرية : وربما كان قرب المدرسة التتشية التي كانت في محل جامع الوزير المذكور أو أنه كان مسجد المدرسة التتشية نفسها ... » وكان قد قال في الجزء الأول ص ١١٩ : « المدرسة التتشية إحدى المدارس الحنفية ببغداد الشرقية ... وتقع المدرسة بمشرعة درب دينار على دجلة قبالة جامع الآصفية الحالي وليس قرب جامع مرجان ، كما ذكر الدكتور مصطفى جواد في الحاشية ١ من تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ٣٥٠ » .

قلت : ظني أن المدرسة التتشية كانت قرب جامع مرجان رأي قديم علّقته على مجمع الآداب سنة ١٩٤٣ غير أني عدلتُ عن هذا الرأي وذكرت في مجلة الثقافة الاسلامية البغدادية ج ٨ مج ٣ ص ٧ سنة ١٩٥٨ أنها كانت في موضع جامع الوزير فانتزع للمؤلف الفاضل رأيي وانتقد به عليّ رأيي الأول ، وإلا فليخبرنا هل ذكر هو قبل سنة ١٩٥٨

أن المدرسة التتشية كانت في موضع جامع الوزير ؟ ثم إني ذكرت في دليل خارطة بغداد مع شريكي في تأليفه الدكتور أحمد سوسة - ص ١٨٣ - أن المدرسة التتشية هي اليوم جامع الوزير ، فلماذا لم ينسب اليّ رأيين رأيتهما أحدهما صحيح والآخر موهوم فيه فيسألني عن الصحيح منها عندي ؟ إنه أغفل الصحيح ، وآخذني بالوهم .

٤٥ — ونقل في الصفحة ٤٢ موجز سيرة شيخ اسمه « أبو المظفر النوجاباذي » وقال : « الحنفي إمام المستنصرية ببغداد . ولد سنة ٦٩٦ وتوفي سنة ٦٦٨ ومن تصانيفه كشف الابهام لرفع الأوهام وكشف الأسرار في الأصول والملخص في مختصر القدوريّ » . وأحال بجميع ذلك على كتاب هدية العارفين « ج ٢ ص ١٢٩ » ، والصحيح أنه « ظهير الدين محمد ابن عمر البخاري النوجاباذي الحنفي مدرس المستنصرية ، ذكره المؤلف نفسه في ج ٢ ص ٦٣ وذكر له كتاب « كشف الابهام لدفع الأوهام » المقدم ذكره ، وقد كان ذكره بأوسع من ذلك في الجزء الأول من كتابه هذا « ص ١٢٧ » وقال : « المتوفى بعد سنة ٦٨٣ » وهو الصحيح ، فلا يصح الاعتماد على هدية العارفين في هذا الأمر ، لأنها ورطته في الخطأ .

٤٦ — وورد في الصفحة ٦٥ منه في الكلام على الحاوي في الفروع : « ومن شروحه شرح الشيخ علاء الدين الطاوسي يحيى بن عبداللطيف القزويني الشافعي مدرس المستنصرية ببغداد ، فرغ منه سنة ٧٥٥ » . وقد أحال بذلك على كشف الظنون » . وفي سنة الفراغ خطأ والصواب « سنة ٧٧٥ » وذلك من أقوال المكمل لكشف الظنون لا من مؤلف الكشف ، ولذلك حصر بأقواس صغيرة .

٤٧ — وورد في الصفحة ١١٩ في الحاشية أن « الحدادي نسبته الى الحدادية وهي قرية بقرب بغداد » . والصحيح أنها كانت بقرب واسط ، قال ياقوت الحموي : « الحدادية منسوبة : قرية كبيرة بالبطيحة من أعمال واسط ، لها ذكر في الآثار ، رأيتها » .

٤٨ — وورد في ص ١٢٩ ، « وما وراء النهر أي تركستان » وليس ذلك بصواب ، فما وراء النهر هي ما وراء نهر جيحون حيال خراسان فما كان في شرقيه كان يسمى بلاد الهياطلة وفي

الأسلام سموه « ما وراء النهر » ، وما كان في غربيه فهو خراســـان وولاية خوارزم ، وخوارزم ليست من خراسان إنما هي اقليم بنفسه . ذكر ذلك كله ياقوت الحموي في معجم البلدان ، وذكر ياقوت « تركستان » قال : « هو اسم جامع جامع لجميع بلاد الترك ... وأوسع بلاد الترك بلاد التغزغز وحدهم الصين والتبت والخزلج والكيماك والغز والجفر والبجناك والبذكش واذكس وخفشاق وخرخيز وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب... »، ولم يقل إن تركستان هي ما وراء النهر كما قال الأستاذ ، وقال ياقوت : « فاراب ... ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ... » ، فتركستان وراء « ما وراء النهر » .

٤٩ — وجاء في الصفحة ١٣٦ ذكر خزان لدار الكتب المستنصرية ، وقد ذكر منهم شمس الدين علي بن الكتبي وابن الحظيري مع أن الاسمين لرجل واحد وقد كان المؤلف الفاضل ذكره في الصفحة ٧٣ .

٥٠ — وذكر في الصفحة ١٤٥ موجز سيرة الخليفة المستنصر بالله وذكر موته الطبيعي المشهور ولم يذكر ما قاله ابن واصل الحموي نقلاً عن ابن سويد التكريتي من أنه فُصد بمبضع مسموم فمات مسموماً (١) ، قال ابن واصل : « وكان سبب موته على ما حكاه لي وجيه الدين بن سويد التكريتي — وكان خبيراً بأحوالهم — أنه فُصد بمبضع مسموم وقدم تقدم ذكر ذلك ... » يعني أنه قاله في وفاة الخليفة الناصر لدين الله « لكن سمعت من جماعة منهم وجيه الدين بن سويد ـ رح ـ أن المستنصر فُصد بمبضع مسموم فمات » (٢) وليس مرادي بإيرادي هذا الخبر أنه صحيح ولكن مرادي الاستقصاء في ذكر أسباب وفاته.

٥١ — وجاء في الصفحة ١٤٩ ذكر « اسحاق العلثي الحنبلي الزاهد » . محيلاً له على مرآة الزمان « ٨ : ٤٨٩ » وقال : « وقد جاءت فيه العلث والعلثي والصحيح ما ذكرناه ويقال لهذا الموضع اليوم العيث على مقربة من سامراء » ، قلت قال ابن عبد الحق البغدادي

(١) مفرج الكروب « نسخة دار الكتب الوطنية باريس ١٧٠٣ و ٣٩٠٠٤ » .
(٢) المرجع المذكور « ١٧٠٢ و ٢٣١ » .

في مراصد الاطلاع : « العِلث بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره ثاء مثلثة : قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء موقوفة على العلويين ، كانت في شرقي دجلة وهي الآن من عمل دجيل على الشطيطة » . والعلث كانت قرية لا أرضاً واسعة كالعيث الحالي ، وصارت بالجانب الغربي من دجلة قبل القرن الثامن للهجرة مع أن « العيث » قرب سامراء وبالجانب الشــرقي ، فالصحيح ان العيث الحالي كان يسمى « العيثة » قال مؤلف المراصد « ... العيثة أرض على القبلة وقيل هي رمل في تكريت » ، فهي الرمل المقابل لتكريت حتى جنوبي ســامرا الشرقي .

٥٢ — وجاء في الصفحة ١٤٨ « وقال أيضاً : لما وردت بغداد في سنة ٦٦٤ حكى لي بعض الثقات ... » ، وأحال بهذا الخبر على مرآة الزمان في حوادث سنة (٦٤٠) ففيه سهو إذن والصواب « سنة ٦٤٠ » .

٥٣ — وأعاد في ص ١٥٤ ، ١٥٦ ما قاله ســابقاً في كون نصير الدين بن الناقد وزير المستنصر بالله علوياً ، وقد نبهت على أنه لم يكن هاشمياً فكيف يكون علوياً ؟ .

٥٤ — وذكر في الأرضين الموقوفة على المستنصرية ـ ص ١٦٨ ـ « قوســينا وهي ثلاثة آلاف جريب ونيف » . وقال في الحاشية : «قوسنينا ليس في القاموس مثل هــذا الاسم وانما توجد كلمة قوسينا وهي كورة من كور مصر وليست هي المقصودة ، وربما كانت الكلمة محرفة عن قوسان وهي كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانيــة وواسط ... » . قلت : لم لا يكون « قسّين » ثم تطورت على حسب القاعدة اللغوية من ابدال أحد الضعفين حرف علة ، قال ياقوت : « قُسّين بالضم ثم الكسر والتشديد وياء مثنــاة من تحت ونون : كورة من نواحي الكوفة » ، وكانت قرية قرب الكفل الحالية تعرف بالقســونات ، قال ياقوت في برملاحــة : « موضع في أرض بابل قرب حلة دبيس بن مزيد شرقي قرية يقال لها القسونات ... » . وهذا استرجاح.

٥٥ — وورد في الصفحــة ١٨٣ في الكلام على استفتاء الطاغية هولاكو العلماء في

السلطان الكافر العادل والسلطان المسلم الجائر أيهما أفضل ، قول المؤلف : « وكان رضي الدين علي بن طاوس حاضراً هذا المجلس... » . وقال المؤلف في الصفحة ١٨٤ معلقاً على رضي الدين علي بن طاوس الحلي[1] ما هذا نصه « جاء في التلخيص - يعني تلخيص معجم الألقاب - أنه رضي الدين أبو القاسم علي بن علي بن طاوس الحسني ، وفي الحوادث الجامعة وروضات الجنات ١ : ٣٩٢ رضي الدين علي بن سعد الدين أبي ابراهيم موسى النقيب . قدم بغداد من الحلة سنة ٦٣٥ في خلافة المستنصر فأنزله داراً بالجانب الشرقي وعرضت عليه النقابة يومئذ فامتنع عنها ورجع الى الحلة غير أنه تولاها سنة ٦٦١ هـ في أثناء حكم المغول وظل ببغداد حتى سنة ٦٦٤ وهي سنة وفاته بها » .

ولم يفعل المؤلف الفاضل غير نقل حاشيتي في التلخيص وتقليدي في حيرتي ، مع أني كنت واهماً في هذه الحيرة فرضي الدين أبو القاسم علي بن علي بن طاوس الحسني الوارد ذكره في التلخيص ٤ : ٥٠٩ هو رضي الدين ابن طاوس الصغير — أعني أنه حفيد رضي الدين الكبير المتوفى سنة ٦٦٤ — قال السيد ابن عنبة : « فأما أبو القاسم رضي الدين صاحب الكرامات فولد صفي الدين محمداً الملقب بالمصطفى ، مات دارجاً ، والنقيب رضي الدين علياً ولد النقيب قوام الدين أحمد [2] » . وهو المراد هاهنا وقد أدرك القرن الثامن للهجرة على حين أن جده توفي سنة ٦٦٤ هـ قد ورد ذكره في تلخيص معجم الألقاب في غير هذا الموضع قال ابن الفوطي : « ولما توجه النقيب رضي الدين علي بن طاوس الى الحضرة في شوال سنة أربع وسبعمائة كان في الصحبة [3] ... » ، وقال في ترجمة مجد الدين أبي الحسن علي بن عبد الصمد الدوني اللغوي تلميذ الصغاني المتوفى سنة (٦٥٠) : « ولما توجهنا الى المعسكر في صحبة النقيب الطاهر رضي الدين أبي القاسم علي بن طاوس الحسني نزلنا بأسد

(١) منسوب الى الحلة المدينة العراقية المشهورة وقد جاء في التلخيص ٤ : ٥٠٩ الحلي من حصأ الصبح.

(٢) عمدة الطالب « ص ١٦٩ من طبعة الهند » وقوام الدين أحمد ابن رضي الدين الكبير ، ذكره ابن الفوطي في « قوام الدين » من تلخيص معجم الألقاب .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « قسم ٢ ص ٨١٢ » .

أباذ [١] ... » . وقال في ترجمة قطب الدين أبي علي حيدر بن الحسين ابن زبارة العلوي السوكندي : « وسوكند قرية على باب نيسابور استوطن تبريز مع أهله وجاء الى حضرة النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاوس الحسني لتصحيح نسبه وسأل النسابة شرف الدين محمد بن عبد الحميد الحسيني فوعده بتحصيله . وقدم بغداد سنة سبع وسبعمائة وكتبت له نسبه [٢] » .

٥٦ — وورد في الصفحة ١٩٣ في أخبار الملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي : « وكان في صحبته فخر القضاة نصر الله بن بزاقة والشيخ شمس الدين عبد الحميد الخرومشاهي » . وجاء في الفهرست — ص ٤٤٧ — « شمس الدين الخرومشاهي » وقد تصحف النسب على المؤلف الفاضل ، وإن أحال به على الوافي بالوفيات ، والصحيح « الخسروشاهي [٣] » . قال الصفدي : « عبد الحميد بن عيسى بن حمويه بن يونس بن خليل الشـــيخ الامام العلامة شمس الدين أبو محمد الخسروشاهي التبريزي ، ولد سنة ثمانين وخمسمائة بخسروشاه وتوفي بدمشق سنة اثنين وخمسين وستمائة [٤] ... » . وقال ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٦٥٢ : « وفيها شمس الدين الخسروشاهي ـ بضم الخاء المعجمة وسكون المهملة وفتح الراء وبعد الواو شين معجمة نسبة الى خسروشاه : قرية بمرو ـ أبو محمد عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يوسف ابن خليل بن عبد الله بن يوسف التبريزي الشافعي العلامة المتكلم [٥] .. » . وهذا واضح غير محتاج الى الاطناب .

٥٧ — ومع حرص المؤلف الشديد على صحة النصوص تفوته تصحيفات أحياناً كما في الصفحة ٢١٦ فقد جاء فيها « أنا أفعـــل وأحصر في دارك وتنجد أنت الى الخليفة ... » .

---

(١) تلخيص معجم الآداب ، الترجمة ٣٩٠ من باب الميم .

(٢) الجزء الرابع في لقب « القصب » .

(٣) تصحف في الحوادث ـ ص ٣١١ ـ الى « عبد الحميد بن الحسن بن شاهي » وذلك سنة ١٩٣٢ ثم اهتديت الى صحته سنة ١٩٣٤ .

(٤) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ١٣١ » .

(٥) الشذرات « ٦ : ٢٥٥ » .

والصواب « وتنحدر » لأن داره كانت فوق دار الخلافة كما يفهم من المسجد للسبوك .

٥٨ — وخلط الأستاذ في الاصطلاحات المفيدة التي ضمنها هذا الجزء بين الشحنة ووظيفته الشحنكية — ص ٢٥٢ — قال : « الشحنة والشحنكية الحاكم العسكري ورئيس الشرطة و .. » والشحنكية وظيفة الشحنة.

٥٩ — وقال في الصفحة ٢٥٦ : « تحت الاستظهار : على حالة الاكرام والمراعاة » وهذا خطأ فان الاستظهار هنا بمعنى الاحتياط والرقابة والتوكيل ، إلا أن من الرجال من كان يكرم ويراعى مع وجود حال الاستظهار عليه ، ولذلك كانوا ينبهون على الرعاية والاكرام لمباينتها الحال المألوفة في الاستظهار ، قال ابن الطقطقى في ترجمة الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي : « ونقل الى دار الخلافة فأقام بها تحت الاستظهار على حالة الاكرام والمراعاة الى أن مات تحت الاستظهار[1] » . فلو كان الاستظهار اكراماً ومراعاة لم يُنقل نقلا بل انتقل انتقالا ، ومما نسوقه شاهداً على ذلك قول ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٦ : « في هذه السنة في ربيع الأول عزل فخرالدين بن أمسينا عن نيابة الوزارة وألزم بيته ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولي بعده نيابة الوزارة ... » ، وقال في خبر الوزير نصير الدين : « فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو فتذهب نفسه » . وقال في عصيان سنجر مملوك الناصر بخوزستان والقبض عليه : « فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار ... وخرج أهل بغداد الى تلقيهم فدخلوها وسنجر معهم راكباً على بغل باكاف وفي رجله سلسلتان في يد كل جندي سلسلة » . فأي إكرام ومراعاة مع هذه الحال والسلسلتين ؟! .

٦٠ — وجاء في الصفحة المذكورة « يُفتي : يشرّف الناس بلباس الفتوة بطريق الوكالة » . وليس هذا القول بمتسق فالتفتية هي إدخال الانسان في حزب الفتيان بالأصالة أو بالوكالة فان كان طالب الفتوة بعيداً عن المفتي أنفذ اليه من يفتيه بطريق الوكالة ، والظاهر أن المؤلف الفاضل قرأ في سيرة الملك الأشرف الأيوبي في كتاب الحوادث ـ ص ١٠٦ ـ

(١) الفخري « ص ٣٢٦ » طبعة بيروت .

قول مؤلفه « راسل الخليفة يسأل تشريفه بالفتوة فنفذ اليه من فتاه بطريق الوكالة ». فظن أن كل تفتية تكون بالوكالة ، مع أن النص المذكور يوضح أن صاحب الفتوة المفتي وهو الخليفة كان ببغداد والملك الأشرف بعيد عن العراق ، فأرسل اليه من فتاه بالوكالة عن الخليفة المذكور .

٦١ — وقال في الصفحة ٢٥٧ : « البتّي نسبة الى البت موضع من نواحي البصرة » هكذا قال بالجزم ، مع أن السمعاني صاحب هذا الرأي قال : « البتي ... هذه النسبة الى البت وهو موضع أظن بنواحي البصرة .. » . وقال ابن الأثير : « البتي ... هذه النسبة الى البت وهو موضع قال : أظنه بنواحي البصرة ... » . فالسمعاني لم يكن واثقاً بأن البت من نواحي البصرة ، والذي في معجم البلدان « البت : بالفتح ثم التشديد قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان ... والبت أيضاً قرية بين يعقوبا وبوهرز كبيرة » . وقد تطور اسمها الى « البط » فنسب اليها البطي ، قال الذهبي في المشتبه — ص ٤٩ — : « البطي ، قرية بط على طريق دقوقا فأبو الفتح محمد بن عبد الباقي نسيب إنسان من القرية فعرف به » . فبط هذه التي ذكرها ياقوت قريبة من راذان ، وراذان تعرف اليوم بروضان في طريق الخالص الى المؤدّي كركوك شرقي وادي العظيم .

٦٢ — وورد في الصفحة ٢٥٨ « السروجي : نسبة الى سروج مدينة بنواحي خراسان » وهذا خطأ ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « سروج : فعول بفتح أوله ... وهي بلدة قريبة من حران من ديار مضر ... » وقد تصحفت حران على المؤلف الفاضل الى خراسان كما ترى .

٦٣ — وقال في الصفحة المذكورة : « العبادي نسبته الى عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة أو الى عبادة وهم حيّ من العرب كثير عددهم نزلوا على الفرات » . فلماذا أثبت هذه النسبة في كتابه ؟ لأنه قد ورد في هذا الجزء — ص ١٤ — يعقوب بن يوسف بن قاسم الأنصاري الخزرجي العبادي ، مع أن نسبه يشعر بأنه منسوب الى سعد بن عبادة الخزرجي لا الى غيره ، ألا تراه موصوفاً بالانصاري والخزرجي ؟ ومنسوباً الى الأنصار والخزرج ؟

فمن اين للعبادي من عباد بن ضبيعة أو من حي عبادة أن يكون خزرجياً ؟

٦٤ — وقال فيها : « المدني نسبة الى المدن ومنه شرف الدين ذو النون بن أحمد بن محمد بن فضلان المدني ... » . فلم يفهم القارىء من المدن شيئاً ، وانما نقل المؤلف هذا القول من المشتبه للذهبي – ص ٤٩٢ – وترك آخره وهو « والمعـــدن بليدة من نواحي اسمرد » . هذا ما عدا ما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان من أن المعدن قرية من قرى زوزن من نواحي نيسابور منها « أبو جعفر محمد بن ابراهيم المعدني » .

٦٥ — ونسب في الصفحة ٢٥٩ عمر الدورقي وزير اقبال الشرابي الى القلانس الدورقية أو الى الدورقي اي الناسك ، ولم يذكر نصاً يثبت ذلك ، لأنه يجوز أن يكون منسوباً إلى بلدة دورق بخورستان .

٦٦ — وقال المؤلف الفاضل في الصفحة ٣٠٢: « ويبدو أن نهر المعلى كان يخرج من دار الخلافة يصب في دجلة ولعله كان يصب بحذاء المستنصرية في الحد الأسفل منها بينها وبين دار الزعيم سنقرجة ومسجد الحظائر ، ولعل فوهة نهر المعلى هناك كانت مكشوفة أي من دون عقود فوقها ، وقد يدل على ذلك التدوير الطاهر في ركني الجدار الجنوبي للمستنصرية الكائن في خان الملح أي موقع نهر المعلى في رأينا ، لأن مثل هذا التدوير لا يكون إلا في الجدران التي يكون جاساها في الماء ، وليس الأمر كذلك في بقية أركان المدرسة الأخرى وقد يستعمل هذا التدوير في الأنهار للتخفيف من حدة تيار الماء ولتساعد المياه على المرور ، ويلاحظ مثلا ذلك (كذا) التدوير تماماً في أركان قنطرة حربى [1] ... » وقول المؤلف

(١) كان الأستاذ المؤلف قد ذكر هذه الفكرة في الجزء الاول « ١ . ٤١٨ » وأورد بيت عز الدين ابن أبي الحديد :

محببة على نهر المعلى   فدجلة لا الخليفة فالصراة

وعاد اليها ثالثة في ج٢ ص ٣٠٥ واستدل أيضاً بوجود باب في جدار المستنصرية الجنوبي وادعى أن شبارة المستنصر لعلها كانت تدخل من مصب نهر المعلى حتى يصل الى الباب . وقد ذكرنا له سابقاً أن السلطان غازان دخل المستنصرية من الدار المجاورة للمدرسة ومن المؤكد أنه دخلها من الباب المذكور ، ولم يذكروا في خبره شبارة ولا سفينة ولا زورقاً

الفاضل : إن نهر المعلى يخرج من دار الخلافة ، ينفي أن يكون النهر محاداً للمستنصرية لأن المستنصرية لم تكن في عداد مباني دار الخلافة لا هي ولا مسجد الحظائر ولا دار سنقرجة ولا رباط شيخ الشيوخ ولا المدرسة البهائية ولا رباط بهروز ولا خان علاء الدين الجويني « خان الدفتردار » فكيف يخرج نهر المعلى ويصعد الى جانب المستنصرية ؟ ثم إنه ذكر في حاشية الصفحة ١٩٥ أنّ « المستنصرية كانت مخيمة على نهر المعلى أي قريبة منه » . مع أنه في القول السابق يجعلها مخيمة على نهر المعلى حقيقة لا مجازاً .

والتحقيق الخططي أن نهر المعلى كان يصب في دجلة في دجلة من داخل دار الخلافة لامس جنوبي المستنصرية ، قال الخطيب البغدادي وابن الجوزي في ذكر أنهار بغداد : « وكان في الجانب الشرقي نهر موسى ، يأخذ من نهر بين الى أن يصل الى قصر المعتضد المعروف بالثريا ثم يخرج الى موضع يقال له مقسم الماء فينقسم ثلاثة أنهار فيدخل أحدها بستان الزاهر فيسقيه ويمضي الثاني الى باب بيبرز فيدخل البلد ويسمى نهر المعلى يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة [1] ... » .

أما التدوير فوجود مثله في جدار المدرسة المرجانيــة في الركنين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي من وجه المدرسة فهل معنى هذا أن كلا من الركنين كان على نهر جار ؟ هذا ما لم نسمع الالتزام به في وصف التداوير في البنايات الاسلامية .

والصحيح أن نهر المعلى كان يمر من باب سوق الثلاثاء كما جاء في التاريخ ، وهو عند الحيدرخانه فينحدر موازياً لدجلة إلى دار الخلافة التي أحد باب لها باب الغربة أي باب شارع المستنصر الحالي ، قال الخطيب البغدادي : « ويمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة [2] » . وقال هذا القول غيره من المؤرخين .

(١) تاريخ بغداد « ١ : ١١٤ » ومناقب بغداد « ص ١٩ » .
(٢) تاريخ بغداد « ١ . ١١٥ »

وهذه قائمة بالغلطات المطبعية وان كان فيها ما يجوز عده غير مطبعي مما ورد في الجزء الأول :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٠	٧	ثقاة	ثقات
٤٢	٢	قونين	قرنين
٥٥	١٤	ثمانيتين	ثمانين
١٢٠	٧	الرياضيات	الرياضات
١٢٨	٢١	الكردي	الكردري
١٣١	٦	البزودي	البزدوي
١٤٤	١٣	شذر	شذور
=	١٨	زكي الدين بن عبدالعظيم	زكي الدين عبدالعظيم
١٤٧	١٨	حمادي	حُمَّادى
١٥٠	١١	وابن الحسن	وأبي الحسن
١٥٢	٦	ببغدادة	ببغداد
١٥٨	١٥	الطبرس والدويدار	الطبرس الدويدار
١٦٢	٢٠	من نواحي الخالص	من نواحي طريق خراسان
١٧٢	٨	الشافعي	الشافي
١٨٢	١٢	عكبر	عكبرا
١٨٨	٢٠	ابن الخطاب	أبي الخطاب
١٩٩	١٠	الذهلي	الدهلي

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٠٨	٣	يخطون	يخطئون
٢١٠	٢٢	٢٤٠	٢٠٤
٢١٣	٢٥	الاوبيون	الاوربيون
٢٤٣	١٦	الحضائري	الحظائري
٢٤٦	١	الآدمي	الأدمي « أولى »
٢٦٤	١٧	وطايفة	وظائف
٢٧٧	٩	تقي الدين بن علي	تقي الدين علي
=	١٢	استسخ معه	استنسخ منه
٢٩٦	١٨	والمرجي نضم	والمرج بفتح
٣٠٧	٨	شيخنا	شيخاً
٣٢٢	٣	المَرّي	المِزّي
٣٤٠	٢٠	ابن شرف الدين	شرف الدين
٣٤٢	٣	كمال	كامل
٣٤٥	١٢	بخان الحسنية	بخان الخليفة
٣٤٦	٨	أبي القاسم بن عبدالله	أبي القاسم عبدالله
٣٥١	٩	أبي عبدالله	أبي عُبيد
٣٥٣	٢١	للقضاة	للقضاء
٣٧٤	١١	مم أولاده	مع أولاده
٣٩٣	١٥	بالمستصرية	بالمستنصرية

وهذا ما في الجزء الثاني

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
١٠	١٦	الشهرباني	الشهراباني
١٤	١٧	الشهرباني	الشهراباني
٧٥	٨	نهج البلاغة	شرح نهج البلاغة
٧٨	١٤	النحاس	النخاس
٩٩	١٠	والنحاسي	والنخاسي
١١٥	١	حاجبة	حاجية
١١٦	١١	أرعون	أرغون
١٣٠	٩	الرّهاوي	الرُهاوي
١٣٥	١	ابن الجوري	ابن الجوزيّ
١٤٧	١٢	الموخوذة	المأخوذة
١٤٨	٦	الدايرة	الدائرة
١٥٤	١١	بمصالها	بمصالحها
١٥٧	١٨	ديوان لروم	ديوان الزمام
١٦٩	٢٥	باب المؤرخون	المؤرخون
١٨٢	١٨	الثّر	الأثر
=	١٩، ٢٣	الايوانية	الايوائية
١٩٠	١٣	أحمد	حمد
٢١٠	٣	عبدالرزاق	عبدالرازق
٢٢٦	١٢	الادرهني	الأردهني .
٢٤٢	٥	١١٦٤	١١٨٠
٢٩٤	١٣	المخلطون	المخلطيون

إن للملاحظات التي ذكرتها ما هي إلا كالخال في وجه الحسناء فان هذا الكتاب الذي

هو حصيلة بحث وتحقيق واستقصاء وترتيب وتنسيق مدة ثلاثين سنة ، كما أشرت اليه في أولها ، لجدير بالاكبار والاستعظام ، وإن مؤلفه لجدير بالاعجـــاب الكثير ، والشكر الوفير ، على ما بذل من جهد تاريخي وسعي أدبيّ ، ونفقات طبعيّة ، وسيبقى الكتاب كما قلت آنفاً دائرة معارف للمدرسة المستنصرية ، وفق الله مؤلفه لمثل هذا العمل التاريخي النافع ومد في عمره ليمتعنا بأمثال هذا الكتاب الأنفس وهذا المجهود الأكيس .

مصطفى جواد

خلاصة أعمال المجمع

١٩٦٥ – ١٩٦٦

أيها الزملاء الكرام اعضاء المجمع العلمي العراقي العاملين .

السلام عليكم :

هذه هي السنة الثالثة من سنوات المجمع العلمي العراقي بعد تنفيذ قانونه رقم (٤٩) سنة ١٩٦٣ ، وهي نهاية الدورة الأولى التي حددها القانون بثلاث سنوات وقد عقد مجلس خلال هذه السنة تسعاً وعشرين جلسة تناول فيها مختلف شؤون العمل المجمعية الاستشارات التي عرضت عليه وحاول أن يؤدي رسالته على أتم وجه غير ان تخفيض الميزانية سيحول دون تنفيذ الكثير من المشروعات في السنة المقبلة .

وتتلخص أعمال المجمع خلال سنته المجمعية ١٩٦٥ / ١٩٦٦ بما يأتي : —

« لجان المجمع »

— لجنة النظر في قضايا غياب العضو العامل عن حضور الجلسات تألفت من السادة :
الاستاذ محمد شفيق العاني والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور جميل سعيد والدكتور يوسف عزالدين (مقرراً)

وقدمت تقريرها الآتي الذي أقره المجمع في جلسته السابعة عشرة المعقودة في ١٤/٣/٦٦ « تمنح المكافأة التي أشارت اليها المادة (٢٠) من قانون المجمع العلمي العراقي رقم ٤٩ لسنة ١٩٦٣ إلى المقيمين داخل العراق الذين يشاركون في جلسات المجمع وفعالياته ويستثنى

من شرط المشاركة في جلسات المجمع وفعاليات لجانه الاعضاء المرضى والمقعدون ســواء أ كانت اقامتهم داخل العراق أم خارج العراق . أما الاعضاء الذين يتغيبون عن العراق مدة تزيد على ثلاثة أشهر وبعذر يقره المجمع وينقلون محل إقامتهم الى خارج العراق فبوصفهم غير مشاركين في جلسات المجمع وفعالياته تقطع عنهم المكافأة ويحتفظون بعضوية المجمع العاملة » .

٢ — لجنة الاشراف على كتاب مصور الخط العربي :

الدكتور جميل سعيد والدكتور محمد عبد العزيز مرزوق (الاستاذ في معهد الدراسات الاسلامية) وهي ماضية في عملها

٣ ـ لجنة ترشيح الموظفين للترفيع :

السيد رئيس المجمع و الدكتور ابراهيم شوكة والدكتور يوسف عزالدين (مقرراً) وهي ماضية في عملها واصدرت أربعة قرارات بترفيع اربعة موظفين استحقوا الترفيع

٤ ـ لجنة الاشراف على اعمال النشر في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد في بغداد ما بين ٢٠ تشرين الثاني و ٢٩ منه ١٩٦٥ من السادة :

الاستاذ كوركيس عواد والدكتور جميل سعيد والحاج محمود شيت خطاب (مقرراً) وقد انجزت عملها

٥ — وقد طلب المكتب الدائم للتعريب في الرباط لجنة لمساعدته في أموره فألف المجمع اللجنة الآتية :

الاستاذ الحاج محمود شيت خطاب والدكتور مصطفى جواد والدكتور يوسف عز الدين

٦ — لجنة المجلة :

وتم تأليف لجنة للاشراف على مجلة المجمع العلمي العراقي من السادة الدكاترة :

عبد الرزاق محيي الدين وعبد العزيز الدوري ومصطفى جواد وجميل الملائكة ويوسف عز الدين (مقرراً)

... وقد اصدرت المجلد الثالث عشر ووضعت قرارات لتنظيم صدور المجلة وهي مستمرة في عملها

٧ – لجنة مصطلحات النسيج من السادة الدكاترة :
مصطفى جواد وصالح أحمد العلي وابراهيم شوكة وجميل الملائكة (مقرراً)
وقد أنهت عملها وأقر مجلس المجمع المصطلحات التي قدمتها

٨ – لجنة لوضع قائمة بأسماء قادة المجتمع العربي لتخليد ذكراهم باصدار طوابع بريدية تذكارية من السادة :
الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح احمد العلي (مقرراً)

٩ – لجنة لتسمية الشخصيات والاحداث العامة المهمة في العراق لتزويد اليونسكو بها لاحياء ذكراها خلال عامي ٦٧/١٩٦٨ من السادة الدكاترة :
صالح أحمد العلي وعبد العزيز الدوري ومصطفى جواد (مقرراً)

١٠ – لجنة مطابقة تعليمات تعضيد النشر والتأليف والترجمة على الكتب المساعدة من السادة :
الدكتور يوسف عزالدين
٢ – السيد خالد عبد الحليم مدير الادارة والذاتية في المجمع (مقرراً)
٣ – السيد محمد صالح العزاوي رئيس شعبة المطبعة في المجمع
وهي مستمرة في عملها وأصدرت عدة قرارات بمطابقة الكتب التي تم طبعها بمساعدة مالية من المجمع

١١ – لجنة وضع أسماء أعلام العراقيين من رجال العلم والأدب والفن والشعر لتخليد ذكراهم باصدار طوابع تذكارية من السادة الدكاترة :
عبد العزيز الدوري وجميل الملائكة ويوسف عزالدين (مقرراً)ولم تنجز عملها

١٢ — لجنة المكتبة : وقد ألفت من السادة :

الأستاذ كوركيس عواد والدكتور صالح أحمد العلي والدكتور عبداللطيف البدري والدكتور يوسف عز الدين (مقرراً)

وقد بوشر تنظيم المكتبة وفهرستها وطباعة بطاقاتها والعمل جار على انجاز اعمال المكتبة .

١٣ — لجنة المخطوطات : ألفت من السادة :

الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور مصطفى جواد والدكتور صالح أحمد العلي والدكتور محمود الجليلي والاستاذ كوركيس عواد

١٤ — لجنة المصطلحات الهندسية : ألفت من السادة الدكاترة :

مصطفى جواد وفاضل الطائي وجميل الملائكة (مقرراً)

أحيلت عليها مصطلحات هندسية من كلية الهندسة وقد أتمت اللجنة دراستها وقدمت ما أقرته منها الى المجمع وستعرض على المجلس لاقرارها

١٥ — لجنة الشريعة : ألفت من السادة :

الشيخ محمد رضا الشبيبي والاستاذ محمد شفيق العاني والاستاذ محمد تقي الحكيم

١٦ — لجنة الطب : ألفت من السيدين :

الدكتور عبد اللطيف البدري والدكتور محمود الجليلي

قدمت مصطلحات في التشريح ما تزال في قيد الدرس وقد صادق مجلس المجمع على قسم منها :

١٧ — لجنة المعجمات تألفت من السادة :

الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور سليم النعيمي والاستاذ محمد شفيق العاني والدكتور مصطفى جواد والاستاذ محمود شيت خطاب

١٨ — لجنة الحضارة :

الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح أحمد العلي والاستاذ كوركيس عواد والاستاذ محمود شيت خطاب

١٩ — لجنة العلوم تألفت من السادة :

الدكتور فاضل الطائي والدكتور عبد العزيز البسام والدكتور جميل الملائكة

٢٠ — لجنة الآداب تألفت من السادة الدكاترة :

عبد الرزاق محي الدين وسليم النعيمي ومصطفى جواد ويوسف عزالدين (مقرراً)

« المساعدات المالية للمؤلفين »

ساعد المجمع العلمي على طبع الكتب التالية على وفق تعليمات تعضيد النشر والتأليف والترجمة :

١ ـ العملة الاسلامية في العهد الأتابكي ـ للسيد محمد باقر الحسيني

٢ ـ تخطيط مدينة الكوفة ـ الدكتور كاظم الجنابي

٣ ـ تاريخ قطر ـ للسيد محمود بهجة سنان

٤ ـ عثمان الموصلي ـ الدكتور عادل البكري

٥ ـ ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ـ لأحمد ابن الخياط الموصلي ـ قام بتحقيقه ونشره السيد سعيد الديوه‌جي

٦ ـ القاضي التنوخي وكتابه نشوار المحاضرة ـ السيد بدري محمد فهد

٧ ـ المامة بالرجز في الجاهلية والاسلام ـ السيد شاكر الجودي

٨ ـ التعريف بمصادر البحث عن الامثال ـ السيد حسين علي الحاج حسن

٩ ـ الاب أنستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته ـ للاستاذ كوركيس عواد

١٠ ـ ثبت للمصادر العربية في فلسطين ـ السيد عبد الرحيم محمد علي

١١ ـ السبيل الى القيادة لمونتكومري ـ ترجمة العميد الركن المتقاعد حسن مصطفى

١٢ ـ تحقيق الأماني لطلاب الأمالي ـ السيد نعوم جرجيس زرازير

١٣ ـ الفوائد الغوالي ـ لآل صاحب الجواهر قام بنشره الشيخ محمد حسن الجواهري
١٤ ـ المشهد الكاظمي ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين.
١٥ ـ التنبيه عن حدوث التصحيف ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين
١٦ ـ الأمثال البغدادية المقارنة ـ العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي

« كتب طبعت على نفقة المجمع »

١ ـ مصور الخط العربي ـ الحاج ناجي زين الدين
٢ ـ بحوث ومحاضرات دورة مجمع اللغة العربية
٣ ـ صحيفة دورة مجمع اللغة العربية ج ١ و٢ و٣ و ج ٣-٩
٤ ـ المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين ـ الاستاذ كوركيس عواد
٥ ـ تاريخ التفسير ـ الشيخ قاسم القيسي
٦ ـ تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص ـ الشيخ محمد رضا الشبيبي
٧ ـ دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق ـ الدكتور عبد العزيز الدوري
٨ ـ عقبة بن نافع ـ الاستاذ محمود شيت خطاب
٩ ـ الوضع ، تحديده ، تقسيماته ، مصادر العلم به ـ الاستاذ محمد تقي الحكيم
١٠ ـ التفاحة في النحو ـ تحقيق الاستاذ كوركيس عواد
١١ ـ المجمع العلمي العراقي ، نشأته ، أعضاؤه ، أعماله ـ للسيد عبد الله الجبوري
١٢ ـ ميزان البند ـ الدكتور جميل الملائكة
١٣ ـ المباحث اللغوية في العراق ومشكلة اللغة العصرية ـ الدكتور مصطفى جواد
١٤ ـ صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي ـ للدكتور فاضل الطائي
١٥ ـ حول توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية ـ الاستاذ محمد شفيق العاني

١٨٠ ـ رأي في المصطلحات الطبية ـ الدكتور عبد اللطيف البدري

« شراء بعض المطبوعات »

ورأى المجمع أن يساهم بصورة رمزية في مساعدة المؤلفين فقرر شراء نسخ من الكتب الآتية :

١ ـ تاريخ العراق في العصر السلجوقي ـ الدكتور حسين امين

٢ ـ الملاريا (باللغة الانكليزية) ـ الدكتور محمد الدباغ

٣ ـ الحدود القانونية لسلطة القاضي الجنائي ـ الدكتور اكرم نشأة

٤ ـ علم النفس الجنائي ـ الدكتور اكرم نشأة

٥ ـ جرائم الاعتداء على الاشخاص ـ الدكتور حميد السعدي

٦ ـ فهارس المعلم الجديد ـ السيد حكمة توماشي

٧ ـ خواطر ـ الدكتور ابراهيم عبدالله

٨ ـ دراسات في علم النفس ـ السيد دحام الكيال .

٩ ـ ديوان الحداني ـ الدكتور عبدالهادي الحداني

١٠ ـ الوطن العربي ـ الدكتور حسن العطار

١١ ـ مبادىء المالية العامة والتشريع ـ الاستاذ هاشم الجعفري

١٢ ـ العراق في الشعر العربي والمهجري ـ الدكتور محسن جمال الدين

١٣ ـ الفرائد الغوالي ج ١ ـ اشتريت من الشيخ حسن الجواهري

١٤ ـ مع الشرقي الصغير ـ السيد موسى الكرباسي

١٥ ـ علم المالية العامة ـ الدكتور عبدالعال الصكبان

١٦ ـ قلبي وسيفي ـ ترجمة الدكتور داود سلوم

١٧ ـ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

١٨ ـ الامثال السائرة ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

١٩ ـ مفاهيم اسلامية ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين

٢٠ ـ المدخل الى العتبات المقدسة ـ اشتريت من السيد جعفر الخليلي

٢١ ـ موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف) ـ اشتريت من السيد جعفر الخليلي

٢٢ ـ مبادىء علم السياسة ـ الدكتور لؤي بحري

٢٣ ـ فلسفة الشهادة ـ السيد محمد علي البهادلي

٢٤ ـ رجال السيد بحر العلوم ـ اشتريت من السيد حسن بحر العلوم

٢٥ ـ المبسوط في الاوراق التجارية ـ الدكتور صلاح الدين الناهي

٢٦ ـ تسجيل الشركات التجارية ـ الدكتور صلاح الدين الناهي

٢٧ ـ الدليل العراقي ـ اشتري من السيد خالد العاني

٢٨ ـ بيارق الآتين ـ للسيدين خالد يوسف وعبدالامير الحصري

٢٩ ـ تاريخ المشعشعيين ـ السيد جاسم حسن شبر

٣٠ ـ الضرائب على التركات ـ الدكتور عبدالعال الصكبان

٣١ ـ الحجر على المدين لحق الغرماء ـ السيد احمد علي الخطيب

٣٢ ـ العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ـ السيد شاكر صابر الضابط

٣٣ ـ لمحات من تاريخ الطب القديم ـ الدكتورة آمنة صبري مراد

٣٤ ـ تاريخ علماء سامراء ـ السيد يونس السامرائي

٣٥ ـ ديوان الناصري ج ٢ ـ جمع السيدين عبدالله الجبوري وهلال ناجي

٣٦ ـ شرح رسالة الحقوق ج ١ ـ اشتريت من السيد حسن القبانجي

٣٧ ـ القوى البحرية في الخليج العربي ـ الدكتور عبدالامير محمد امين

٣٨ ـ ديوان الكواز ـ اشتريت من الشيخ موسى اليعقوبي

٣٩ ـ في مهبط الوحي ـ الدكتور بديع شريف

٤٠ ـ الرهيمة ـ السيد عبد الرحيم محمد علي

« جوائز للطلاب النابهين »

وخصص مجلس المجمع جوائز نقدية بالطلاب النابهين فوضع ست جوائز للطلبة الاوائل

في كليات الآداب والتربية والشريعة من قسمي التاريخ واللغة العربية واهدى مطبوعاته اليهم .

« المطبوعات المهداة والمبادلة »

وقد اهدى المجمع العلمي عدداً من كتبه ومطبوعاته للأعضاء العاملين والمؤازرين ووزراء الدولة وشخصيات العلم والفكر في المعاهد والمستشرقين واعلام الفكر وللمتاحف وللمكتبات العربية والاجنبية وسفاراتنا واليونسكو واتحاد العمال العرب في بريطانيا . وبلغ مقدار ما اهدى (١٠٦٥) نسخة عدا مطبوعات المؤتمر .

« مكتبة المجمع »

وقد تمّ جرد كتب المكتبة وزودت بدواليب وصناديق لوضع بطاقاتها وهي تقوم حالياً بفهرسة جميع ما لم يسجل فيها وبتنظيم بطاقات الكتب تشتمل على اسم الكتاب واسم مؤلفه ومحل الطبع ونوعه مما لم يكن يتسنى لها من قبل .

« صلات المجمع الثقافية »

وتزداد صلات المجمع الثقافية بالمجامع العلمية واللغوية في البلاد العربية وغيرها بمبادلة المطبوعات او عرضها في مؤتمرات الكتاب التي عقدت في واشنطن والكويت والرباط وفرانكفورت .

« شؤون الأعضاء »

١ — توفي العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع وشيخ الأدباء في العراق .
٢ — صدر مرسوم جمهوري بتعيين الدكتور احمد عبدالستار الجواري عضواً عاملا في المجمع .
٣ — تم انتخاب الاستاذ عبدالهادي التازي عضواً مؤازراً .

« خدمات ثقافية »

المجمع يوالي خدماته الثقافية الأخرى بتصوير المخطوطات في العراق على الرقوق وبأي نوع من انواع التصوير ويعين الباحثين في هذا الشأن حسب طاقته .

« استشارات المجمع »

وادلى برأيه في خطة التعاون الثقافي مع الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وخطة التعاون بين العراق ومنظمة اليونسكو .

« اجازات ارو عضاء »

١ — اجاز المجلس الدكتور فاضل الطائي للحضور الى اتحاد الجامعات العربية الذي عقد في القاهرة .

٢ — واجاز الدكتور يوسف عزالدين للحضور الى مؤتمر الأدباء الافريقيين الآسويين الذي عقد في بكين .

« مخطوطات المجمع »

واضاف المجمع الى مكتبته مخطوطات مصورة بمختلف المقاييس جلبها من مختلف مكتبات العالم منها :

١ ـ ديوان المرحوم عبدالله باشعالم ـ ابو محمد نور الدين عبدالله العمري جم جوبغجي زاده محمود

٢ ـ حاشية العطار في مقولة السحاعي ـ حسن بن محمد العطار

٣ ـ ديوان خالد بن يزيد بن معاوية (في الكيمياء)

٤ ـ رسالة مشتملة على ما يتعلق بالمساحة ـ للشيخ علي عبدالبر بن علي الزناتي الحسني

٥ ـ رشف الزلال في معرفة استخراج قوس مكث الهلال بطريق الحساب ـ لرمضان ابن صالح الخوانكي

٦ ـ لامية الافعال ـ جمال الدين ابو عبدالله محمد بن مالك الطائي

٧ ـ كتاب المقدمة المزيجفية في علم الحساب ـ ابو عبدالله محمد بن داود الصنهاجي المزجفي

٨ ـ رسالة في النحو ـ الحاج محمد بن احمد

٩ ـ كتاب الدر والترياق في علم الاوضاع والاوفاق ـ عبدالرحمن الجرجاني

١٠ ـ رسالة في كتب اوائل الحديث ـ احمد البجرمي

١١ ـ رسالة النص الثابت في مسألة النابت ـ للشيخ حسني

١٢ ـ برد الظلال في تكرير السؤال ـ جلال الدين السيوطي

١٣ ـ شرح البسملة ـ محمد بن علي الصبان

١٤ ـ منظومة في معرفة المكسوفين ـ لمؤلف مجهول

١٥ ـ نجاة الروح وكنز الفتوح ـ ابن حسن الخلوتي الشافعي

١٦ ـ شرح رسالة الوضع العضدية ـ ابو القاسم السمرقندي

١٧ ـ الطرق الواضحات في عمـــل المناسخات ـ ابو عبدالله محمد بن محمد الارموي الصالحي الشافعي

١٨ ـ مفيد الصبيان في علم البيان ـ لمؤلف مجهول

١٩ ـ كتاب عقيدة التوحيد ـ لمؤلف مجهول

٢٠ ـ رسالة في القصد ـ لمؤلف مجهول

٢١ ـ ذكر نسب النبي (ص) ـ بخط محمد بن ابراهيم

٢٢ ـ متن الاجرومية ـ ابو عبدالله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم

٢٣ ـ مسلسلات شريفة واسانيد منيفة ـ للحافظ جلال الدين ابي الفتوح

٢٤ ـ تفسير كلام خير البرية ـ لمحمد بن العابدين العمري

٢٥ ـ رسالة في الحساب والمساحة ـ للشيخ ابي العباس احمد بن الابار

٢٦ ـ فهرست كتب الخزانة المتوكلية بالجامع المقدس بمدينة صنعاء

٢٧ ـ السر / رسالة في الكيمياء ـ لهرمس بود شيرا الكاهن

٢٨ ـ كتاب في صناعة الكيمياء

٢٩ ـ تفسير الاحلام

٣٠ ـ مختصر في علم المعادن
٣١ ـ كتاب كليلة ودمنة
٣٢ ـ مجموعة في الحكمة والكيمياء وتحتوي على ٢٦ رسالة وتسمى كتاب قر الاقمار
٣٣ ـ دين الله الغالب على كل منكر مبتدع كاذب ـ فخر الدين ابو سعيد عثمان بن سليمان الجليلي
٣٤ ـ رسالة في منافع اعضاء البدن ـ علي بن ابي الحزم القرشي
٣٥ ـ ادب القاضي ـ ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم
٣٦ ـ الجواهر المضيئة في تسليك مريدي الصوفية ـ محي الدين بن عربي
٣٧ ـ كتاب التراحم ـ محي الدين بن عربي
٣٨ ـ ديوان جمال الدين بن زكريا الصرصري
٣٩ ـ حديقة الزوراء للسويدي
٤٠ ـ كتاب الحيل في الفقه ـ لابن مكرمة ابي حاتم محمود بن الحسن
٤١ ـ كتاب تحفة الشارب وعجالة الراكب
٤٢ ـ كتاب الطبقات ـ لابن الجوزي
٤٣ ـ المبين في شرح الفاظ الحكماء والمتكلمين ـ ابو الحسن علي الآمدي
٤٤ ـ المرائي ـ محمد بن محمد بن علي ابن العربي
٤٥ ـ ديوان الحقيقة والأشعار ـ لنظام الدين الاصبهاني
٤٦ ـ ديوان المتنبي شرح ابن جني نسخة المتحف البريطاني
٤٧ ـ ديوان المتنبي شرح ابن جني نسخة الفاتيكان
٤٨ ـ ديوان المتنبي شرح ابن جني نسخة كوتنكن
٤٩ ـ جامع الاسرار ج١ ـ مؤيد الدين ابو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي
٥٠ ـ الدر المنظم في السر الاعظم ـ كمال الدين ابو سالم محمد بن طلحة العدوي الجفار الشافعي

٥١ ـ عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب

٥٢ ـ مجموعة خمس كتب طبابية

٥٣ ـ الدرة البيضاء في علم الصنعة (في الكيمياء) ـ لعلي الجلبي

٥٤ ـ حل الطلسم وكشف السر ـ لمحمد العمري المصري

٥٥ ـ حل الرموز وكشف الكنوز من متممات كتاب نهاية الطلب في شرح المكتسب ج ٣ ـ للجلدكي

٥٦ ـ عيون الحقائق وايضاح الطرائق وكشف الدك وايضاح الشك في علم النواميس والمخاريق الكبرى والتعافين والنارنجيات والخواص المجربات ـ ابو القاسم احمد بن محمد العراقي

٥٧ ـ الاقاليم (مصورة على طبعة اوربا) ـ لأبي اسحاق الاصطخري

٥٨ ـ خلاصة اخبار المسافر والعجم في معرفة بلاد عراق العجم لابن حوقل (مصورة على طبعة اوربا)

٥٩ ـ علم تفسير الاحلام

٦٠ ـ مختصر في علم المعادن

« المصطلحات العلمية »

اقر مجلس المجمع سبعين مصطلحاً في النسيج واربعين مصطلحاً في التشريح وما تزال بقية المصطلحات الطبية معروضة على المجلس وارجو ان تنجز خلال هذه الدورة .

« مجلة المجمع العلمي العراقي »

اصدر المجمع المجلد الثالث عشر من مجلته وقد وضع مجلس المجمع خطة حـــدد فيها صلاحيات لجنة المجلة بالشكل الآتي :

١ ـ ان يكون للجنة المجلة الحق في نشر البحوث ورفضها وللعضو الذي يرفض بحثه ان يستأنف لدى المجلس .

٢ ـ ان تكون اللجنة مسؤولة عن تنفيذ خطة المجلة وتقديم المقترحات في شأنها الى المجلس .

٣ ـ ان تصدر المجلة مرتين في السنة . ولكن عدم تقديم العدد الكافي من البحوث حال دون اصدار العدد الجديد وارجو ان يصدر خلال هذه الدورة .

٤ ـ ان يكون عدد صفحات المجلة (٢٥٠ ـ ٣٠٠) صفحة .

٥ ـ ان لا تزيد صفحات كل مقال على الثلاثين .

٦ ـ ان تغلب على المجلة مقالات لها صلة بالتراث الإسلامي والفكر العربي .

٧ ـ ان تكون في المقالات اضافة جديدة في البحث والتحقيق .

٨ ـ الا تنشر لكاتب غير مقال واحد ويجوز ان تنشر له نقداً او تعريفاً في باب الكتب .

٩ ـ ان تعين اللجنة مشرفاً على التصحيح ويمنح مكافأة مقدارها ١٥ ٪ من تكاليف المجلة . وعند ما يباشر طبع العدد الجديد من المجلة سنطلب تعيين من يشرف عليها .

١٠ ـ ان يخصص بها ملاحظ ليقوم باعمالها الادارية .

هذا وقد جمعت اللجنة مقالات وبحوث المجلد الرابع عشر من المجلة وسيباشر طبعه قريباً عند ما يقرها المجلس حسب قراره السابق في مناقشة البحوث والمقالات ويقدم العدد الكافي منها .

« دورة مؤتمر مجمع اللغة العربية في بغداد »

عقد مجمع اللغة العربية في القاهرة دورته الثانية والثلاثين في بغداد ساهم فيها اعضاء المجمعين وقدم اعضاء المجمع العلمي العراقي البحوث التالية :

سيرة ابن اسحاق ـ الدكتور عبدالعزيز الدوري

ابن النفيس ـ الدكتور محمود الجليلي

المستدرك على المعجمات ـ الدكتور مصطفى جواد

المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ـ الاستاذ محمود شيت خطاب

المصطلحات الطبية ـ الدكتورين عبداللطيف البدري ومحمود الجليل .
ميزان النقد ومكانه في تراثنا الادبي ـ الدكتور جميل الملائكة
الطرماح بن الحكيم ـ الدكتور سليم النعيمي .
بحوث لغوية تطورت على ايدي علماء الاصول ـ الاستاذ محمد تقي الحكيم
توحيد المصطلحات القانونية ـ الاستاذ محمد شفيق العاني
آلات الجراحة عند العرب الدكتور عبداللطيف البدري
التيارات الفكرية في الادب الحديث ـ الدكتور يوسف عز الدين
كتاب التفاحة في النحو ـ الاستاذ كوركيس عواد
العربية وتدريس العلوم ـ الدكتور فاضل الطائي

والمطبعة توالي طبع كتاب المؤتمر الذي تضمن بحوث اعضاء المجمعين والتعليقات والقرارات التي اتخذت مع محاضر الجلسات ، كما تم صدور صحيفة خاصة بالمؤتمر عنيت بوقائع المؤتمر واخباره وصدرت تسعة اعداد منها بأربعة اجزاء .

« قرارات متنوعة »

١ ـ تم عقد جلسات يومية لمجلس المجمع من ١٧/١١/٩٦٥ لغاية ١٩/١١/٩٦٥ (ثلاث جلسات) وذلك لتدوير شؤون دورة مؤتمر مجمع اللغة العربية .

٢ ـ اناط مجلس المجمع مهمة ترجمة قانونه ذي الرقم (٤١) لسنة ٩٦٣ الى لغات مختلفة بالسادة التالية اسماؤهم :

الدكتور جميل الملائكة ـ الى الانكليزية
الدكتور حسن الجلبي ـ الى الفرنسية
» بديع شريف ـ للألمانية (وقد اعتذر لكثرة اعماله)الى الالمانية
» علي غالب ـ الى التركية (وقام بالترجمة)
» نعمة السعيد ـ الى الفارسية

٣ — طبع جميع الرقوق الموجودة في مكتبة المجمع على الورق لتسهيل دراستها وقراءتها على الباحثين

٤ — طلب المنحة السنوية على وفق فصول وابواب الميزانية وحددها بـ (٣٠) الف دينار إلا أن ما خصص بالمجمع كان (٢٠) الف دينار وهو أقل من ميزانية الســـنة الجمعية المنصرمة بخمسة آلاف دينار

٥ — تمديد مدة تحقيق كتاب تاريخ واسط الذي يعنى به الاستاذ كوركيس عواد ا نهاية هذه السنة

٦ — قرر ان يشرف الدكتور مصطفى جواد والدكتور يوسف عزالدين على كتـا مؤتمر مجمع اللغة العربية. ونظراً لمرض الدكتور مصطفى جواد فقد شارك الدكتور عبدالرزا محي الدين في العمل

٧ — تخويل ديوان الرياسة صلاحيات مجلس المجمع في اثناء عطلته

هذه خلاصة وافية عن اعمال مجمعنا خلال السنة الماضية وارجو أن يوفقنا الله في عمل مستمر ورغبة دائمة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عز الدين

« فهرس المجلد الرابع عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي